

سيدة العذراء
برموس -

نُسّاك قُمران ومخطوطاتهم

إعداد
راهب من برية شيهيت

مراجعة
نيافة الأنبا أيسوذورس

دير السيدة العذراء

- برموس -

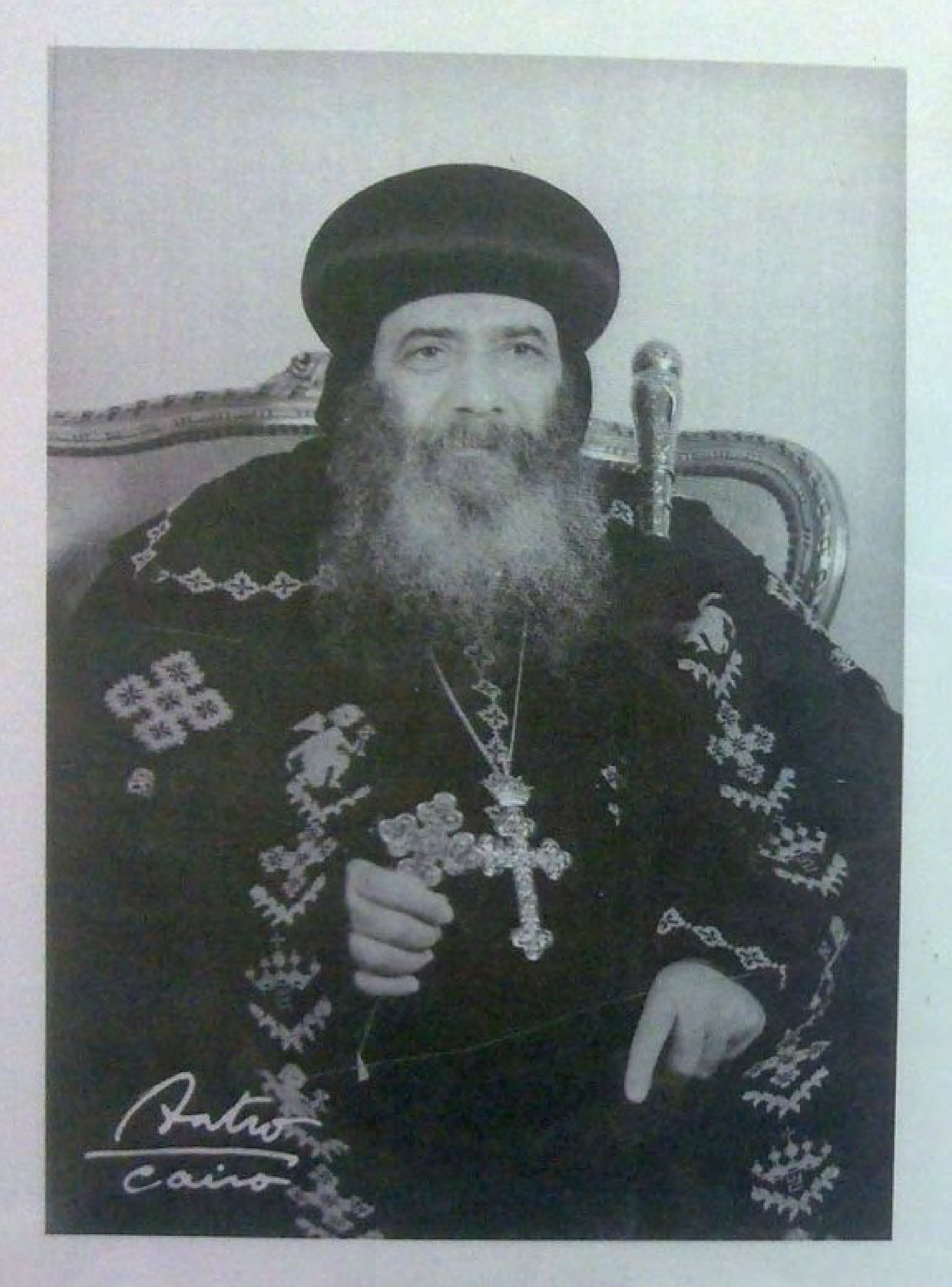
نُسّــــاك قُمران ومخطوطاتهم

مراجعة

نيافة الأنبا ايسوذورس

إعداد

راهب من برية شيهيت



قداسة البابا شنوده الثالث

إسم الكتـــاب : نُساك قُمران ومخطوطاتهم

إعــــداد : راهب من برية شيهيت

مـراجـعـة : نيافة الأنبا ايسوذورس

الجمع والإخراج الفنى : إم سى للتجهيزات الفنية ت: ٢٤٣٨٢٢٥

الطبـعـة : الأولى – مايو ١٩٩٩

المطبـعـة : دار نوبار للطباعة

رقم الإيـداع : ٨٤٢٢ / ٩٩

الترقيم الدولى : 977-5088-20-8



نيافة الحبر الجليل
الأنبا إيسوذورس
أسقف ورئيس دير البرموس



مقدمة

مرّت بين كاتب سفر من الأسفار المقدسة وقارئه مئات من السنين . ونحن اليوم إذ نقرأ نصاً مطبوعاً لا ننسى أنه خُطّ المرّة بعد المرّة قبل أن يصل إلينا فى شكله الحالى . فقبل الكتاب المطبوع هناك الكتاب المخطوط . وقد وصلنا من الكتاب المقدس آلاف المخطوطات فى اللغات العبرية والآرامية واليونانية والسريانية . . . ونحن نؤمن أن العهد القديم ، كلام الله ، وهو تاريخ خلاص وشريعة ووعد . . . لا يزال يُخبرنا مشيئة الله من نحونا ، التى لا تريد أن يهلك أحد منّا ، بل الجميع يخلصون ويبلغوا إلى معرفة الحق الذى هو ربنا يسوع المسيح . . . لذا فالعهد القديم هو وديعة فى يد الكنيسة .

وقد تعرّض الكتاب المقدس لحملات من نظريات النقد ، التى لا تستند إلى حقيقة ، عادت علينا بأجزل الفوائد والنفع . فليس فى التاريخ من عصر كعصرنا هذا ، أقبل فيه العلماء على درس الكتاب المقدس بمنتهى التمحيص العلمى وأشدّ الدقة ، مُستخدمين فى سبيل ذلك ما أوضحته الحفريات المتتالية والتعمّق فى ما خلّفه التاريخ من مخطوطات وبرديات ورقوق ، حتى إنه ليمكن القول، أن كل كلمة من الكتاب المقدس ، قد دُرست ومازالت تُدرس وفق أرفع قواعد العلم شأناً .

ولا نُبالغ إذا قُلنا أن اكتشافات منطقة **قُمران** Qumran على البحر الميّت Dead Sea ، تُعتبر الحدث الأثرى الأكبر والأهم فى القرن العشرين بأكمله ، حيث تم العثور على **مكتبة دينية** كاملة ، تعود إلى القرنين الأخيرين قبل الميلاد ، والقرنين الأولين بعد الميلاد . وبفضل هذه الاكتشافات ، وبعد دراسة دقيقة

مستفيضة ، قام بها فريق من أشهر علماء الآثار والكيمياء واللغات والخطوط والأنثروبولوجيا و . . . و. . . الخ ، وصلوا إلى نتيجة لا تقبل الجدل ، هى صحة كل ما جاء فى العهد القديم من معلومات فى أدق التفاصيل ، بل وفى أدق الأمور وأكثرها غرابة .

وقد بدأ الكشف عن آثار منطقة **قُمران** فى ربيع عام ١٩٤٧ ميلادية ، ودام التنقيب حتى عام ١٩٥٦ ميلادية ، وقد شمل كل نقطة من المنطقة . فأسفر ذلك عن كشف شبه دير كبير ، وما لا يقل عن **٦٠٠ مخطوطة** فى احدى عشرة مغارة فى كل المنطقة . يمتد تاريخ هذه المخطوطات من سنة ٢٥٠ قبل الميلاد إلى سنة ٧٠ ميلادية ، وكان لإكتشافها أهمية لمعرفة نص التوراة وبقيّة الأسفار العبرية . وقد قارن العلماء بين هذه النصوص وما بأيدينا، فوجدوا التطابق الكامل ، مما يهدم النظريات النقدية التى ادّعت عدم سلامتها .

وهذه المخطوطات تخص جماعة دينية ، عاشت فى مغاور فى منطقة قمران ، ينتمون إلى الطائفة **الأسينية** Essenes ، على إثر اضطهاد المكابيين لسلالة « أبناء صادوق » الكاهن . نظّموا نفوسهم تنظيماً تسلسلياً ، وجعلوا **أبناء صادوق** فى قمة الهرم . تعلّقوا بالشريعة الموسوية كالفريسيين بل تجاوزوهم فى ما يخص قواعد الطهارة ، والتمسّك بالأمور التقليدية ، ورفضوا الذهاب إلى هيكل أورشليم ، الذى غاب عنه رؤساء الكهنة من أبناء صادوق ، واعتبروا أن قداسة حياتهم تحلّ محلّ المحرقات ، بإنتظار أن يُعيد الرب الهيكل إلى أصحابه الشرعيين ، الذين يُقيمون فيه حينذاك شعائر العبادة كما فى السابق.

حظيت الجماعة منذ بدايتها بوجود شخصية دينية رفيعة تُسميها نصوص قُمران **مُعلّم البرّ** ، فهو المُلهمْ والمشرّع الأكبر . واجه بسمّو آلاماً من كهنة أردياء ومتسلطين فى السلالة الحشمونية . وكانت صراعات عنيفة أُمسك فيها « مُعلّم البرّ » وعُذّب وأُرسل إلى المنفى ، فالتجأ مع إخوته فى عزلة قُمران ، وكوّنوا جماعة

أُطلق عليها اسم **نُسّاك قُمران** . وعاش « نُسّاك قُمران » حياة الشركة فى كل شئ ، وأختاروا الفقر الأختيارى وقبلوا أن يعيشوا فى بتولية الجسد .

ولما كانت الثورة اليهودية سنة ٦٦ – ٧٠ ميلادية ، إحتل الرومان اليهودية فى ٢١ يونيو سنة ٦٨ ميلادية ، فهاجموا مبانى قُمران ودمّروها ، ونحن لا نزال نُشاهد آثار الدمار إلى اليوم . ولكن قبل أن يتشتت أعضاء نُسّاك قُمران أو يُذبحوا ، فقد اخفوا فى المغاور المجاورة القريبة **مكتبتهم** الثمينة فى جرار من فخار . وماتت الحركة الأسينية بعد هذه الكارثة ، وبمرور وقت قصير.

وقد صنّف العلماء مخطوطات قُمران إلى ثلاث فئات :

١- **نصوص كتابية** : وهى تشمل جميع أسفار العهد القديم ما عدا سفر أستير (قد يكون السبب – حسب رأيهم – زواج أستير من وثنى) . بالإضافة إلى سفر طوبيا بالآرامية واجزاء من سفر يشوع بن سيراخ .

٢- **نصوص قُمرانية** : وهى الكتب الخاصة بالجماعة نفسها ، وهى تشمل الكتب الآتية :

نظام الجماعة – ملحق نظام الرعية – التبريكات – وثيقة دمشق – درج الهيكل – نظام الحرب – المدائح – شروحات كتابية (مثل شرح حبقوق – شرح ناحوم – شرح المزمور « ٣٧ ») .

٣- **نصوص أبوكريفية (منحولة)** : وهذه الكتب لا تعترف بها الكنيسة كأسفار إلهية ، وهى تشمل الكتب الآتية :

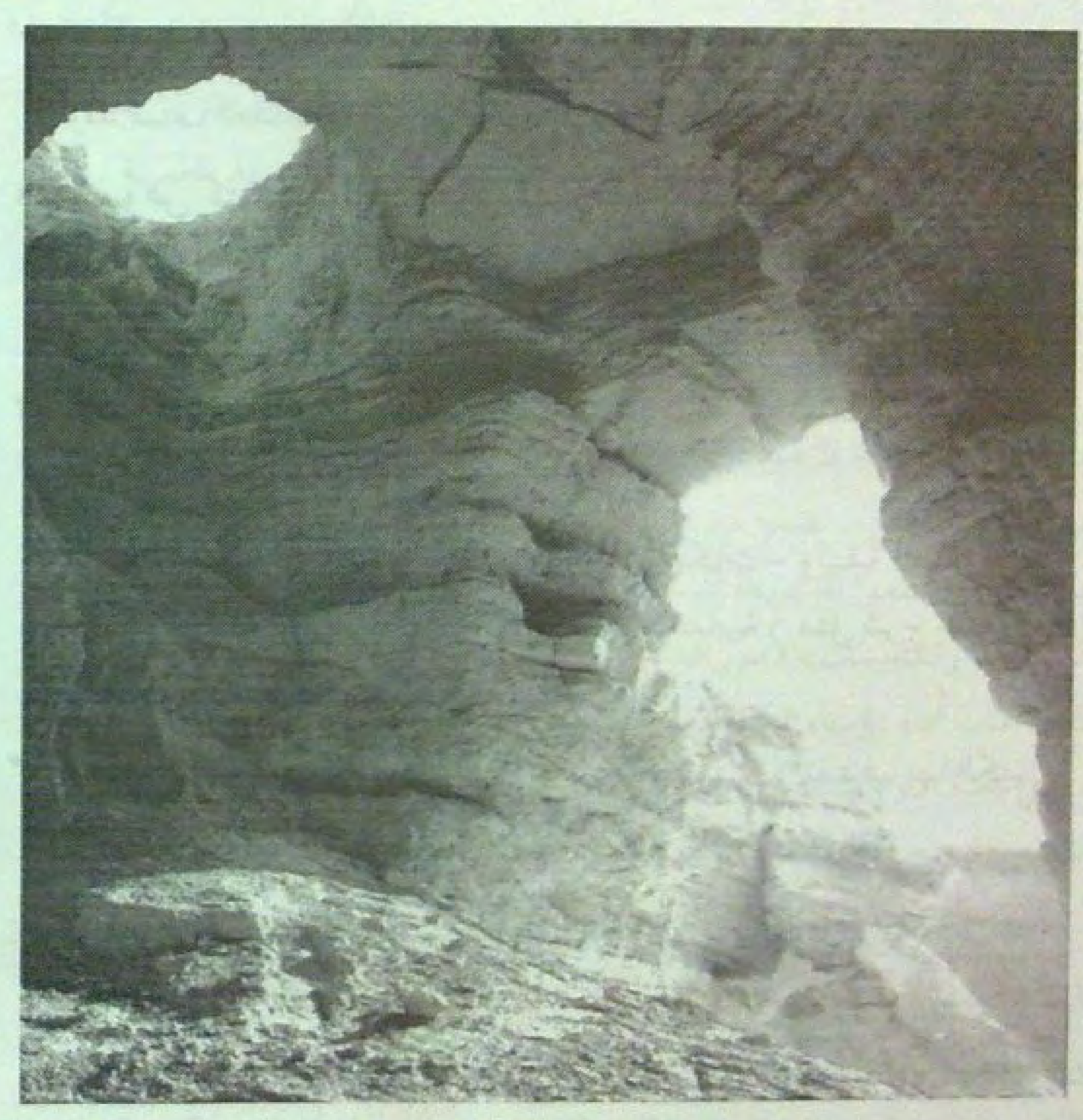
سفر أخنوخ – اليوبيلات – وصايا الآباء الإثنى عشر – سفر التكوين الأبوكريفى . . . . . الخ .

هذا عرض سريع لمحتويات الكتاب الذى بين يديك ، الرب قادر أن يستخدم كل عمل لمجد إسمه القدوس ، بشفاعة أمنا القديسة العذراء مريم وجميع

القديسين، وبصلوات صاحب الغبطة والقداسة البابا شنوده الثالث ، وشريكه فى الخدمة الرسولية نيافة الحبر الجليل الأنبا ايسوذورس ، اسقف ورئيس دير البرموس ، الرب يحفظهم للكنيسة سنين عديدة وأزمنة سلامية مديدة .



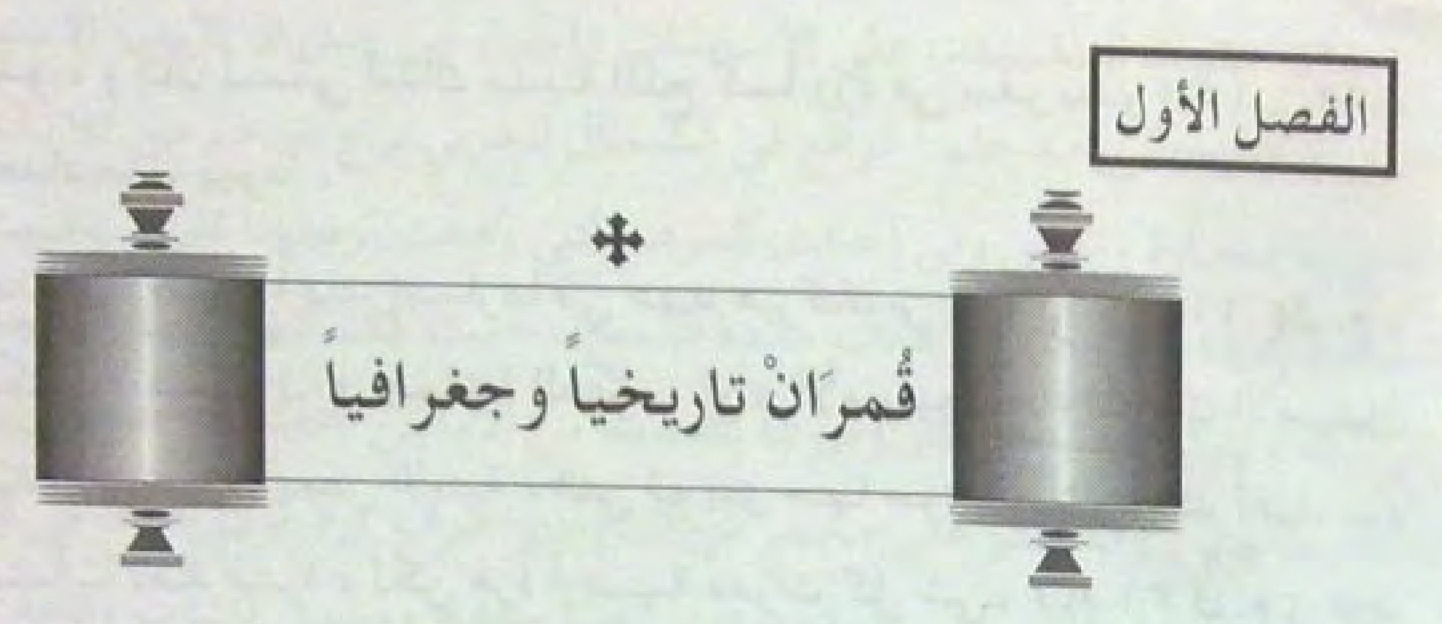
راهب من برية شيهيت



إحدى مغاور قُمران



محتويات الجـزء الأول

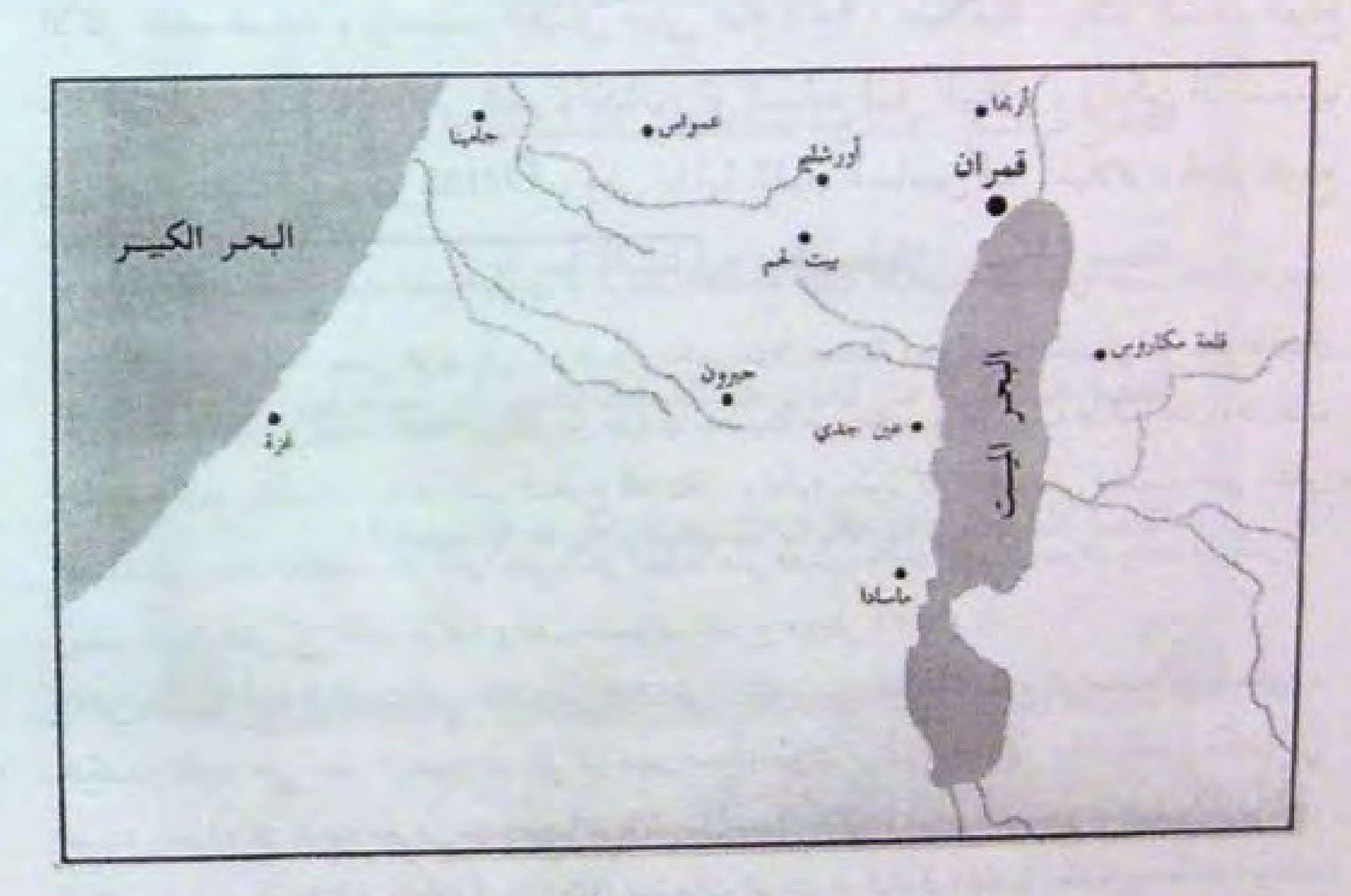


منطقة قُمران تقع على بُعد كيلو مترين ونصف ، من الطرف الشمالى الغربى للبحر الميّت ، وعلى بعد ١٣ كيلو مترا جنوب أريحا . وقد أدى اكتشاف مغارة فى وادى قُمران عام ١٩٤٧ ميلادية ، تحتوى على دروج * Scrolls ، دُعيت فيما بعد بـ « **مخطوطات البحر الميّت** » ، إلى البدء بتنقيب الموقع عام ١٩٥١ ميلادية . وقد بدأ ذلك مستر دى فو De Vaux رئيس معهد ابحاث الكتاب المقدس الدومنيكى فى القدس ، ومستر جورج هاردنج George Harding مدير دائرة الآثار الفلسطينية ، واستمر العمل حتى عام ١٩٥٨ ميلادية . وقد كشف الموقع عن اطلال مدينة ترجع إلى القرن الثامن أو السابع قبل الميلاد ، ويمكن أن تُنسب إلى عهد الملك أوزياس Ozias ، وفى بداية القرن السادس قبل الميلاد ، هُجر الموقع

* دروج **Scrolls** : كانت قطع البَرْدي أو الرقوق الجلدية تُثبّت أطرافهـا جنباً إلي جنب فتتكون منها لفافة **roll** طويلة ، قد يصل طولها إلي ٤٠ قدماً ، تكفي مثلاً لنساخة سفر إشعياء بالعبرانية أو سفر الأعمال باليونانية . وكثيراً ما تُثبّت اللفافة في كل من طرفيها بقضيب من خشب وتُلف عليه – كما تُلف الخارطات الجغرافية اليوم – فتُعرف عندئذ باسم الـدَرج **Scroll** . وكانوا يلفّون كل طرف علي قضيب حتى يلتقي النصفان في وسط الكتاب ، أو كانوا يلفّون كل القطعة علي قضيب واحد موصول بطرف واحد من الدّرج . ويُشير إشعياء النبي إلي ذلك بقوله « وتلفّ السموات كدَرج » (إش ٣٤ : ٤) .
وكانوا يضعون اللفة أو اللفتين في غلاف من كتان نقي . ويُقسّمون اللفة أو الدّرج إلي صفحات متجاورة ، والكتابة تكون علي أحد الوجهين أو علي الوجهين معاً (حز ٢ : ١٠ ، رؤ ٥ : ١) . وكان الدَرج يُكتب في أعمدة رأسية وكل عمود بعرض بضع بوصات ، تفصل بينها مسافات صغيرة . ونحو منتصف القرن الأول الميلادي تم إختراع المجلـد **Codex** بأن تكون صفحات البردي أو الرقوق الجلدية مطوية ومجلّدة ، وذلك بخياطتها معاً بهيئة الكتاب الحديث .

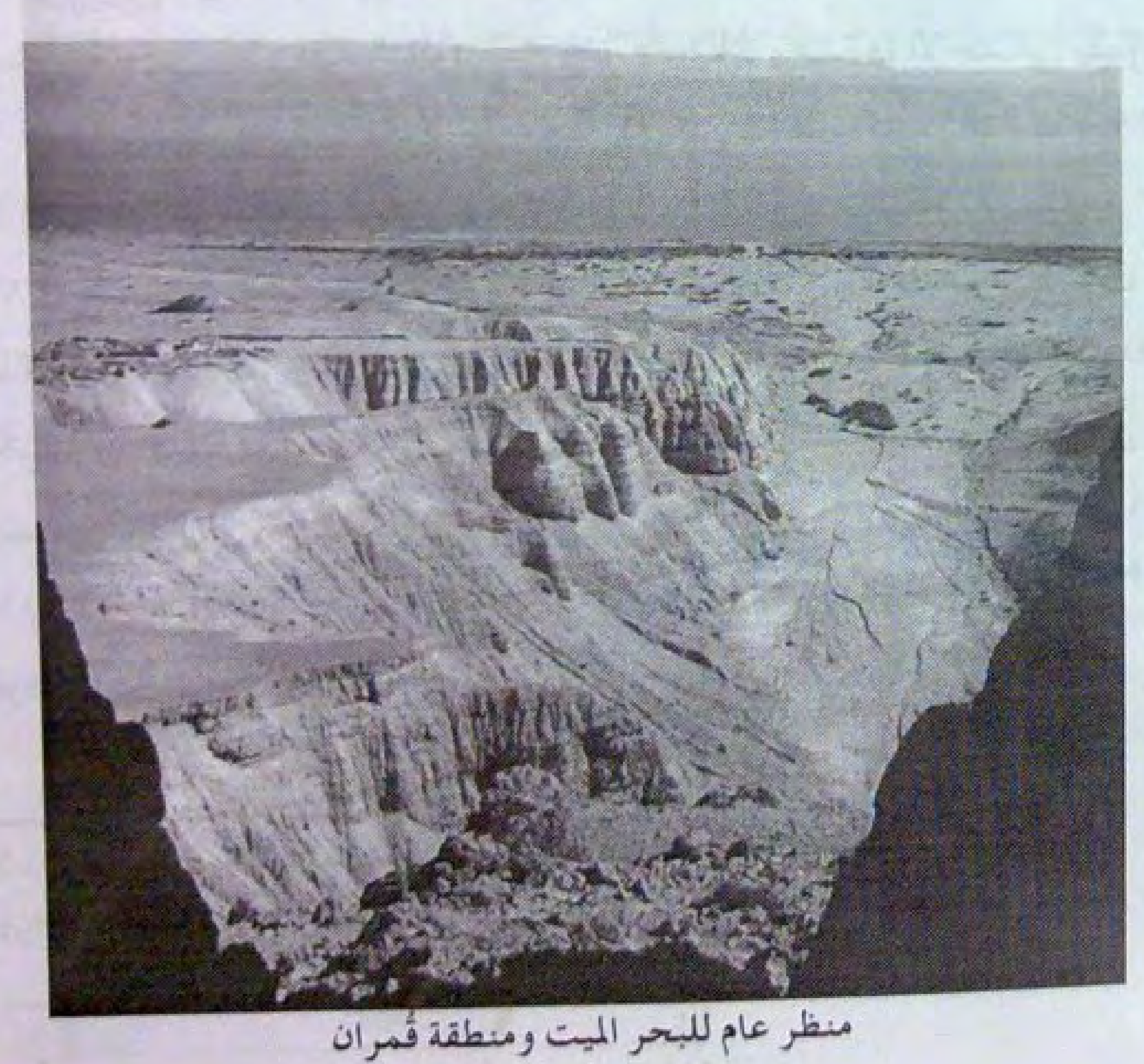
كما يبدو ، وكان يُسمّى آنذاك مدينة الملح كما ورد فى سفر يشوع ١٥ : ٦٢ ، خلال تعداد مدن يهوذا .

وبعد فترة طويلة أُعيد إعمارها فى عهد هيركانوس (١٣٤ – ١٠٤)ق.م ، ودعا سكانها أنفسهم بـ « **جماعة العهد** » أو « **الأسينيين** » . وتبين أن الأسينيين ، قد شيّدوا فى قُمران بعض الأبنية ، التى لم يبق منها سوى أطلال . وقد أُعيد بناء هذه المنشآت بعد فترة ، لكن هزّة أرضيـة دمرّت كل شيء عام ٣١ ق.م (دوّن ذلك المؤرخ اليهودى يوسيفوس **Josephus** فى كتابه تاريخ اليهود) . وأُعيد بناء الموقع عام ٤ ق.م . وفق المخطط نفسه ، لكن الرومان هاجموه وأحرقوه عام ٦٨ ميلادية ، وقد أقامت فيه حامية رومانية بين عامى ٧٣ ، ٩٠ ميلادية وقامت بتخريب ما بقى من خرائبه . وقد لجأ إلى الموقع ثُوّار باركوكبا فى أثناء الثورة اليهودية الثانية ضد الرومان ، لفترة وجيزه بين عامى ١٣٢ ، ١٣٥ ميلادية قبل أن يُهجر نهائيا .



خريطة تبين موقع قُمران

وقد عثرت التنقيبات على الأساسات وأجزاء من جدران الأبنية الأسينية ، والتى كان يحمى مدخلها الواقع فى الشمال الغربى برج ضخم من ثلاثة طوابق مبنى بالحجارة والجص وفى إحدى الغرف التى رُفعت أرضها قليلاً بحيث يتم الصعود إليها بدرجات ، وُجدت مائدة النسخ ، حيث كان كهنة الطائفة يجلسون إلى مائدة طولها خمسة أمتار ومزودة بالعديد من الأماكن المخصصة كدواة لينسخوا مخطوطاتهم . وقد عُثر على محابر من البرونز والخزف ، لا تزال تحفظ فى قاعها بقايا جافة من الحبر الأسود . كما وجدت أيضاً مطابخ ومغسل للثياب وقاعة كبيرة للاجتماع طولها حوالى ٢٢ متراً ، يبدو أنها كانت تستخدم لتلاوة النصوص المقدسة والشروح عليها أو لإقامة الصلوات . كما أُكتشفت قاعة كبيرة للطعام ، عُثر بداخلها على عدد كبير من آنية المطبخ وأطباق مكسّرة ، ووجد أيضاً فى غرفة ملاصقة أكثر من ألف طبق بحالة شبه سليمة .



منظر عام للبحر الميت ومنطقة قُمران

وأستطاع علماء الآثار من تحديد أماكن لأربعة أحواض مائية كبيرة ، أحدها دائرى ، وقد طُليت بطبقة من العازل لتصبح غير قابلة للرشح ، وسبعة خزانات أخرى أصغر . وكان الماء يصلها عبر وادى قُمران ، حيث بُنى سد صغير كانت تجرى المياه منه عبر أقنية ، ويبدو الخزان الدائرى أقدمها ، ويرجع ربما لعهد أوزياس . وثمة أحواض أخرى مُجهّزة بدرجات ، يبدو أنها أُستخدمت كحمامات . كما عُثر على أفران للخُبز ، ومصنع صغير لصناعة الخزف والفخار مع فرنين ، ومصنع آخر للمعادن ، ومخازن ومطحنة للحبوب ، وإصطبل كبير للحيوانات مع مزاود حجرية .

هذا وقد أكد علماء الأنثربولوچى * والأركيولوچى * ، أن أفراد نُسّاك قُمران، لم يستخدموا هذه الأبنية فى المعيشة ، بل سكنوا فى المغاور المجاورة وفى أكواخ من الطين أو خيام من الجلود . وقد أمكن تحديد أزمنة إعمار منطقة قُمران بدقة اعتماداً على مختلف قطع النقود التى عُثر عليها ، وعددها الإجمالى يصل إلى ٦٥٠ قطعة . فقد وجدت نقود من عهد كل من : انطيوكوس الثالث « ١٣٩–١٢٩ ق.م » – يوحنا هيركانوس « ١٣٥ – ١٠٤ ق.م » – الكسندريناي « ١٠٣ – ٧٦ ق.م » – هيرودس الكبير « ٣٧ ق.م – ٤ ب.م » – ارخيلاوس « ٤ ق.م – ٦ ب.م » – هيرودس اغريباس « ٣٧ ب.م – ٤٤ ب.م » ، إضافة إلى نقود مسكوكة فى قيصرية وعسقلان ودور . كما كشفت التنقيبات عن نقود من عهد اغريباس الثانى « ٨٦ م » ، وفسباسيانوس « ٦٩ – ٧٩م » وتراجان « ٨٩ – ١١٧م » . كما أن زمن قطع الخشب والأدوات التى وجدت يتوافق تماماً مع تاريخ المخطوطات القُمرانية .

* الأنثروبولوچى : علم يبحث فى أصل الإنسان وتطوره ، وعاداته ولغته ... لذا فهو علم الإنسان .

* الأركيولوچى : او علم الآثار ، هو علم يدرس جميع الاشكال الملموسة والمنظورة التى تحفظ أثر نشاط بشرى .

وقد أمكن للعلماء بأبحاثهم المتواصلة ، الوصول إلى نتيجة مفادها ، إنه عندما جاءت ثورة اليهود الأولى ضد الرومان عام ٦٦ ميلادية ، وعمّت فلسطين كلها وشملت قُمران ، وكان أن أضطرت روما أن تُقمعها ، فأطلّ فسباسيانوس بجنوده على أريحا وسهولها ، ولعله وجد شيئا من المقاومة فى قُمران فأحرقها . فإن رؤوس النبال الرومانية لا تزال منثورة فى طبقة من الرماد وغيره من آثار النيران . ولمس الرومان أهمية قُمران من الناحية الأستراتيجية لنشر الأمن فى البلاد ، فحوّلوا برج قُمران وبعض مبانيها القريبة من البرج إلى ثكنة عسكرية . وما فتئوا مُقيمين فيها حتى نهاية القرن الأول الميلادى . وعند خروجهم منها ، أمست خالية من السكان، ولم يعد إليها أحد قبل الثورة اليهودية الثانية ضد روما « ١٣٢–١٣٥م » ، وما أن أُخمدت هذه حتى عادت قُمران إلى سابق وحشتها . ونظراً لعدم خصوبة أرضها وملوحتها وعدم صلاحية المنطقة للزراعة أو لبناء وحدات سكنية أو إقامة مشروعات حيوانية ، ظلّت مهجورة حتى يومنا هذا .



موقع
قُمران بالنسبة للبحر الميت

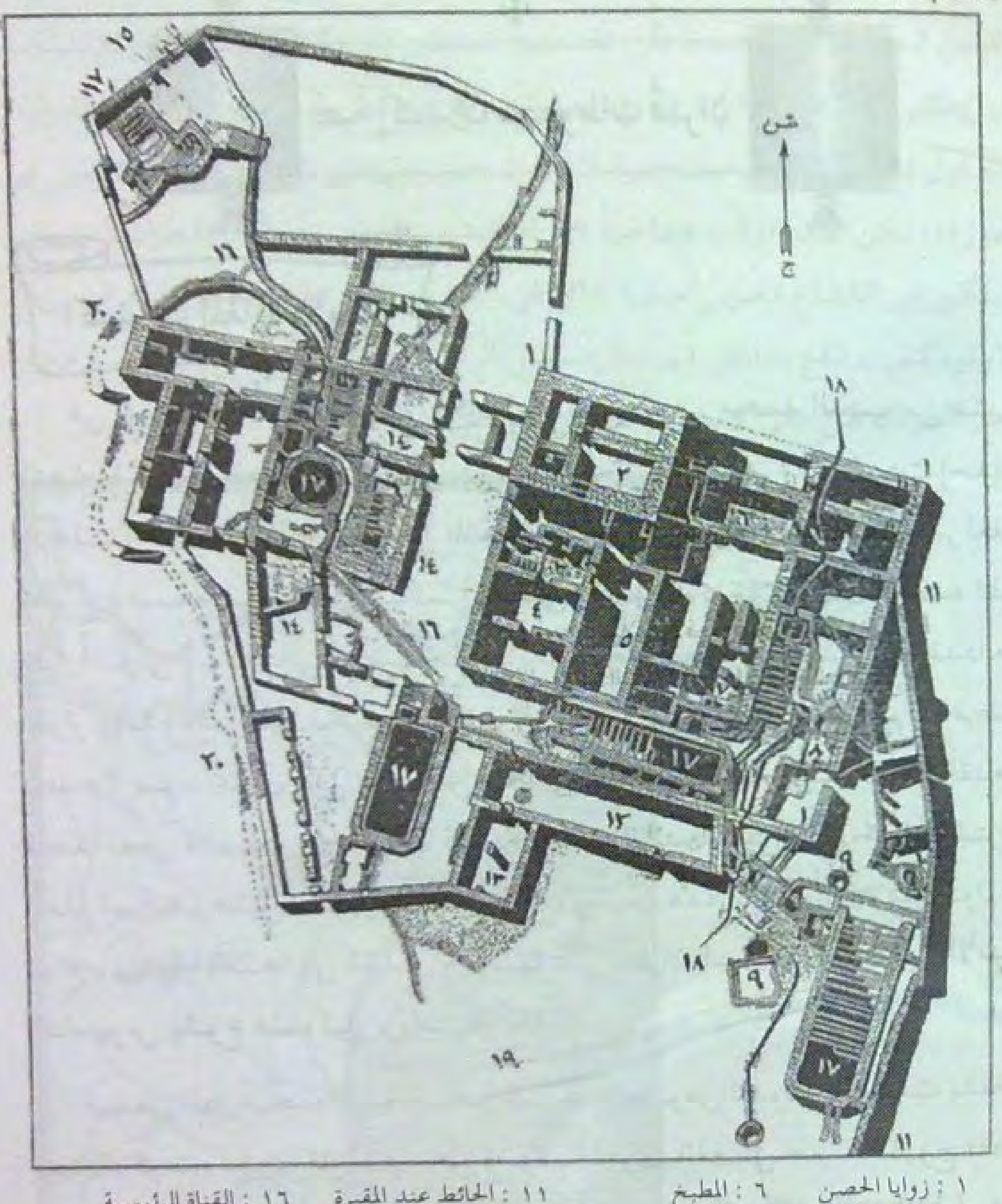
وعلى بعد حوالى ٢ كيلو متراً إلى الجنوب من قُمران ، قرب **عين فشخة**، اكتشف دى ڤو De Vaux عام ١٩٥٨م، بقايا مبنى آخر معاصر لمبانى نُساك قُمران، وهو ما يثبت أنهم انتشروا أيضاً فى المناطق القريبة ، كما عُثر على مصنع صغير لدبغ الجلود التى يستخدمونها فى الكتابة عليها ، وتُسمى هذه المنطقة **المرد** . كما عثر العلماء على كهوف تاريخية ، تحتوى على العديد من المخطوطات والأدوات فى منطقة **وادى المربعات** ، وهى تقع على بعد خمسة وعشرين كيلو مترا عن القدس إلى الجنوب منها ، وعلى بعد خمسة عشر كيلو مترا عن خربة قُمران وواديها ، إلى الجنوب الغربى منها . وأول ما لفت نظر علماء الآثار ، وجود خزان للمياه يعود إلى العهد الرومانى ، وقد عثر المنقبون على فؤوس وسكاكين ومكاشط وأدوات خشبية قيمة ، أما بعض السرُج فتعود إلى أواخر القرن الثانى قبل الميلاد .

وكان أول سؤال شغل فكر علماء الآثار ، منذ بداية الاكتشافات هو : من هم أصحاب هذه المخطوطات ومن هم سكان موقع قُمران وزمن وبيئة وأهداف هذه الكتابات . ولمعرفة ذلك كان لابد من قراءة النصوص بتمعّن ، وتأريخ المكتشفات الأثرية بدقة ، ووضع منهج متكامل لدراسة الوثائق من كافة النواحى .

ومن حسن الحظ ، أن كشفت النصوص التى لم تكن معروفة من قبل ، عن تنظيم دقيق للجماعة ، بدءاً بتحضير العضو الجديد ودخوله فى الطائفة ، ثم بتنظيم حياته كاملة وفق شرائع صارمة تعتمد مثالاً روحياً مع التجرد من كافة الأمور الأرضية . وكان ذلك يشير بالنسبة للمختصين إشارة واضحة إلى نمط حياة طائفة الأسينيين الذين سكنوا قُمران . وقرر أغلبية العلماء أن نصوص قُمران ، تمّ نسخها بعدد كبير خلال القرن الأول الميلادى ، وبعدد أقل خلال القرنين السابقين له قبل الميلاد ، وترجع بعض النُسخ إلى القرن الثالث قبل الميلاد .

ولكى نقف على تحديد تاريخ كتابة هذه المخطوطات ... كان لزاماً أن نسرد قصة اكتشاف هذه المخطوطات ، وكيفية التعامل معها علميا ، من خلال أشهر

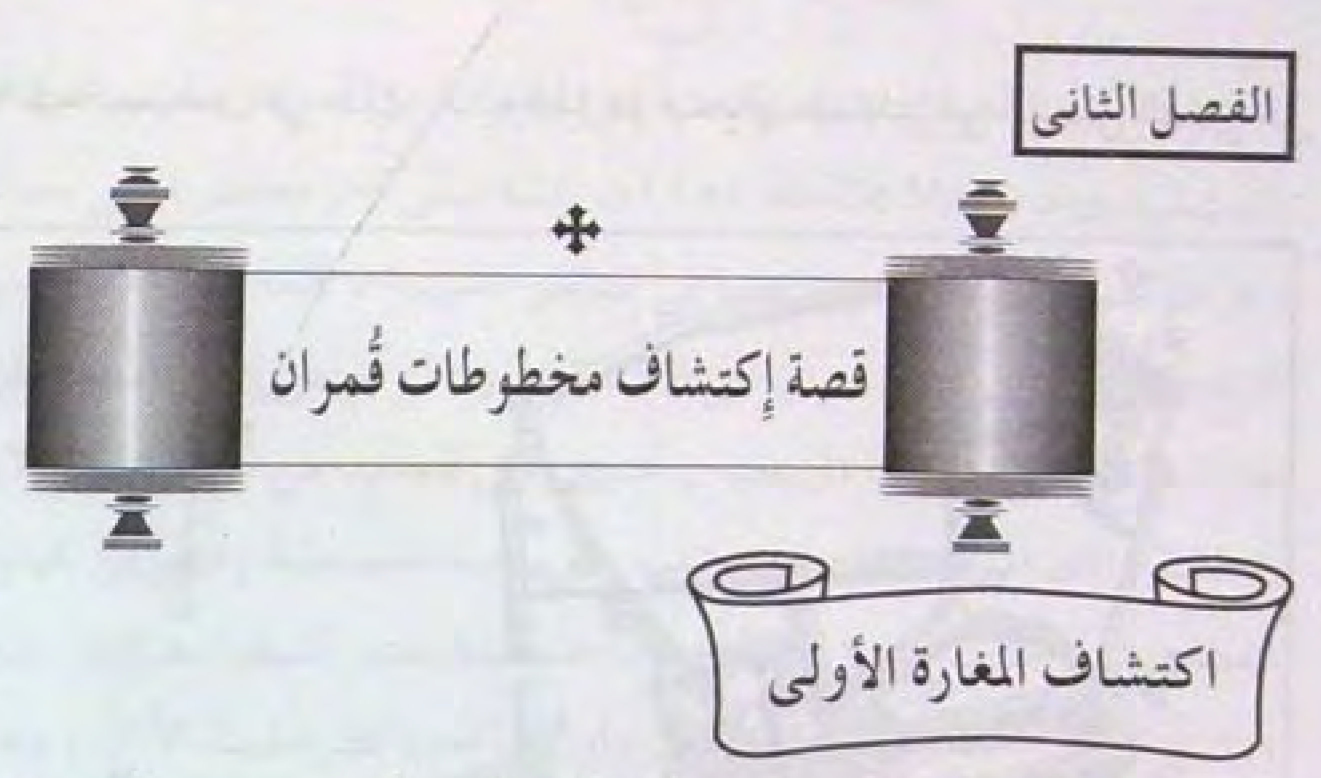
العلماء المتخصصين فى ذلك ... وهذا هو مجال حديثنا فى الفصل الثانى من الكتاب .



١ : زوايا الحصن
٢ : البرج
٣ : السلم
٤ : غرفة الطعام
٥ : المكتبة
٦ : المطبخ
٧ : الدباغة
٨ : المغسلة
٩ : الفاخورة
١٠ : أفران الفاخورة
١١ : الحائط عند المقبرة
١٢ : قاعة الإجتماع
١٣ : خزانة الأوانى
١٤ : المصانع
١٥ : إتصال الأقنية
١٦ : القناة الرئيسية
١٧ : الصهاريج
١٨ : شق الزلزال
١٩ : الساحة الجنوبية
٢٠ : الحائط الركن الغربى

رسم توضيحى لأطلال قُمــران

الفصل الثانى



قصة إكتشاف مخطوطات قُمران

اكتشاف المغارة الأولى

فى ربيع عام ١٩٤٧ ميلادية ، كان أحد البدو يُدعى **محمد الديب** من عشيرة التعامرة ، يرعى قطيعاً من المعزى فى منطقة خربة قُمران ، وقد شردت إحداها ودخلت إحدى المغاور المنتشرة فى المنطقة . فما كان منه إلا أن قذفها بحجر لعلها تخرج ، فسمع صوت فخار يتكسّر ، فأطل برأسه إلى داخل الكهف فوجده مملوء جراراً . وفى اليوم التالى أحضر أحد أقربائه ودخلا المغارة ، فوجدا فيها عدداً من الجرار سالمة وعدداً منها مكسراً ، يبلغ إرتفاع الجرة منها أكثر من ٦٠ سم ، وعرضها نحو ٢٥ سم ، تحتوى على دروج من الرق ، ملفوفة فى نسيج من كتان بالغ القدم . فأخذا بعض هذه الدروج ، وذهبا بها لأحد محال التحف فى بيت لحم ، فاشتراها المعلم اسكندر خليل الشهير بـ« **كاندو** » . وبقيت هذه الدروج لديه فترة دون أن تباع ، وأخيراً أخذها إلى القدس وعرضها على مطران السريان الأرثوذكس **الأنبا اثناسيوس يشوع صموئيل** ، فاشتراها منه.

فحص المطران هذه الدروج ، فوجد أن النصوص المدونة ، كتبت باللغة العبرية، فوعده بشراء كل ما فى حوزته. وقد اشترى بالفعل خمسة دروج فقط. وقد عرض المطران أحد هذه الدروج على الدكتور **سوكينيك** Sukenik أستاذ الآثار فى الجامعة العبرية فى القدس (وهو أحد العلماء القلائل الذين يُرجع إليهم فى الكتابات العبرية القديمة) ، فقرر أن الدرج الذى فحصه هو **سفر إشعياء**، وأن بقية الدروج هى مخطوطات أثرية قديمة ، ذات أهمية بالغة.

وفى ٢٩ نوفمبر من العام نفسه ، عرض أحد تجار الأثريات ، ثلاثة دروج، على الدكتور سوكينيك ، فاشتراها لحساب الجامعة العبرية . وفى هذا اليوم نفسه صوّت المجلس العام للأمم المتحدة على تقسيم فلسطين التى كانت خاضعة للإنتداب البريطانى منذ عام ١٩٢٢ م . وانفجر الصراع بين العرب واليهود إثر هذا القرار ، وحاول د. سوكينيك مفاوضة الأنبا اثناسيوس على شراء المخطوطات التى فى حوزته، لكن كان الوقت متأخراً ، إذ تم تقسيم القدس ، وكان المطران السريانى يسكن فى القطاع العربى منها ، أى فى القدس القديمة (بطريركية السريان الأرثوذكس ، تقع بداخل دير مار مرقس الرسول، فى البلدة القديمة). وهكذا باشر الطرفان كلٍ على حدة بدراسة الوثائق التى فى حوزته .



موقع
مغاور قُمران

فحص المخطوطات

كانت مخطوطات المغارة الأولى هذه ، بحالة جيدة مما ساعد على سرعة نشرها ، فقد أرسل المطران بعض المخطوطات التى كانت بحوزته فى فبراير عام ١٩٤٨م، إلى المدرسة الأمريكية للبحوث الشرقية American School of Orientales Research وأثارت المخطوطات إهتمام العلماء الأمريكيين فوراً. وجاء جواب الدكتور وليم اولبرايت William Albright –العالم فى الأركيولوچية الكتابية بالولايات المتحدة – الذى أُرسلت إليه صور المخطوطات فى ١٥ مارس ، قائلاً : إنه أعظم اكتشاف لمخطوطات قديمة فى العصر الحديث . وكان قد توصَّل إلى النتيجة نفسها د. سوكينيك وأعلن فى مقال نشره فى أبريل عام ١٩٤٨ ميلادية ، عن اكتشاف مخطوطات عمرها أكثر من ألفى سنة .

وعندما تأيدت أهمية هذه اللفائف ، قامت حرب عام ١٩٤٨م ، فحالت دون تحديد المغارة الأولى ، والتنقيب فيها تنقيباً علمياً . وقد استطاع ضابط بلچيكى يُدعى فيليب Phillip Lippens – كان قد درس فى معهد العلوم الشرقية فى جامعة لوڤان قبل إلتحاقه بالجيش – تابع لهيئة الأمم المتحدة ، فى يناير من عام ١٩٤٩ م ، تحديد موقع المغارة التى جاءت منها المخطوطات ، وعلى إثر ذلك تشكلت لجنة رسمية مكونة من مستر چورچ هاردنج George Harding مدير دائرة الآثار الفلسطينية يعاونه الأب الدومينيكانى رولان دى ڤو R.De Vaux رئيس معهد ابحاث الكتاب المقدس الدومينيكى فى القدس – المعروفة باسم **المدرسة التوراتية** – بتنقيبات منهجية ، أكدوا أصالة الدروج التى أُكتشفت ، إذ كانت المغارة مليئة بالكسر الفخارية ، التي أُرجعت بعد دراسة دقيقة للعصر الهلينى (أى القرن الثانى قبل الميلاد) . وواصل العلماء التفتيش عما تبقى ، فجمعوا حوالى ألف قصاصة من الرقوق الجلدية والبردى ، وكميات من قطع الخزف ،

وسراجاً رومانيا وقطعاً من الكتان الذى كان قد استُعمل فى لف الدروج لوقايتها . وبعد التفاهم مع عشيرة التعامرة ، أمكن شراء كل اللفائف التى عثروا عليها فى المغارة الأولى ، التى طالبوا مقابلها مبالغ باهظة . وتبين أن المغارة الأولى ، كانت مستودعاً لمكتبة تتكون من نحو مائتى لفافة ، علاوة على مئات القصاصات من المخطوطات الكتابية والأبوكريفية * وغير الكتابية .

وفى هذه الأثناء ، توالى نشر مخطوطات المغارة الأولى هذه . فمنذ عام ١٩٥٠م، نشر الأمريكيون : بوروز Mullar Burrows مدير المعهد الأمريكى للبحث والتنقيب ، ومستر براونلى William Brownlee ومستر تريڤير Dr. John Trever، درجاً كاملاً لسفر إشعياء وشرح سفر حبقوق . وفى عام ١٩٥١م، نُشر كتاب « نظام الجماعة »، الذى يشمل على القواعد التى تحكم حياة نُساك قُمران . أما الدكتور سوكينيك Dr. Sukenik ، فقد نشر عام ١٩٥٤م لفافة أخرى تحتوى على سفر إشعياء بالإضافة إلى مخطوطة عبارة عن كتاب

---

* **ابوكريفا** : ان كلمة « ابوكريفا » كثيراً ما تُطلق الآن على ما يُسمى بـ« الكتابات الدينية المزيفة »، وسُميت هكذا لانها تُنسب إلى كُتّاب لا يمكن ان يكونوا قد كتبوها حقيقة مثل : اخنوخ – موسى – إبراهيم – لامك ... الخ، فهذه الشخصيات المنسوبة إليها هذه الكتب، من اشهر الشخصيات فى تاريخ العهد القديم ، ولا شك فى ان الهدف من نسبتها إليهم هو لإضفاء اهمية واصالة عليها . فالكلمة ابوكريفا بمعنى **خفى – غامض – مبهم** ، كانت تُطلق اولاً على الكتابات الدينية التى كانت تحمل معنى أنها قاصرة على دائرة معينة ضيقة ، لا يمكن لمن هم خارج هذه الدائرة أن يفهموها . ثم أُطلقت فى العصور المسيحية على الكتابات الغير قانونية سواء فى العهد القديم أو العهد الجديد ، وبخاصة الكتابات التى تحمل او تشمل على **رؤى** تتعلق بالمستقبل وملكوت الله و... الخ. وقد ساعد على حركة تاليف مثل هذه الكتب ، المذاهب الغنوسية وتعاليمها للخاصة. وقد تاثر هؤلاء الغنوسيون بالصوفية البابلية والفارسية وكتاباتها . ثم أصبحت كلمة « ابوكريفا » تعنى كتباً أقل اهمية وأضعف سلطاناً من اسفار العهدين – القديم والجديد – وقد حدث هذا لسببين :

١– أنه لا يمكن أن يكون قد أُوحى لكاتب ممن عاشوا بعد عهد الرسل .

٢– لا يمكن أن يُعتبر أى كتاب قانونياً ، إلا إذا كانت قد قبلته كل الكنائس الرسولية .

وبذلك اعتبرت كل الكتابات التى ظهرت فى القرن الثانى الميلادى وأُطلق عليها « ابوكريفا »، أنها نبعت أساساً من المذاهب الهرطوقية . والكنيسة القبطية الأرثوذكسية ترفض رفضاً تاماً كل الكتب الأبوكريفية ، مثلها مثل باقى الكنائس الرسولية .

« **نظام الحرب** » ومخطوطة ثانية عبارة عن كتاب « **المدائح** ». وفى عام ١٩٥٦ م ., نشر د. أفيجاد Dr. Nigel Avigad ود. يادين Dr. Yigael Yadin مخطوطة عبارة عن « **سفر لامك** » (أو التكوين المنحول). ونشر بارثيليمى Dominique Barthelemy ، د. ميليك Joseph Milik قصاصات أخرى وُجدت فى المغارة الأولى تحت اسم: **قُمران - الكهف الأول** ، فى المجلد الأول من سلسلة أوكسفورد التى سُميت : « اكتشافات فى صحراء اليهودية Discoveries in the Judaean Desert » الذى يُعد النشرة الرسمية للكتابات القُمرانية . كما عثر على أجزاء أخرى عبارة عن ملحقات لكتاب « **نظام الجماعة** »، ومقاطع كبيرة من الأسفار الكتابية للعهد القديم ، وأجزاء من الأصل العبرى لمخطوطة كتاب « اليوبيلات ».



تجميع قصاصات المخطوطات

إكتشاف مغاور أخرى

كان لظهور مخطوطات قُمرانية أخرى متداولة بين أيدى باعة التحف القديمة ، سببا فى وصول الأب « **دى ڤو** » لفكرة وجود مغاور أخرى . فقام بتحريات جديدة مع فريقه واكتشف فى عام ١٩٥٢م المغارتين المرقمتين **٣ ، ٥** ثم عام ١٩٥٥م، المغاور **٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠** فى حين اكتشف البدو فى سعيهم للأموال التى درّتها عليهم المخطوطات ، المغاور **٢ ، ٤** (وهى الغنية جداً بالمخطوطات) ، **٦ ، ١١** . وبعد أن نقّب **دى ڤو** موقع خربة قُمران ، كما سبق وذكرنا ، استنتج : أن نُسّاك قُمران ، كانوا قد خبأوا مخطوطاتهم الثمينة فى المغاور عند قدوم الجيش الرومانى ، الذى استولى عام ٦٨ ميلادية بقيادة فسبا سيانوس على أريحا ، إلا أن د. سوكينيك له رأى مخالف ، وبرأيه فإن المغاور كانت مخازن للكتب التالفة أو المستعملة لدى الأسينيين وليست مخبأ لها ، لأنه كانت لليهود عادة عدم إتلاف أى كتاب مقدس مدوّن بالعبرية . لكن بعض العلماء توصل إلى استنتاج آخر ، حيث ذكروا أن هذه المغاور هى عبارة عن **غينزة** * حيث أن من عادة اليهود تكفين أية مخطوطة تزيد فيها **تصليح** ثلاثة أخطاء ، فتُلفّ المخطوطة فى كتان نقى (بمثابة الكفن) وتُوضع فى جرار (بمثابة القبر) ، فوصول العديد من المخطوطات بحالة جيدة ، دعا إلى هذا الإستنتاج . ولا ننسى أنه تم اكتشاف غينزة فى حجرة بجوار المجمع اليهودى بمصر القديمة . على أن هناك رأياً آخراً يقول : أن هذا العدد الكبير من المخطوطات ، كانت جزءاً من مخطوطات أخرى تم نقلها من قِبَلْ بعض الناجين من الطائفة ، خاصة وأن إشارات كثيرة تدل على أنهم كانوا منتشرين فى

---

* **الغينزة** : كلمة عبرية ، أصلها غَنَزَ بمعنى خبأ أو استودع . والغينزة هى غرفة ملاصقة للمجمع اليهودى ، تُودع فيها النصوص الكتابية والليتورجية ، التى لم تعد تُستعمل . كانوا يحفظون فى الغينزة هذه النصوص التى تتضمنّ اسم الله ، ولا يستعملونها فى أمور زمنية . بعد هذا - يدفنونها - فى أرض مباركة (غينزة واحيانا تنُطق جينزة ، ومنها كلمة جنّاز يعنى يدفن) .

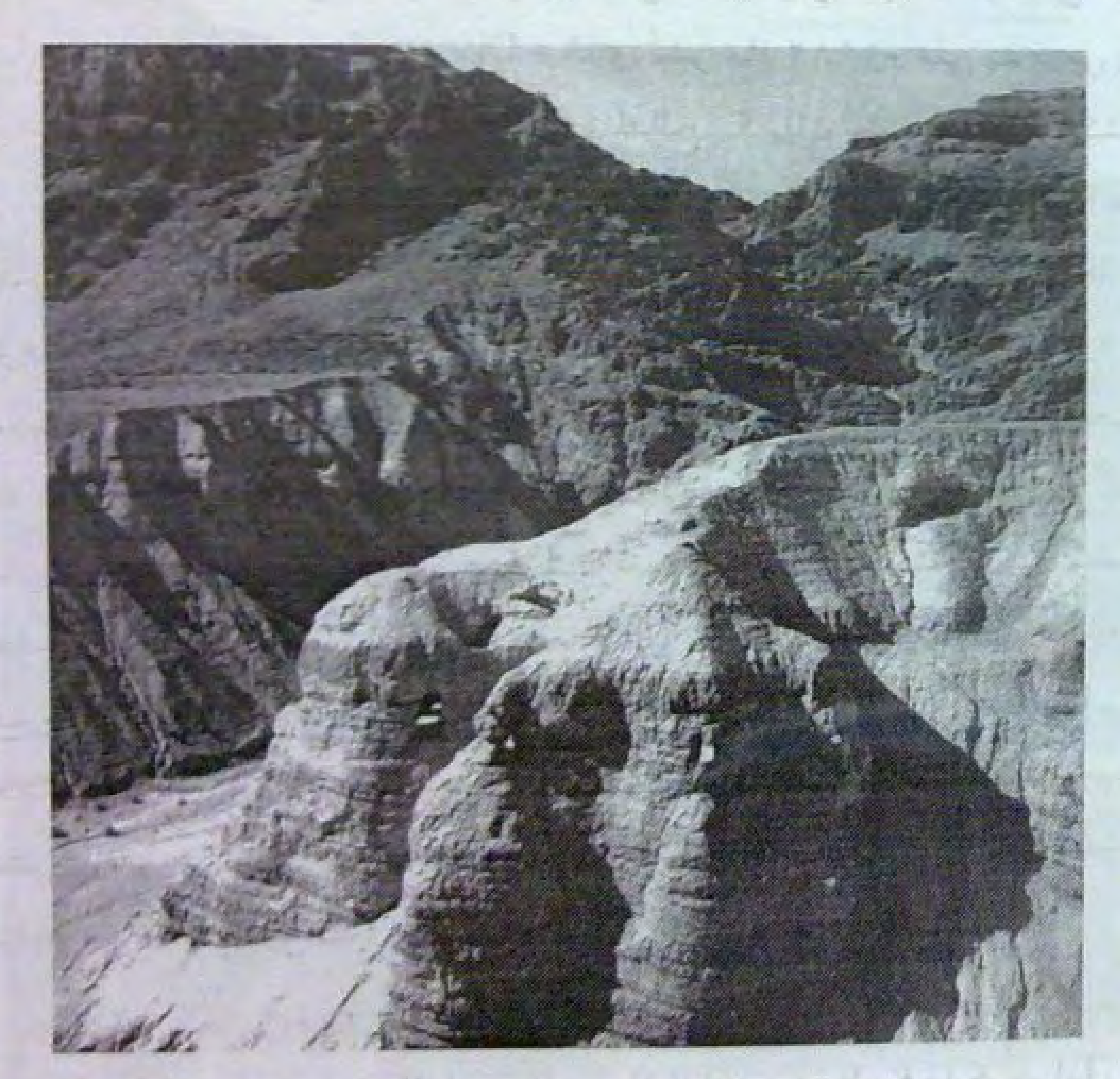
مواقع أخرى غير قُمران، بل وربما كانوا على صلة مباشرة مع إخوة لهم فى أماكن أخرى مثل دمشق . وهذا الرأى يعتمد أساساً على اكتشاف مخطوطة فى مغاور قُمران سُميّت « **وثيقة دمشق** » .



د. سوكينيك Sukenik يفحص مخطوطة « المدائح »

وقد نُشرت المخطوطات التى عُثر عليها فى المغاور رقم **٢** ، **٣** ، **٥** ، **٦** ، **٧** ، **٨** ، **٩** ، **١٠** ، المسُمّاه « المغاور الصغيرة »، عام ١٩٦٢ م على يد البروفيسور موريس بيليه Maurice Baillet والدكتور ميليك ، فى الجزء الثالث من سلسلة أوكسفورد « **اكتشافات فى صحراء اليهودية** Discoveries in the Judean desert » . وتستحق وثائق كثيرة من هذه

المجموعة الإشارة إليها ، فقد وجد بينها أجزاء من كتاب « وثيقة دمشق » . والشئ العجيب أن العالم شيختير Salomon Schechter ، كان قد نشر عام ١٩١٠م، مخطوطتين ترجعان للعصور الوسطى مصدرهما المجمع اليهودى فى مصر القديمة، سُميتا « وثيقة دمشق » ، الأمر الذى أعاد النقاش حول أصل النص . وسمحت بعض مخطوطات المغارة رقم « ٢ » ، للدكتور ميليك بالتعرّف على كتاب لنُسّاك قُمران مرتبط بكتابات أخنوخ . وكشفت المغارة رقم « ٥ » عن مقاطع آرامية هامة عنوانها **وصف أورشليم الجديدة** ، وهى محاولة معمارية فى ظاهرها لمدينة مثالية مُقسّمة إلى مربعات كاملة . ومن المغارة رقم « ٣ » جاء الدرج النحاسى المدون عليه أسماء الأماكن التى طُمرت فيها كنوز عديدة.



بعض مغاور قُمران ، وتظهر بوضوح المغارة الرابعة

وكانت المغارة رقم « **٤** » التى استُكشفت منذ عام ١٩٥٢ م، تعتبر من أغنى المغاور فى مخطوطاتها أيضاً ، وكثير من النصوص التى وجدت فيها ، نُشرت فى مجلات بدءاً من عام ١٩٥٤م، ومنها : **حبائل المرأة – تستمونيا** (هذا الكتاب عبارة عن آمال الطائفة بمجئ المسيح المنتظر) – **شرح سفر ناحوم – شرح المزمور ٣٧** . وقد أُعيد نشرها فى المجلد الخامس من سلسلة « Discoveries in the Judaean Desert »، الذى صدر عام ١٩٦٨م، وبتوقيع البروفيسور أليجرو J. Allegro ، ويشتمل هذا الجزء على وثائق أخرى هامة جداً، كنشاط الطائفة الأدبى وبقايا كتاب يتحدث عن أحقاب العالم .

وهناك مجموعة ثانية من المخطوطات وجدت فى المغارة رقم « ٤ » نُشرت فى المجلد السابع من سلسلة ... Discoveries » الذى نُشر عام ١٩٨٢م على يد . موريس بيليه ، وهذه المخطوطات غنية بالعديد من المدائح . كذلك نُشرت نصوص كثيرة من المغارة « ٤ » خارج سلسلة Discoveries . ونشير بشكل خاص إلى أجزاء الأصل الآرامى **لسفر أخنوخ الأول** وقد نشرها د. ميليك عام ١٩٧٦م، إضافة إلى **تقويم فلكى آرامى** مذهل يُعتقد أنه مُخصص للمسيّا ، ومخطوطة أخرى عبارة عن كتاب « **رؤيا عمرام** » أما النص المعروف بـ « **الطقس السماوى** » ، فكان معروفاً منذ عام ١٩٥٧م، لكن مخطوطات المغارة رقم « ٤ » التى أُستخرج منها لم تُنشر حتى عام ١٩٨٥م، وهو عبارة عن ترانيم لمحرقة السبت ، ويُشكل دُرّة الشعر الطقسى فى قُمران . ونذكر أخيراً بأن المغارة « ٤ » كانت غزيرة جداً بأسفار العهد القديم كلها ، عدا سفر أستير الذى لم يظهر له أى أثر . وبفضلها أُثبت أن أسفار العهد القديم، كانت موجودة ومقروءة كاملة فى قُمران ، وتؤيد تأييداً واضحاً **النص الماسورى** الشهير الذى يُشكل أساس الترجمة السبعينية اليونانية (سنشرح هذا الموضوع بالتفصيل فيما بعد) .

وكانت المغارة رقم « **١١** » آخر المغاور التى اكتشفت عام ١٩٥٦م، وفيها وُجدت نصوص أصلية لـ « **المزامير المنحولة لداود – أسطورة ملكيصادق** » .

ومن هذه المغارة أيضاً سُرقت نسخة لمخطوطة كتاب « **درج الهيكل** » ، وتم العثور عليها عام ١٩٧٦م عند بائع تحف قديمة فى بيت لحم ، ونشرت عام ١٩٧٧ م على يد د. يادين Yadin .



منظر عام لخرائب قُمران والتلال الصخرية فى المنطقة

تحديد تاريخ المخطوطات

كان لابد من التعاون العلمى والفنّى لتحديد تاريخ كتابة مخطوطات قُمران ، فتألّفَ فريق مكوّن من : د. سيكهان Sekehan الأستاذ فى جامعة واشنطون ، والدكتور كروس Cross الأستاذ فى كلية McCormik بشيكاغو ، والدكتور اليجرو Allegro الأستاذ المساعد فى جامعة مانشستر ، والدكتور ستاركى Starcky من مركز الأبحاث العلمية فى باريس ، ود. شتروجنل Strugnell من جامعة أوكسفورد ، والدكتور هانزنجر Hunzinger من جامعة Göttengen فى المانيا الغربية ، والدكتور ميليك Milik من مركز الأبحاث العلمية فى باريس . وأُسند لكل واحد من هؤلاء عمل علمى بحت ، وظهرت أبحاثهم فى سلسلة أوكسفورد للدراسات والتى قد ذكرناها من قبل : « اكتشافات فى صحراء اليهودية Discoveries in the Judaean Desert ، عُنيت بطبعها جامعة اوكسفورد

فى بداية الأمر رجّح د. سوكينيك ، أن اللفائف التى أطلعها عليه مطران السريان ، ترجع إلى تاريخ لا يتجاوز ٧٠ ميلادية ، وكان معنى هذا أن النصوص العبرية للعهد القديم قد تقدمت بها هذه المخطوطات إلى ألف عام سابقة لما كان بين أيدينا ، وأنها أقدم ما عرف من المخطوطات العبرية وأن قيمتها لا تقدر بمال الدنيا .

ومسألة تحديد تاريخ هذه المخطوطات ، تنطوى على أربعة جوانب أساسية ، فهى تمتد إلى تاريخ النسيج الكتانى الذى غُلّفت به اللفائف ، ثم التاريخ الدقيق الذى وُضعت فيه الجرار فى المغاور ، ومادة اللفائف نفسها ، ونوع الخطوط المستخدم فى الكتابة ، علاوة على أمور أخرى جانبية ، لكن هامة ، مثل : نوع مادة الحبر ونوع أداة الكتابة وطريقة الكتابة نفسها وطريقة تجميع اللفائف ..... الخ . فمثلاً فى حالة سفر إشعياء ، فإن أقدم مخطوطة موجودة الآن جاءت من المغارة الأولى ، ويرجع بها د. بوروز Burrows إلى حوالى سنة ١٠٠ قبل الميلاد ، اى بعد نحو ستمائة سنة من الوقت الذى أستودعها إشعياء لتلاميذه . أما شرح نبوءة حبقوق يعود إلى ما قبل سنة ١٠٠ قبل الميلاد ، وحيث أن الشرح يرجع إلى تاريخ أحدث من تاريخ السفر نفسه ، فيكون ذلك أقدم دليل على صحة نص هذا السفر الكتابى . ويتوقف تحديد تاريخ السفر – إلى حد ما – على تحديد قوات « كتيم » التى كانت موضع إهتمام الطائفة الأسينية ، والتى أختلفت الآراء فى تحديد هذه القوات المقصودة! فيقول البعض أنها القوات السلوقية لأنطيوكوس الرابع ابيفانس (١٧٥ – ١٦٤ ق.م)، أو أنها قوات اسكندر جانوس (١٠٣ – ٧٦ ق.م)، أو قوات الإحتلال الرومانى وبخاصة أيام الحرب اليهودية الأولى (٦٦ – ٧٠م).

لكن اخيراً أجمع العلماء أن مخطوطات وادى قُمران – سواء أكانت أصول مخطوطات أو نُسخاً منقولة عن الأصول – ترجع إلى فترة تاريخية بدأت فى نحو سنة ٢٥٠ قبل الميلاد ، وانتهت بهجران موقعهم فى قُمران فى سنة ٦٨ ميلادية . أما عن مخطوطات الكتب الخاصة بتدبير الجماعة مثل : نظام الجماعة – ملحق نظام الرعية – نظام الحرب – المدائح ..... وغيرها ، فترجع إلى الربع الأول من القرن الأخير قبل الميلاد .

أما قطع الفخّار التى أُستخرجت من المغارة الأولى ، فتعود إما إلى العصر الهلّينى فى القرن الأخير قبل الميلاد ، أو إلى العصر الرومانى فى نحو القرن الأول الميلادى . وللتعرّف على تاريخ قطع النسيج التى أخذت من المغارة الأولى ، فقد ثبت أنها نسيج كتّانى من الصناعة المحلية ، وقدر عمرها إلى مدة حدّها الأقصى ١٦٧ قبل الميلاد ، وحدّها الأدنى ١٠٠ بعد الميلاد ، وذلك بإستخدام طريقة الكربون ١٤ المشع ، والتى أستخدمها الدكتور ليبى Libby – أستاذ العلوم النووية فى جامعة شيكاغو (طريقة الكربون ١٤ المشع تقوم أساساً على أن كل كائن حى

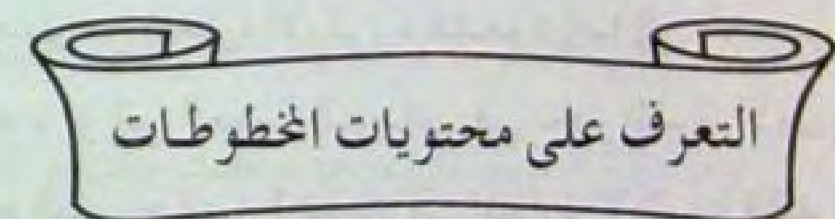
يحتوى على نسبة من الكربون ١٤ المشع غير ثابتة ، وتبدأ فى الإنحلال عندما يموت الكائن الحى . وحساب عمر المادة العضوية يتم بتحول الكربون المشع بالإحتراق إلى كربون عادى ، ثم بقياس بقايا الكربون ١٤ المشع المتبقى بعدّاد شديد الحساسية للإشعاع ، نستطيع تحديد تاريخها) .



أوانى فُخارية عُثر عليها فى مائدة الطعام بخرائب قُمران



محبرة من الفخار المحروق عُثر عليها فى قاعة النساخة بخرائب قُمران



التعرف على محتويات المخطوطات

إذا ألقينا نظرة سريعة على محتويات اللفائف الكبيرة ، مبتدئين باللفافة الأولى لسفر إشعياء ، وقد وجدت فى حالة جيدة تسترعى الأنتباه ، وهى تتكون من ٥٤ عموداً من الخط العبرى الواضح ، مكتوبة على ١٧ رقعة من الجلد ومُخاطة كل منها فى طرف الأخرى ، وطولها حوالى ٢٤ قدماً (٧,٢٠م) وعرضها نحو القدم (٣٠ سم) ،ومتوسط عدد السطور فى كل عمود ٢٩ سطراً ، ومُقسمّة

بوضوح إلى فقرات وأقسام . وبالرغم من كثرة الأيدى التى تداولت المخطوطة فى أيام مُجتمع قُمران ، فإنه لا توجد بالمخطوطة سوى عشر فجوات ونحو إثنى عشر ثقباً صغيراً ، مما سهّل استعادة النص المكتوب بالمخطوطة . وتبين أن عدداً من الأيدى اشتركت فى كتابة المخطوطة ، وفيها تصويب لأخطاء الكتابة بطرق مختلفة ، وتوجد بعض العلامات الغريبة فى الحواشى ، يبدو أنها وضعت بغرض تقسيم النبوءة للقراءات فى العبادة . ولعل الأخطاء فى الكتابة – وهى محدودة جداً – فى اللفافة الأولى لسفر إشعياء ، جاءت نتيجة أن المخطوطة كُتبت إملاءً – حسب رأى العلماء – وبتجاوز هذه الأخطاء الإملائية ، نجد أنها تؤيد تأييداً شديداً النص الماسورى الشهير .

وهجاء الكلمات فى هذه اللفافة يدل على بعض الخصائص الصوتية التى تبدو أقل وضوحاً من النص الماسورى ، ويبدو أنها كانت فى ذلك الوقت أسلوباً مألوفاً فى الهجاء لتسهيل القراءة بدون تغيير النُطق المألوف . وهذا التحوير فى الهجاء له قيمته فى تمكين العلماء من تحديد أسلوب نُطق حروف المدّ فى اللغة العبرية قبل العصر المسيحى ، كما يدل على أن اللغة العبرية ظلت لغة حيّة حتى القرن الثانى قبل الميلاد .

أما اللفافة الثانية لسفر إشعياء والتى كانت فى حوزة د. سوكينيك ، فتتكون من جزء واحد كبير وأقسام أصغر ، ولم يمكن فك كتابة أغلبها إلا بتصويرها بالأشعة تحت الحمراء . وقد ضُمّت الأثنتان فى أربع رقاع ، تحتوى على الأصحاحات الأولى من النبوءة ، وكانت متوسط مساحتها ٦×١٠ بوصات مربعة ، بينما يشتمل الجزء الكبير على الثلث الأخير من النبوءة ، ومتوسط مساحتها ٨×١٨ بوصات مربعة. ويكاد النص فى هذه المخطوطة يُطابق عمليًا النص الماسوري، مع إستخدام الصورة القديمة للهجاء التى كانت مُستخدمة بعد العودة من السبى .



بروفيسور بيبر كراوت Bieberkraut يفحص مخطوطة « المدائح »

أما أوضح اللفائف كتابة ، فهى لفافة شرح سفر حبقوق ، وهى تتكون من رقعتين مُخيطتين معاً ، وطولها خمسة أقدام (١,٥٠ م)، وعرضها سبع بوصات (١٧,٥٠سم) . والكلمات – كما فى اللفائف الأخرى – مكتوبة على سطور خفيفة جداً مرسومة كما بالمسطرة على أعمدة . وقد تسبب تآكل الجلد فى ضياع بعض السطور فى أسفل كل عمود . ولم يصل إلينا منها سوى الأصحاحين الأولين من سفر حبقوق ، ولعل ذلك راجع إلى أن الأصحاح الثالث عبارة عن قصيدة شعرية ، لم يجد فيها الشارح ما يناسب نُسّاك قُمران . وقد أقتبس الشارح أجزاء

قصيرة من حبقوق ثم علّق عليها بنظرة **إسخاتولوچية** * أو مجازية بعبارات تتلاءم مع تاريخ نُسّاك قُمران . وواضح فيها قواعد التفسير الرمزى عند اليهود ، مع وجود اشارات إلى أمور خفية أُخروية ، مثل إعادة ترتيب الحروف والابدال بين الحروف المتشابهة ، وتقصير الكلمات المتشابهة أو تجزئتها . وهذا الشرح لا يوضح معنى النبوءة الكتابية ، ولكنه عوضاً عن ذلك يشرح وجود بعض الظروف داخل الجماعة التى جاءت منها اللفائف . وكانت معارضة الكاهن الشرير و « كتيم » الذى لا يرحم ، سبب المعاناة والألم المستمر ، لأن هاتين القوتين كانتا تمثلان العدوين – الروحى والزمنى – لأتباع طائفة قُمران .

أما ما يُسمى بكتاب « نظام الجماعة » ، فقد عُثر عليه فى قسمين منفصلين ، ضُمّا معاً فكونا وثيقة طولها ستة أقدام (١,٨٠ م)، وعرضها تسع بوصات ونصف البوصة (٢٣,٧٥سم) . ولقد كان طول اللفافة أصلاً سبع أقدام على الأقل ، ولكن ضاعت منها البداية . والكتابة فيها واضحة بصورة ملحوظة ، وأسلوب الكتابة يُشبه أسلوب الكاتب الذى نسخ المخطوطة الأولى لسفر إشعياء . وقد كُتب النص على أحد عشر عموداً ، وبكل عمود نحو ستة وعشرين سطراً تقريباً (لا نعرف عدد السطور على وجه التحديد ، نظراً لما أصاب المخطوطة من تلف) . وتُعتبر هذه الوثيقة أهم مصدر لمعرفتنا أسلوب حياة نُسّاك قُمران . وهى تبدأ ببيان الأمور والشروط الواجب توافرها فيمن يشتهون **الدخول فى العهد** ، ثم يلى ذلك سرد الطقوس اللازمة للإنضمام للجماعة . ويتناول جزء من النص تعليم جماعة قُمران عن الإنسان ثم بعد ذلك قوانين الجماعة ، وهى تشغل خمسة أعمدة ، وتُختم المخطوطة بمزمور تعبدى .

* **إسخاتولوچية** :وهو علم يبحث فى الأخرويات ، يعنى بها الافكار السائدة فى اى حقبة عن الحياة الآتية ونهاية العالم (القيامة ، الدينونة . وفى العهد الجديد : المجئ الثانى) والمصير الأبدى للبشر .



مخطوطة « سفر التكوين الأبوكريفى » قبل فحصها

وعند العثور على مخطوطة « **المدائح** » (بعض العلماء يُسمّون هذه المخطوطة « الترانيم »)، كانت تتكون من أربعة أجزاء منفصلة ، كان أحدها بالغ الصعوبة فى فضّه ، وكانت أجزاء من هذه المجموعة قد أصابها التلف الشديد واحتاجت إلى تصويرها بالأشعة تحت الحمراء حتى يمكن قراءتها . وكانت الوثيقة الأصلية تتكون من خمسة عشر عموداً ، كل منها ارتفاعه اثنتا عشر بوصة ، وبكل عمود نحو تسعة وثلاثين سطراً ، ولعل طولها الإجمالى كان يبلغ نحو سبعة أقدام ونصف القدم (٢,٢٥م) . ويدل الخط على أنه كُتب بيد كاتبين اثنين ، ويبلغ عدد « المدائح » نحو عشرين مديحة ، وهى تعطينا فكرة مُتميّزة عن كتابة المدائح أو الترانيم قبل العصر المسيحى . تحتوى مخطوطة المدائح على نوعين من الترانيم : ترانيم الشكر – ترانيم البركة ، وهذه المجموعة تشبه فى كثير من النقاط التراث اليهودي. أما فيما يتعلّق بالعلاقة الشخصية بين الله والإنسان المتعبد ، فهى شديدة الشبه بالفكر الموجود فى سفر المزامير .

وآخر هذه اللفائف ، التى كانت فى حوزة مطران السريان ، فقد استعصت فى البداية على العديد من المحاولات لفضّها ، وأخيراً أُعلنت محتوياتها فى سنة ١٩٥٤م، وتدل حالة التلف البادية عليها ، على أنها تعرضت لظروف مناخية غير مواتية ، واستلزمت قراءة النصوص جهوداً شاقة . كانت النظرة الأولية توحى بأنها « سفر لامك » الأبوكريفى – هذا السفر لا تعترف به الكنيسة – ولكن ثبت فيما بعد أنها ترجمة آرامية لبعض الأصحاحات من سفر التكوين فى صياغة لغوية

أخرى، مع إضافات من التفسيرات اليهودية لحياة الآباء .ولعلّ اللفافة الأصلية ، كانت تسعة أقدام طولاً (٢,٧٠م) ، ونحو قدم واحد عرضاً، وقد كُتب النص بخط واضح ، ولكن يبدو ان الحبر تفاعل مع جلد الرقوق وأحدث بها ثقوباً ، مما يدل على العجلة أو عدم العناية الكافية فى تجهيز مواد الكتابة .



قصاصة من مخطوطة « المدائح » (على اليسار : القصاصة بالتصوير العادى ، على اليمين : القصاصة مصورة بالأشعة تحت الحمراء)

أما اللفافة التى تُسمى بكتاب « **نظام الحرب** » ، فقد نشرها أولاً د. سوكينيك تحت عنوان : **الحرب بين أبناء النور وأبناء الظلمة** ، وكانت محفوظة فى حالة جيدة . وعندما بُسطت كان طولها تسعة أقدام وعرضها نحو سبع بوصات ، وقد كُتب النص فى أربع صفحات على ثمانية عشر عموداً مع بقايا عمود آخر من الصفحة الخامسة التى كانت تكمل اللفافة . وهذه المخطوطة تُعالج بأسلوب أُخروي، موضوع مواصلة الحرب بين « إسرائيل الحقيقى » كأبناء النور ، « وأعداء إسرائيل من الأمم الوثنية »، كأبناء الظلمة . ويبدأ الموضوع بمقدمة قصيرة

ثم سلسلة من التوجيهات المسهبة لإدارة المعركة ، والصلوات العديدة التى يجب أن يُصلّيها أبناء النور فى الأوقات المختلفة .

أما عن الثلاث قصاصات – الكبيرة نوعاً – والتى عُثر عليها فى المغارة الأولى ، فتبين أنها من سفر دانيال ، ومن لفافتين مختلفتين ، تنتمى إثنتان منهـا – من جهة الخط – إلى لفافة إشعياء الكبيرة ، بينما الثالثة شديدة الشبه بخط تفسير حبقوق . وتحتفظ إثنتان منها بأجزاء من نفس الأصحاح من دانيال ، بينما تشتمل الثالثة على الجزء الذى بدأ فيه القسم الآرامى من سفر دانيال . والنص فى مجموعه هو النص الماسورى ، والفارق الوحيد هو فى هجاء الكلمات كما فى اللفافة الأولى من سفر إشعياء .

أما قصاصات المغارة الثانية ، وهى أكثر من ٢٠٠ قصاصة ، تبين أن البعض منها أجزاء من التوراة والمزامير وسفر إرميا وسفر راعوث ، لكن القسم الأكبر منها يحتوى على نصوص غير كتابية ، هى فى معظمها رؤوية أو مسيانية فى طبيعتها . وقصاصات المغارة الثالثة (على بعد نحو ميل إلى الشمال من المغارة الأولى) – فهى عدة مئات – تبين أنها من أسفار كتابية وأخرى غير كتابية ، مختلطة معاً . وأهم كشف من هذه المغارة ، كان العثور على لفافتين نحاسيتين ، نجتا من الدمار عندما إنهار سقف المغارة فى زمن قديم . وكانت احدى اللفافتين من جزءين ، ويبدو أن الشريحتين كانتا أصلاً موصولتين ، تكونان صحيفة معدنية طولها نحو ثمانية أقدام (٢,٤٠م) وعرضها قدم واحد . وقد احتوت اللفافتان على قائمة بنحو ستين مخبأ حُفظت فيها كنوز من الذهب والفضة . وهذه الكنوز المخبأة ، لم تجد تفسيراً من العلماء حتى الآن ، خاصة أن مثل هذا القدر من الثروة لا يتفق مع طبيعة نُسّاك قُمران وقوانينهم ، التى من أهم مبادئها حياة الزهد فى الثروة . والنص نفسه بالغ الأهمية ، لأنه مكتوب باللغة الدارجة التى كانت شائعة فى القرن الأول الميلادى . ولم يكن لدينا – قبل اكتشاف هاتين اللفافتين النحاسيتين – شيء من

هذه اللغة الدارجة ، سوى بعض المؤلفات الدينية اليهودية ، أقدمها **المشناه** *التى ترجع إلى القرن الثانى الميلادى .

أما مخطوطات المغارة الرابعة ، فبلغت أكثر من ثلثمائة مخطوطة ، كان نحو ثلثها من الأسفار الإلهية ، وكان فيها قصاصات أيضاً من كل أسفار العهد القديم (عدا سفر أستير) ، مع بعض الأسفار الأبوكريفية . كما وجد بينها جزء من سفر العدد ، والذى تدُلّ لغته العبرية على أنه وسط بين ما ترجمت عنه السبعينية والسامرية . وهناك جزءان من سفر صموئيل أحدها قريب من النص الذى ترجمت عنه السبعينية والآخر يفوق السبعينية والماسورية .



جرار فخارية عُثر بداخلها على سبع لفائف كاملة

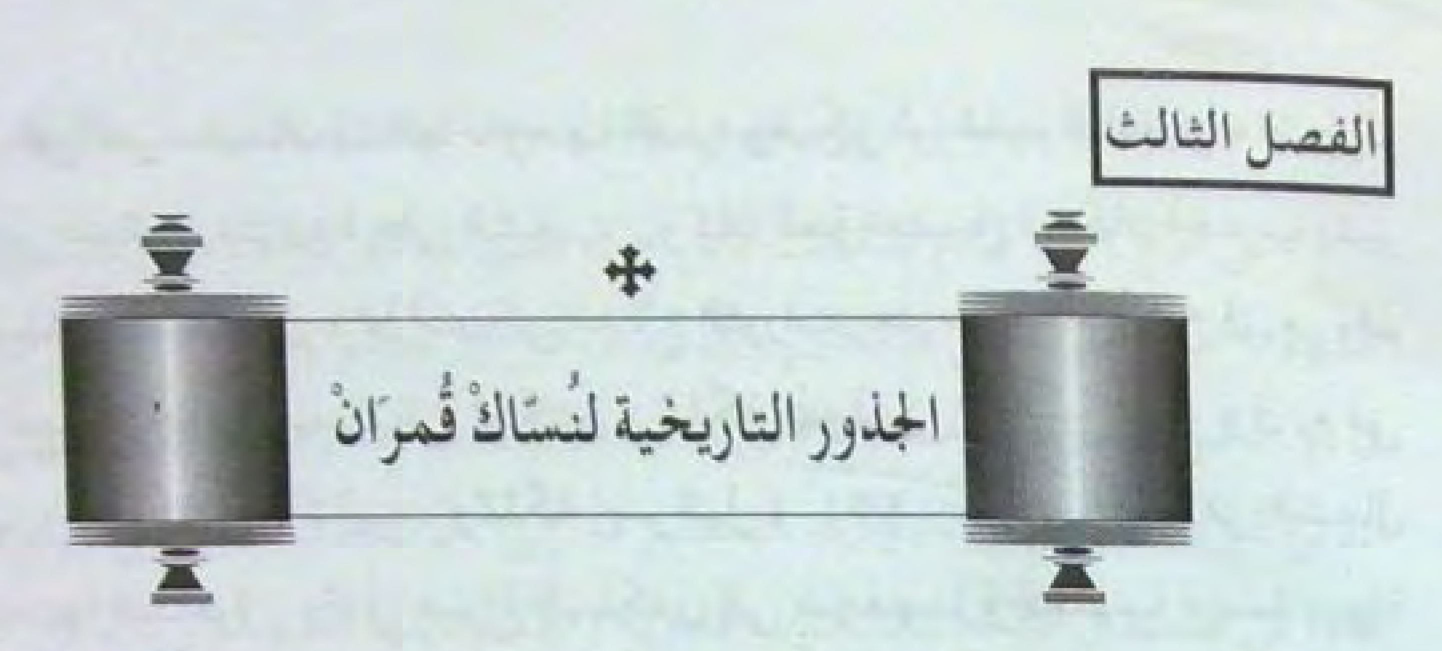
* **المشناه** : كلمة عبرية تعود إلى فعل « ش ن هـ » الذى يعنى « ردد ، كررّ » وتأثر باللفظة الآرامية تنى (ومنها فى العربية : ثنى ، اثنين) ، فاتخذ معنى « درس » . والمشناه هى مجموع الشرائع الشفهية وتطبيقاتها المختلفة ، ثم بالوقت دُوّنت . وقد شكلّت نواة تلمود اورشليم وتلمود بابل .

وفيما يلى قائمة بعدد مخطوطات - الأسفار الإلهية - التي تم العثور عليها في مغاور منطقة قُمران . حسب إحصائية جامعة أوكسفورد التي وردت ضمن سلسلة : « اكتشافات في صحراء اليهودية Discoveries in the Judaean Desert » :

- عدد ١٥ مخطوطة لسفر التكوين – عدد ٥ مخطوطة لسفر الخروج.
- عدد ٨ مخطوطة لسفر اللاويين. – عدد ٦ مخطوطة لسفر العدد.
- عدد ٢٥ مخطوطة لسفر التثنية. – عدد ٢ مخطوطة لسفر يشوع
- عدد ٣ مخطوطة لسفر القضاة. – عدد ٤ مخطوطة لسفر راعوث.
- عدد ٤ مخطوطة لسفرى صموئيل. – عدد ٤ مخطوطة لسفرى الملوك.
- عدد ١ مخطوطة لسفرى أخبار الايام. – عدد ١ مخطوطة لسفر عزرا.
- عدد ١ مخطوطة لسفر نحميا. – عدد ٤ مخطوطة لسفر أيوب.
- عدد ٢٧ مخطوطة لسفر المزامير. – عدد ٢ مخطوطة لسفر الأمثال.
- عدد ٢ مخطوطة لسفر الجامعة. – عدد ٤ مخطوطة لسفر النشيد.
- عدد ١٨ مخطوطة لسفر إشعياء. – عدد ٤ مخطوطة لسفر إرميا ومراثيه.
- عدد ٦ مخطوطة لسفر حزقيال. – عدد ٨ مخطوطة لسفر دانيال.
- عدد ٨ مخطوطة أسفار الأنبياء الصغار.

هذا عدا آلاف القصاصات ، المدوّن عليها بعض أجزاء من الأسفار الإلهية ، وقد أمكن تحديد محتوياتها وقد نشرتها جامعة أوكسفورد.

ولكي نقف على إجابة السؤال الهام : من هم أصحاب مخطوطات قُمران ... ينبغي لنا أن نُسلّط الضوء على الجذور التاريخية لنُسّاك قُمران ... وهذا هو مجال حديثنا في الفصل التالي .



هدفنا في هذا الفصل من الكتاب هو التعرّف على تاريخ منطقة هامة كانت مركزاً للصراعات السياسية – الدينية ، ألا وهى **منطقة اليهودية** في جنوب فلسطين، أدت هذه الصراعات في النهاية ، إلى ظهور الطائفة الأسينية والتى أتخذت من منطقة **قُمران** مركزاً لتجمّعها . وأريد من القارئ العزيز ، أثناء قراءة ذلك التاريخ أن يضع في اعتباره نقطة هامة ، هى **الرابطة الوثيقة التى تجمع الدين والسياسة في التاريخ اليهودى** . هذه الرابطة هى التى تُفسّر لنا نشأة الطوائف الدينية اليهودية وصراعها ، وإلى أى حد كان يمكن لجماعة دينية وذوى التطلعات الروحية البحتة ، أن يبحثوا عن خلاص من التردّى السياسى والأقتصادى ومن الجمود الدينى والتراجع الروحي، وذلك ضمن إطار الدين نفسه . وكانت هذه المعادلة الصعبة الحل – إلى حد كبير – هى الأمل الذى تمسّك به **الأسينيون** .

وسنبدأ هذا التاريخ من فترة السبى البابلى ثم فترة الحكم اليونانى إلى أن نصل لفترة حكم الحشمونيين وأخيراً تاريخ القضاء على تلك الطائفة بحلول الحكم الرومانى .

١- فترة العودة من سبى بابل

إذا رجعنا لفترة زمنية ليست بطويلة ... عندما اعتلى سليمان الملك العرش، بعد موت أبيه (داود الملك)، بلغ الازدهار السياسى والأقتصادى أوجّه ، وحافظ على مُلك أبيه إلى حد كبير . غير أن هذه المملكة لم تدم طويلاً . فالإنشاءات

الهائلة التى أمر سليمان ببنائها ، ومنها قصره وهيكل أورشليم الشهير ، اضطرته إلى فرض ضرائب متزايدة على الشعب . وكان ثمة تفضيل لسكان الجنوب يثير دائماً مشاعر الشماليين ، مما أدى إلى اندلاع الثورات بعد موته عام ٩٣١ ق.م. ولم تلبث المملكة أن انقسمت إلى مملكتين : **مملكة يهوذا** (٩٣١ - ٥٨٧) ق.م فى الجنوب وعاصمتها أورشليم ، **ومملكة إسرائيل** (٩٣١ - ٧٢١)ق.م فى الشمال وعاصمتها السامرة . وأدى صراع المملكتين إلى ضعفهما وجعلهما فريسة سهلة للأشوريين والبابليين . وسقطت السامرة بيد الأشوريين عام ٧٢١ ق.م، وسقطت أورشليم بيد البابليين عام ٥٨٧ ق.م، وأُسر أهلها وسيقوا بأعداد كبيرة إلى بابل (العراق) . وانعكس انفصال المملكتين سلباً على الناحية الدينية أيضاً . فقد شُيّد هيكلان كبيران ،هيكل فى مملكة الشمال مقابل هيكل أورشليم فى الجنوب . وكان الانقطاع عن وحدة مركز العبادة والتجاور من جديد مع العبادات الكنعانية سبب أزمة دينية عميقة . ولا شك أن تأثر الشماليين بالتيارات الدينية الكنعانية عمّق شعور النفور بين الفريقين . وقد أدى انفصال المملكتين إلى ظهور الأنبياء الكبار ، الذين حاولوا إعادة الوحدة بالرجوع إلى حق الله الأساسى فى العبادة الروحية . وكان لإنفتاح اليهودية على التيارات المحيطة بها عاملاً حاسماً فى الصراع السياسى - الدينى فيها .

وقد حاول الأنبياء الحفاظ على وحدة الشعب اليهودى ، لتتجاوز الإطار السياسى المضعضع - والدينى المشروخ . وقامت دعوتهم الدينية ، على تثبيت وتحديد الخطوط الأساسية للديانة وهى : الإله الواحد - العهد المبُرم مع الله - تنفيذ الشريعة - انتظار المسيا الذى سيُعيد مملكة داود الساقطة . كما أن سقوط أورشليم وتدمير الهيكل ، قد أدى إلى تحوّل كبير فى تاريخ الشعب اليهودى . فالعدد الكبير الذى أُقتيد من اليهود إلى بابل ، هناك نظموا أنفسهم وأصبحوا مزارعين أو مُلاكاً أو موظفين ، ووصل بعضهم إلى مراكز عالية . وظل الدين هو ما يجمعهم والركيزة الوحيدة لنظرتهم المستقبلية التى تتعمقّ وتتقوى بتذكّر المأساه، وهكذ-

تميزت هذه الفترة بنشاط دينى كثيف كانت نقطة انطلاق ما يُسمى **باليهودية** .

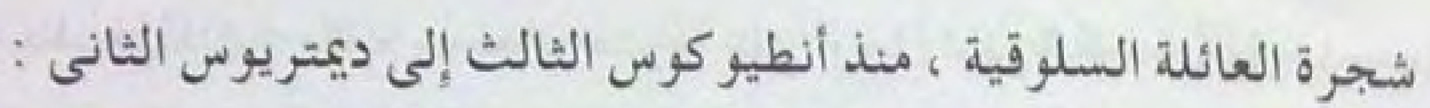
وفى عام ٥٣٩ ق.م سقطت بابل تحت ضربات الفرس ، ومنح كسرى الثانى اليهود حق العودة إلى فلسطين ، وبناء هيكل أورشليم ، عبر مرسوم عام ٥٣٨ ق.م. لكن محاولة الإعمار الأولى أُخفقت بسبب عدم مشاركة وتفهّم اليهود الذين لم يغادروا البلاد - ولابد أن نشير هنا إلى أن العدد الكبير من اليهود الذين ظلوا فى فلسطين اندمج بالشعوب الغازية وانفتح دينياً عليها ، وكان من الصعب عليه أن يتفهّم من جديد ، لماذا يجب إعادة بناء الهيكل ، الذى كان له مدلول سياسى أيضاً . وتطلّب الأمر انتظار وصول وفد من القادمين الجدُد من بابل دَعَمَ المطالبة ببناء الهيكل ، وتم ذلك بين عامى ٥٢٠ - ٥١٥ ق.م. وفى عام ٤٤٥ ق.م أعاد نحميا بناء السور ، ولعب دوراً بارزاً مع عزرا فى تثبيت أركان الشريعة الموسوية .

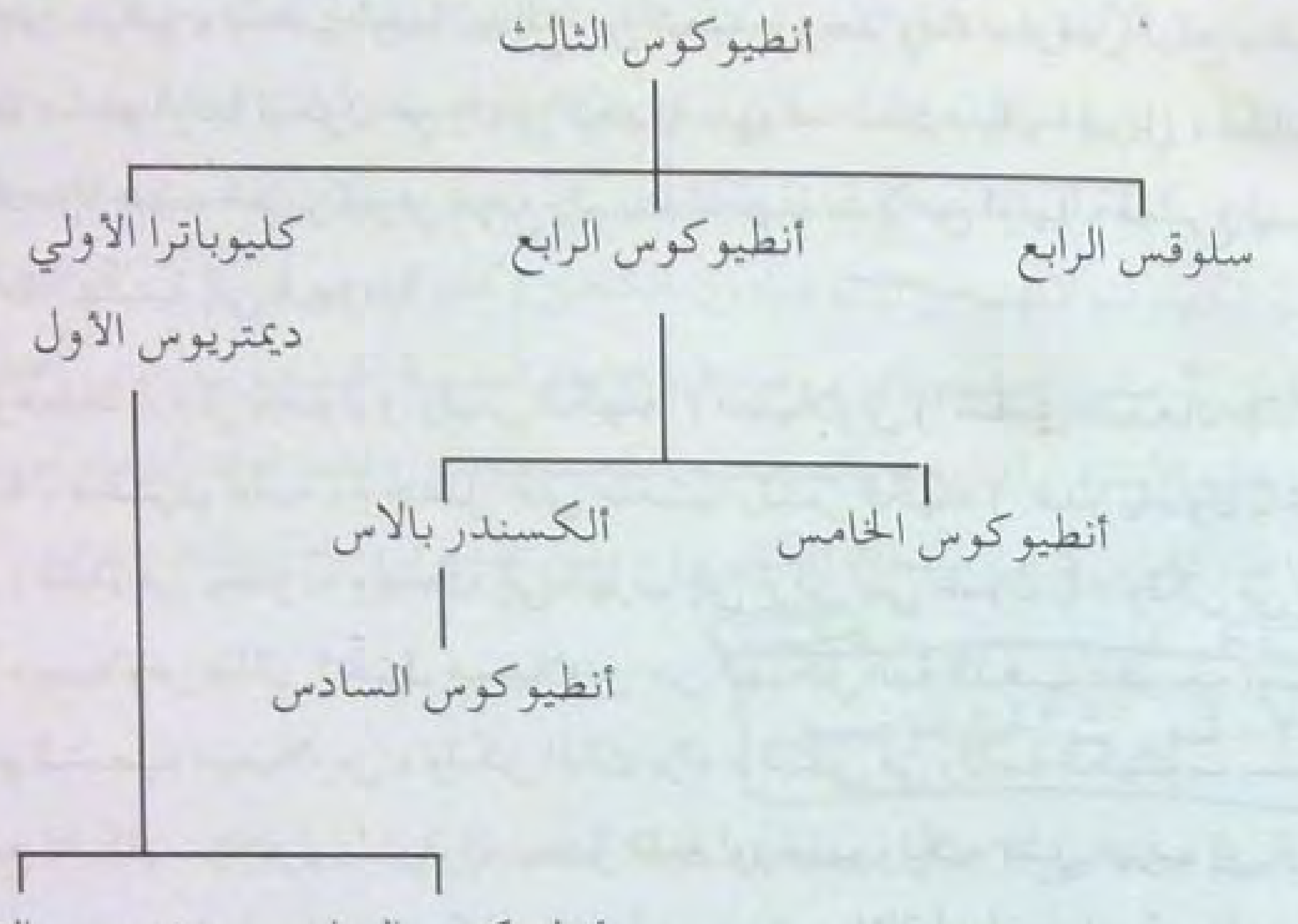
٢- فترة الحكم اليونانـــى

جاء نحميا إلى أورشليم حوالى السنة ٤٤٥ ق.م، ورمم الأسوار والأبواب ، حتى انتهى من العمل . وبعد أن أتخذ إجراءات فى سبيل الفقراء ، نظّم السكن فى المدينة ، ورتّب الحراسة ، ليعيش أهل أورشليم فى أمان . والحق يُقال أن الوضع الأقتصادى كان سيئاً والحالة الأخلاقية لا تدعو إلى الاعتزاز . وهكذا مرّت جماعة الراجعين فى فترة من الذلّ والعار ، يحيط بهم دمار واسع ، سمّاهم الأنبياء « **البقية الباقيـة** » وجعلوا أملهم فيهم . كانت الفترة التى احتل فيها الفرس **منطقـة اليهودية** فى القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد فترة استقرار . وقد ظهر رجال الدين خلال الفترة الفارسية كلها ، وخاصة بعد العودة من بابل وبناء الهيكل ، كرمز للأمة وقادتها ، وكان رئيس الكهنة يمثل أعلى سلطة محلية ويرث مركزه وراثة دون الشعور بالحاجة إلى مضامين هذا المركز من علم أو مميزات . فكما كان فى أيام

موسى مثلاً – فكرة **الميثاق الخالد** – الذى عقده الله للكاهن فينحاس سليل هارون وسلف **صادوق الكاهن** « فكلّم الرب موسى قائلاً : فينحاس بن ألعازار بن هرون الكاهن ، قد ردّ سخطى عن بنى إسرائيل بكونه غار غيرتى فى وسطهم حتى لم أفن بنى إسرائيل بغيرتى . لذلك قُل هأنذا أُعطيه ميثاقى ميثاق السلام . فيكون له ولنسله من بعده ميثاق كهنوت أبدى » عدد ٢٥ : ١٠ . هكذا أصبح أيضاً فى فترة الحكم الفارسي، فرئاسة الكهنوت كانت تُورّث لأبناء **صادوق الكاهن** . وهكذا طبع الفكر الكهنوتى الحياة الدينية اليهودية كما والسياسية والإجتماعية . وكان هيكل أورشليم مركز الحياة القومية ، وخرجت المبادئ اليهودية عن إطارها الضيّق ، فأقيمت صلات قوية مع بابل التى جاء منها التجديد الدينى .

ولم يُغيّر مجئ **الأسكندر الأكبر** عام ٣٣٢ ق.م، شيئاً من النظام فى منطقة يهودية ، كما لم يحاول الإسكندر صبغ البلاد بالصبغة الهلينية ، تماماً كما لم يعمل الفرس من قبل نفس الشئ . وبقيت أهمية فلسطين متواضعة بالنسبة له،كما أنه لم يلق مقاومة فيها إلا من السامرة وليس من أورشليم . لكن الوضع المتميز الجغرافى لفلسطين سرعان ما أدى إلى وقوعها فى خضم الصراعات بين خلفاء الإسكندر ، أى سلوقيّ سوريا وبطالسة مصر . وكان لابد لقادتها السياسيين – الدينيين من التحرك للحفاظ على مراكزهم . لقد سيطر البطالسة على فلسطين معظم الفترة بعد موت الإسكندر حتى عام ١٩٨ ق.م. وخلال هذه الفترة ظهرت أول ترجمة للتوراة إلى اليونانية على يد اليهود الذين استقروا فى الإسكندرية وتعلّموا اللغة اليونانية وفى عام ١٩٨ ق.م، انتصر السلوقى أنطيوكوس الثالث على البطالسة فى بانيون – **Panion** – وأخذ منهم اليهودية . وقد قام بتثبيت شريعة آباء اليهود واتخذ كل الإجراءات للبدء بإصلاحات الهيكل وحفظ قداسته . وعلى الرغم من أنه لم يظهر أية ضغينة لليهود ، إلا أنه لم يأخذ بعين الاعتبار المكانة الرئيسية لرئيس الكهنة فى أورشليم .





وعندما اضطر أنطيوكوس الثالث لدفع جزية عالية للرومان بعد خسارته الحرب ضدهم عام ١٨٩ ق.م، فقد قام بالإستحواذ على كنوز المعابد فى إمبراطوريته ، الأمر الذى أدى إلى أزمة بينه وبين اليهود . وتابع خلفه سلوقس الرابع السياسة نفسها . كانت أورشليم آمنه عامرة تحفظ الشرائع لما كان عليه **أونيا** * رئيس الكهنة من التقوى والبغض للشر (أونيا هذا هو رئيس الكهنة الشرعى وهو من سلالة أبناء صادوق الكاهن) .ولكن سمعان الوكيل على شؤون الهيكل ، اختلف مع أونيا وذهب فأخبر حاكم سوريا بأن الهيكل مليء بالأموال التى يمكن وضعها

* **أونيا** : هو أونيا الثالث ، رئيس الكهنة فى أيام حكم أنطيوكوس الثالث وسلوقس الرابع . كان هو المحامى عن ابناء وطنه والمدافع الغيور عن الشريعة ، إذ كان أميناً للعهد ، ورعاً فى مركزه كرئيس للكهنة . ومن الممكن أن يكون أونيا هو « مُعلّم البر » الذى تتحدث عنه جماعة قُمران ، فهى تتحدث عن مُعلّم برأس جماعة ولكنها لا تذكر اسمه . وكان مُضطهداً من قِبَل رؤساء الكهنة فى أورشليم (هؤلاء رؤساء الكهنة هم من نسل هرون ، لكن لم يكونوا من سلالة ابناء صادوق الكاهن) .

تحت سلطة الملك . وتابع سمعان افتراءه على أونيا رئيس الكهنة ، وأرسل رجاله فارتكبوا جرائم ، فذهب أونيا ليدافع عن شعبه . وبعد وفاة سلوقس الرابع ، عمل ياسون ، أخو أونيا ليكون هو رئيس الكهنة ، ووعد الملك بالمال الجزيل ، فكان له ما أراد ، إذ عيّنه أنطيوكوس الرابع رئيساً للكهنة بدلاً من أونيا ، فشرع يُدخل العادات الهلّينية إلى اليهودية .

وعندما أرسل ياسون (رئيس الكهنة) مينيلاوس (شقيق سمعان) ، فى مهمة ، فافترى عليه ، وحصل على منصب رئيس الكهنة [غدر ياسون بأخيه أونيا ، فجاء من يغدر به ويُلجئه إلى الهرب إلى أرض بنى عمون] . ولكن من أين يأتى مينيلاوس بالمال ؟ سرق مينيلاوس من الهيكل آنية الذهب ، فوبخّه أونيا . وأتهم الشعب مينيلاوس ، ولكن الملك برّأه ، فبقى فى رئاسة الكهنوت بسبب مطامع الحكام . وحاول ياسون أن يحتلّ قلعة أورشليم ولكنه فشل فهرب إلى أرض بنى عمون . وبعزل ياسون ، كان ذلك آخر عهد **سلالة أبناء صادوق** بالمنصب الكهنوتى الرفيع . وحلّت القطيعة عندما استطاع مينيلاوس بسبب حقده على هذه العائلة ، الحصول على أمر بقتل أونيا عام ١٧٠ق.م بأمر من أنطيوكوس الرابع. وأدى ذلك إلى تكتل أنصار أونيا وياسون فى وجه مينيلاوس .

كانت تواجه أنطيوكوس الرابع مشاكل خارجية خطيرة فى تلك الآونة ، إذ كان الرومان قد وضعوه فى مأزق فى مصر . فما كان منه إلا أن قام برد فعل عنيف ضد سكان أورشليم . واقتحم قائده أبولونيوس المدينة وأنشأ إلى جانب الهيكل قلعة لجأ إليها اليهود المتهلّنون بحماية الجيوش السورية ، ومنع ممارسة العبادة التقليدية فى أورشليم . ويُبين سفر المكابيين الثانى ، أن أنطيوكوس أراد كسر الثورة ضد مينيلاوس إذ كان لديه عدد من الأسباب ليشك بأنها كانت موجهة ضده أيضاً . وكان هذا القمع يؤجج الثورة التى اتخذت صبغة دينية . ولا يذكر سفر المكابيين إلا الجانب الذى كان **للحسيدين** فى هذا الصراع (وهى من العبرية : **حسيديم** أى البررة – المخلصون – الأنصار . ومن الحسيديين تفرّع

الفريسيون والأسينيون) ، وهم الذين كانوا مستعدين للتضحية بأرواحهم من أجل الميثاق الإلهى . لكن الذى استلم القيادة فى النهاية كان رجلاً من عائلة كهنوتية (من نسل هرون ، لكن ليس من أبناء صادوق ، وهذا سبب عداء الأسينيين لكهنة أورشليم فى فترة المكابيين . إذ أنهم يعتبرون أنفسهم أنهم أحق برئاسة الكهنوت لأنهم من أبناء صادوق الكاهن وكان آخرهم أونيا) ، هو **يهوذا المكابى** * سليل حشموناى ، ومن هنا جاءت تسمية الحشمونيين التى أُعطيت لأفراد هذه الأسرة . أما بغض الفريسيين للحشمونيين، فقد تولّد ابتداء من أيام يوحنا هيركانوس (أبن سمعان المكابى) ، وبلغ أشده فى أيام إسكندر يناى .

٣- ثورات الحشمونيين

قامت عائلة من الأبطال ، بقيادة متتيا الحشمونى ، الذى حرّكه شقاء شعبه ، فأعلن الثورة على السلطات ، وبدأ الحرب المقدسة بعمل دموى . ثم ترك مدينته مع أبنائه الخمسة وفرّ إلى البرية ، فانضمّ إليه كثير من اليهود . فشلت الثورة مّرة أولى ، بسبب مُمارسة حرفية لشريعة السبت ، ولكن متتيا بدأ مناوشات مع جيش

---

* **مكابى** : كلمة آرامية معناها : مطرقة . فى الأصل ، كان لقب مكابى محصوراً بيهوذا (ثالث أبناء متتيا الحشمونى) ، ثم أُعطى لإخوة يهوذا ، ولكل الذين انضمّوا إليه وعانوا من الاضطهاد فى أيام أنطيوكوس الرابع . وهذا اللقب « مكابى » ، لم يُعطَ لأبناء متتيا (يهوذا – يوناثان – سمعان) على إثر أعمالهم المجيدة ، بل منذ طفولتهم ، ليتميزوا عن أشخاص عديدين عاشوا فى أيامهم . ووجد الشرّاح فى المشناه ، أن « مقبن » تعنى صاحب الرأس المستطيل بشكل مطرقة ، فقالوا إن اللقب أُعطى ليهوذا بن متتيا ، بسبب شكله الخارجى . أما بعض العلماء فقالوا : أن الكلمة « مكابى » ، تعود إلى الجذر « نقب » الذى يعنى « سمّى ، عيّن » ، وهكذا يكون المكابى هو الذى سمّاه الرب وعيّنه من أجل مهمة جليلة، ويستندون فى قولهم على ما جاء فى سفر إشعياء : « يا أورشليم ، سوف ترى الأمم برّك ، وجميع الملوك مجدك . وتُدعين باسم جديد يُعينه فم الرب » إش ٦٢ : ٢). هذا هو الاسم فى التقليد المسيحى. أما اليهود فسمّوا عائلة متتيا ، باسم الحشمونيين (هل يعود الاسم إلى حشمون ؟ يشوع ١٥ : ٢٧)، كما أننا لانجد هذا الاسم فى سفرى المكابيين ، الذى يهتم بصورة خاصة بأمر السُلالة المكابية .

العدو، فنجح مراراً وفشل أخرى . وحين جاءت ساعة موته ، فعَلَ كأبطال العصور القديمة، فجمع أبناءه وذكّرهم بتاريخ شعب إسرائيل ، وما فيه من بطولات وأعطاهم تعليماته الأخيرة بمواصلة الكفاح .

والسؤال : لماذا بدأت الثورة ؟ نعود إلى ما بعد موت الإسكندر مباشرة ، حيث تولى حكم البلاد السلاجقة . فدخلت المدنيّة الهلّينية إلى فلسطين ، مع الملوك السلوقيين بعاصمتهم أنطاكية . وكان شرّ هؤلاء الملوك انطيوكوس الرابع ، الذى بدأ فسَلَب الهيكل ثم المدينة المقدسة ، وفرض شعائر العبادة الوثنية على البلاد، غير أن كثيرين صمدوا أمام ضغوطه وفضّلوا الموت على الحياة . وهكذا بدأت الثورة مع متتيا . ثم ثورات أبناء متتيا : يهوذا المكابى – يوناثان – سمعان المكابى.

– **يهوذا المكابى** : (١٦٦ – ١٦٠) ق.م، حاز على سلسلة انتصارات على قواد أنطيوكوس الرابع . وطهرّ الهيكل ، وحصل على الحرية الدينية لليهود الذين يستطيعون بعد هذا أن يعيشوا حَسَب عاداتهم . وفى أيام حكم ديمتريوس الأول ، ضايقته دسائس ألكيمُس رئيس الكهنة ، ولكن انتصاراته الحربية توالت . وجاء جيش بقيادة نكانور من أنطاكية ، الذى جدّف على الهيكل وأراد أن يُدمّره ، ولكنه هُزِمَ وقُتِل . وأراد يهوذا أن يُثبّت مواقفه ، فتعاهد مع روما ، ولكنه مات فى ساحة الحرب ، فخلفه أخوه يوناثان .

– **يوناثان المكابى** : (١٦٠ – ١٤٢) ق.م، سيطرت السياسة عنده على الأعمال الحربية . وتُقسمّ حياته فى ثلاث حقبات ، دامت الحقبة الأولى سبع سنوات . قاوم فيها يوناثان جيشاً كبيراً من أنطاكية بقيادة بكيديس . وكان يوناثان قاضياً فى إسرائيل ، فقام بمهمته بسلام . وفى الحقبة الثانية ، لم يَعُد يوناثان قاضياً بنعمة الله ، بل صار بنعمة الملك – رئيس كهنة – وصديق ملك أرسل إليه أرجواناً وتاجاً من ذهب . استفاد من التزاحُم على العرش الأنطاكى ،

فتحزّب لإلكسندر بالاس ، الذى عينّه رئيس كهنة . وفى الحقبة الثالثة ، أزاح ديمتريوس الثانى ألكسندر بالاس عن العرش ، فالتحق يوناثان بديمتريوس الذى ثبتّه أيضاً فى رئاسة الكهنوت . ثم ترك ديمتريوس ليسند أنطيوكوس السادس ، الذى غَمرهَ بالعطايا وثبّت رئاسة الكهنوت له ، وعيّن أخاه سمعان قائداً فى الساحل ، وهكذا صار كل من يوناثان وسمعان حاكمين . وجاء تريفون (أحد ملوك البطالسة) وقتل أنطيوكوس السادس ، ثم قبض على يوناثان فى عكا وقتله . (وجدير بالذكر أن يوسيفوس كتب أن فى عهد يوناثان كانت علاقة المكابيين فى أزهى فتراتها مع روما) .

– **سمعان المكابى** : (١٤٢ – ١٣٤) ق.م، هو آخر من تبقى من عائلة متتيا. كان سمعان هو الأخ الأكبر ، وكان أبوه قد طلب من إخوته أن يحسبوه أباً لهم . ولكن سمعان تنحيَ أمام إخوته فترك يهوذا يقود الشعب ثم يوناثان قبل أن يُصبح هو قائد الشعب ورئيس الكهنة . بايعه اليهود مبايعة كما فعلوا مع أخيه يوناثان وقالوا له : « أنت قائدنا مكان يهوذا ويوناثان أخيك . فحارب حربنا وما تقوله لنا نفعله » ١ مك ١٣ : ١ – ٥٣ . ساند سمعان الملك ديمتريوس الثانى الذى استعاد الحكم ، فأعترف به رئيس كهنة وقائداً ورئيساً لليهود . وثبت هذا الأعتراف أنطيوكوس السابع . وجدّد سمعان المعاهدة مع روما . فكان عهده عهد سلام وازدهار . ولكن أنطيوكوس السابع انقلب على اليهود ، فقتل سمعان مع ابنيه ، فأستلم القيادة ابنه يوحنا هيركانوس .

ملخص الأحداث الرئيسية التى جرت بين السنة ١٧٥ والسنة ١٣٥ قبل الميلاد :

– ١٧٥ : أنطيوكوس الرابع يعتلى العرش .

– ١٦٩ : أنطيوكوس الرابع يسلُب الهيكل ، ويفرض المدنيّة الهلّينية على البلاد .

- ١٦٧ : بناء القلعة فى أورشليم . تشييد مذبح وثنى فوق مذبح المحرقات ، ثورة متتيا – وهربه إلى البرية . المعارك الأولى ، وموت متتيا .
- ١٦٦ – ١٦٤ : إنتصارات يهوذا المكابى .
- ١٦٤ : مات أنطيوكوس الرابع فخلفه أنطيوكوس الخامس .
- ديسمبر ١٦٤ : تطهير الهيكل وتدشين المذبح .
- ١٦٣ : حملات يهوذا المكابى فى البلدان القريبة من اليهودية
- ديسمبر ١٦٣ : منحَ أنطيوكوس الخامس اليهود الحرية الدينية .
- ١٦١ : دسائس ألكيمس – مُعاهدة مع الرومان .
- ١٦٠ : موت يهوذا المكابى فى معركة « بئر زيت ». فخلفه أخوه يوناثان .
- ١٥٢ : ألكسندر بالاس يُعيّن يوناثان رئيس الكهنة .
- ١٤٣ : وقع يوناثان فى الأسر فى يدى تريفون ، وقتله فى عكا ، فخلفه أخوه سمعان .
- ١٤١ : استسلام قلعة أورشليم .
- ١٤٠ : تكريم الشعب اليهودى لسمعان ، ككاهن أعظم وقائد حربى ، ورئيس اليهود .
- ١٣٥ : قُتل سمعان ، فحلّ محله ابنه يوحنا هيركانوس .

بعد موت الملك أنطيوكوس السابع سنة ١٢٨ ق.م، قام يوحنا هيركانوس بحملة مدروسة على فلسطين وفرض على المدن التى احتلّها الختان والشريعة الموسوية . وعلى الرغم من التهويد الذى فرضه ، لكنه كان يتصرف كملك هلّيني . أشاع عنه الفريسيون الذين يحسدونه – رغم وقوفه إلى جانبهم – بأنه كان ابن جارية – وبالتالى غير مؤهل لرئاسة الكهنوت وإنه استأثر بالسلطة الدنيوية

وأهمل الروحية وحماية الهيكل . ولما كانوا الأكثر تأييداً وتأثيراً على الشعب ، فقد اضطر يوحنا هيركانوس لمحالفة حزب الصدوقيين .

ويذكر المؤرخ اليهودى الكبير يوسيفوس ... أنه تشكلت فى فترة الجيل الأول من المكابيين ثلاث طوائف رئيسية فى اليهودية ، ويعتبرها مدارس فلسفية ، لكن يبدو أنها عملت كأحزاب سياسية أيضاً وهى **الفريسيون والصدوقيون والأسينيون**. ويبدو أن اليهودية كمعتقد لم تعد لتنفصل عن السياسة منذ ذلك الوقت ، ولم تعد قادرة على جعل قيمّها للتفتح الدائم باتجاه روحى بحت . ومن عام ١٣٥ ق.م وحتى عام ٧٦ ق.م، قامت صراعات عديدة بين الأحزاب السياسية – الدينية ، وخاصة بين الفريسيين والصدوقيين .

٤ – فترة الحكم الرومانى

إن ما كسبه « يوحنا هيركانوس » فى اليهودية ، يتبدى بوضوح خلال الفترة القصيرة (١٠٤ – ١٠٣) ق.م، التى حكم فيها ابنه أرسطوبولس الأول ، ثم فى عهد أخيه الذى حلّ محلّه ألكسندر يناى ، حيث برز التأثير اليونانى بشكل واضح على الحياة العامة ،وقاد الدولة الحشمونية فى ذورتها . لكنه واجه أيضاً حقد وحسد الفريسيين ، فانفجرت ثورة عارمة فى أورشليم سنة ٩٣ ق.م، وكان ردّه عنيفاً على هذه الثورة . ويبدو أنه شعر فيما بعد بالحاجة إلى تهدئة الخواطر .

ففى ساعة موته عام ٧٦ ق.م، ترك المُلك لزوجته ألكسندرا سالومى . وبوضعه امرأة على العرش ، يكون قد فصل بين السلطتين المدنيّة والروحية ، إذ لا يمكن لامرأة ممارسة الكهنوت. ثم أصبح « هيركانوس الثانى » وهو الأبن الأكبر لـ « الكسندرا سالومي » رئيساً للكهنة .

بعد وفاة ألكسندرا سالومى سنة ٦٧ ق.م، قام ابنها الأصغر ارسطوبولس الثانى بالمطالبة بحقه فى وراثة العرش ، وترك الولاية الروحية لأخيه الأكبر « هيركانوس

الثانى » . لكن هيركانوس الثانى ألتجأ إلى القائد الرومانى « بومبى » للحصول على العرش . فدخل بومبى أورشليم منتصراً عام ٦٣ ق.م بمساعدة الفريسيين ، وتجرأ القائد الرومانى على الدخول إلى قدس أقداس الهيكل . وأُقتيد أرسطوبولوس الثانى أسيراً إلى روما ، واستعاد هيركانوس الثانى وظيفته كرئيس للكهنة ، لكن بومبى حرمه من العرش الملكى . ودُمرَت أسوار أورشليم وانتزعت السامرة ومدن الساحل من السلطة اليهودية . وهكذا تحولت الدولة الحشمونية التى لم تدم طويلاً إلى مقاطعة صغيرة خاضعة لروما .

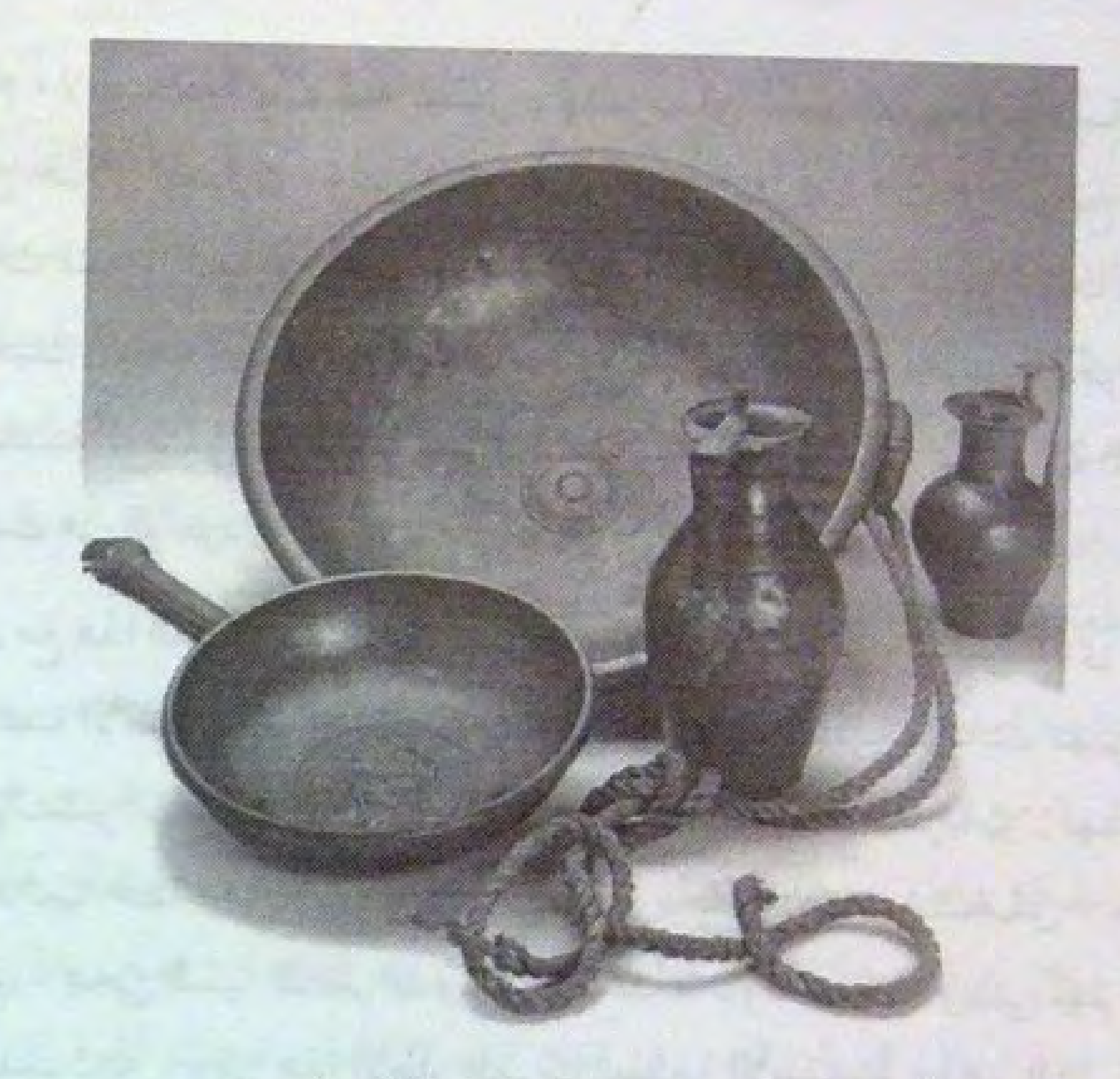
وعندما أصبح اليهود رسمياً حُلفاء للرومان أمكنهم إعادة تعمير أسوار أورشليم . ومع وصول هيرودس إلى العرش فى أورشليم سنة ٤٧ ق.م، تم الفصل نهائياً وبشكل قاطع بين السلطة الدنيوية والسلطة الروحية ، واستطاع تحقيق فترة ازدهار خلال حكمه وذلك بسبب ولائه لروما . وفى عام ١٩ ق.م، بدأ إعادة بناء الهيكل دون ايقاف العبادة فيه . فى تلك الفترة أيضاً ، نجد أن القوة الدينية التى كانت تحرض اليهود على التمسك بإرث غير قابل للتغير كانت قد ضعفت كثيراً ، وبخاصة مع تفاقم صراع الأحزاب على السلطة . كانت كل من اليهودية والسامرة خاضعتين فى ذلك الحين لسلطة المفوض الإمبراطورى فى سوريا، الذى كان يمثله وال أو حاكم يُقيم فى قيصرية . ومنذ ذلك الوقت لم يعد فى أورشليم أى سلطة وطنية قادرة على موازنة السلطة الأجنبية ، وباتت رئاسة الكهنوت ورقة رابحة بيد ممثلى روما .

وأخيراً ، إنفجر غضب اليهود ، الذى طال كبته ضد الرومان ، عن ثورة عارمة فى سنة ٦٦ ميلادية ، فاشتعلت الجموع بالغيظ وأشعلوا النيران فى القصور والأبنية العامة كما إستولوا على قلعة « أنطونيا » وأحرقوها وذبحوا حراسها . لكن لقد كلّف هذا الإنتصار اليهود غالياً فى نهاية الأمر ، حيث أدى هذا إلى قدوم القائد فسباسيانوس فى حملته العسكرية التى إنتهت بسحق كل آمال اليهود القومية .

وفى عام ٧٠ ميلادية جاء أبنه تيطس ، فضرب أورشليم الضربة القاضية ، فدمّر الهيكل خلال المعارك ، ولم يُعمّر بعد ذلك . وتوقف تقديم الذبائح وإقامة والعبادات فيه . كما تم تدمير منطقة اليهودية بأكملها بما فيها أريحا ومنطقة قُمران حيث كانت تسكن الطائفة الأسينية ، وبهذا التاريخ الحزين ، يكون قد تم إبادة الغالبية العظمى من نُسّاك قُمران ، وهرب من هرب ، إلا أن الحركة الأسينية قد أختفت من الوجود .

نرى مع هذا العرض التاريخى السريع ، الإطار السياسى والدينى الذى ظهرت فيه الطائفة **الأسينية** ، إن الصراعات التى حكمت المنطقة ، كانت تهيئ أرضاً خصبة لإنتشار الدعوات إلى سلام روحى عميق لا تهزّه الأضطرابات . لهذا إنتظر اليهود دائماً لحظة الخلاص ! والخلاص الذى يحلمون به سيتحقق – حسب مفهومهم – بمجئ المسيا المنتظر الذى سيُعيد مملكة داود الساقطة ويبنى لهم الكيان الذى يحلمون به . وفى هذا الإطار ظهرت الطائفة **الأسينية** ، وهى التى كانت أكثر انفتاحاً على الجانب الروحى . ذلك أن الأسينيين عاشوا بحق جوانب من التقشف ونُكران الذات والأهم من ذلك عاشوا فى مخافة الإله الواحد . وقد عارضوا اليهودية الرسمية فى القدس ، لِماَ رأوه من دسائس من قِبَل رؤساء كهنة الهيكل والتطاحن على السلطة – سواء مدنية أو دينية . كما أن إغتصاب رئاسة الكهنوت منهم كأبناء صادوق وإعطاءها لعائلة أخرى عن طريق التودد للسلطة المدنية الحاكمة، ولّدت فى نفوسهم نفوراً من كهنة أورشليم ، وبالتالى العزوف عن الذهاب إلى الهيكل وإعتبار كل ما يُقام فيه دنساً وشراً . لذا كان نُسّاكْ قُمران فى انتظار الخلاص ، إنما عَبْر مجئ مسيح أرضى وروحى معاً ، كى يحررهم من الدنس ويُعيد إليهم معنى العبادة الحقيقية عبر إخراج الكاهن الشرير من هيكل أورشليم والحلول محلّه .



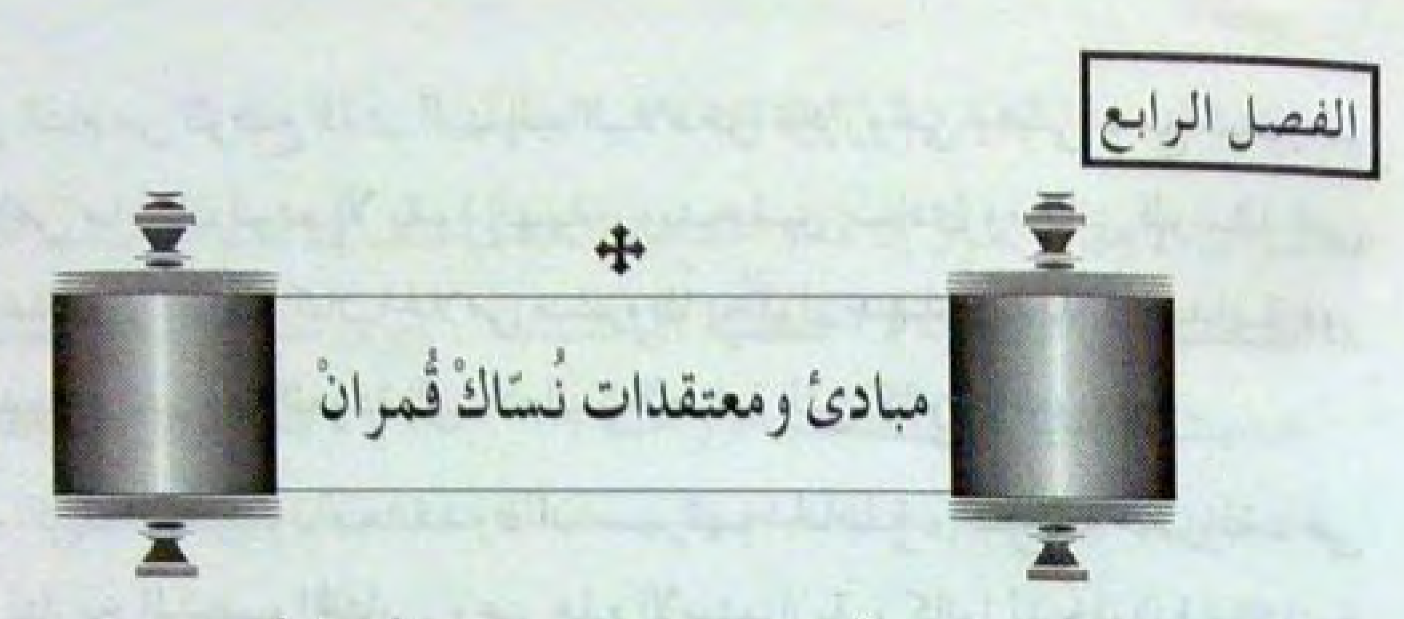


أوانى من البرونز تعود إلى فترة الحكم الرومانى



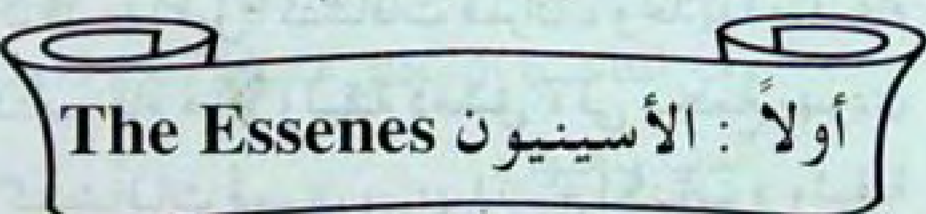
مفتاح - علبة مجوهرات - مرآة - أدوات مطبخ

الفصل الرابع



مبادئ ومعتقدات نُسّاكْ قُمرانْ

أجمع علماء التاريخ والآثار والأنثروبولوچى ، أن نُسّاكْ قُمران ، هم جماعة من الأسينيين ، تكونت فى القرنين الأخيرين قبل الميلاد ، وأمتد تاريخهم حتى سنة ٧٠ ميلادية . وأن هذه الجماعة التى تركت لنا إرثاً غنياً من مخطوطات كتابية (أسفار إلهية) وغير كتابية ، إضافة إلى كتب الجماعة نفسها ، قد أتاحت لنا الفرصة بإعادة تشكيل تصورنا عن تاريخ المنطقة الدينى ، علاوة على إثبات صحة ما بأيدينا نحن من أسفار العهد القديم . من هنا تُعد مخطوطات قُمران ، أهم مخطوطات أُكتشفت فى العالم . وفى هذا الفصل ، أردت أن أُعطى للقارئ العزيز فكرة مُبسّطة عن مبادئ ومعتقدات نُساك قُمران ، بالإضافة إلى وجهة نظر بعض المؤرخين الكبار الذين كتبوا عنهم .



أولاً : الأسينيون The Essenes

مبادئهم ومعتقداتهم

كان الأسينيون معروفين بتقواهم وزهدهم ، ومعرفتهم بالفلك ، وتقديرهم للأزمنة الموافقة لإقامة الأحتفالات المقدسة ، وقدرتهم على الشفاء والتخلّص من الآلام ،وتمسّكهم الشديد بالشريعة . وكانوا إلى جانب منهجهم فى الحياة والمعرفة، يطرحون منظوراً أعم لمصير الإنسان وعلاقته بخالقه ، يلتقى بالمنظور اليهودى الشائع فى معظم نقاطه . وكانت مبادئهم تُعد تحدياً تاريخياً كبيراً ، إذ يأملون

بالخلاص التام من الوضع الذى آلت إليه البلاد من تردٍ روحى ودينى ، مع شعورهم بأن الخلاص ما كان ليتم إلا بقوة إلهية ، وبتحقيق مبادئ ومعانى الرسالة التى يؤتمنون عليها . ولهذا كان الخلاص مشروطاً بحلول **عهد جديد** ، وبداية دور زمنى جديد ، تتم معه العودة إلى التعاليم الأصلية التى كانوا يؤمنون بها .

لقد كان الأسينيون يعتقدون أن سيرتهم الخاصة ، كطائفة معزولة ، هى إستمرار لتاريخ **الشعب المختار** . وعبر هذه الإستمرارية ، كانوا يُدخِلون فى التاريخ المقدس ، تاريخاً معاصراً لهم من الأحداث التى يرون أنها هامة ، أو أنها تدل على قرب تحقق ما يتطلعون إليه . وهكذا قادتهم محاولتهم للحفاظ على الإرث الصحيح وفق منظورهم ، من خلال بحثهم عن الأمانة الروحية ، إلى التمسك بالشرائع كحل أمثل لتحقيق المعنى الدينى وتأليف منهج خاص بهم من القوانين الصارمة للدخول فى الطائفة مع الأرتقاء بها . لذا كرّسوا حياتهم لعبادة الله بعيداً عن جماعة اليهود فى أورشليم . فعاشوا أولاً فى المدن ثم ذهبوا إلى ما وراء البحر الميت ، حيث كوّنوا جماعة مستقلة بلغ عددها أكثر من **٤٠٠٠ عضو** فى منطقة قُمران ، ويبدو أن بعضاً منهم ذهب إلى المدن البعيدة نسبياً مثل دمشق . والجدير بالذكر ، فإن النقاش حولهم ، كان قد بدأ قبل اكتشافات قُمران ، وتحديداً منذ عام ١٩١٠ ميلادية ، مع اكتشاف كتاب هام هو « **وثيقة دمشق** » فى مجمع يهودى بمصر القديمة ، وهكذا جاءت اكتشافات قُمران وبينها نُسخ لكتاب « وثيقة دمشق» ، لتُعيد فتح الحوار حول هذه الطائفة .

أصـل كلمة أسينـي

نظراً لعدم معرفة النطق الدقيق لكلمة « أسينى Essenes » ، فقد حار العلماء فى معرفة أصل أشتقاقها . ومن هنا يأتى تنوع الأقتراحات اللفظية لها ، ومعانيها : **الصامتون . الأتقياء . الشافون** . ونلاحظ أنهم كانوا يصفون أنفسهم فى نصوص كتبهم بـ : **الورعين . القديسين . جماعة الكاملين** . ومن المدهش أن نرى إمكانية مطابقة هذه التسميات كلها مع ما نعرفه عن الأسينيين.

نشير فى هذا الصدد إلى آراء ثلاثة من الباحثين :

+ **الرأى الأول** : يقول إن هذه الجماعة اتخذت لنفسها اسم – حسب القراءة– **القصيّة** أى المعتزلة ، **الخصيّة** أى المتبتلة . ويرى أصحاب هذا الرأى ، أن حديث الإنجيل عن الخصيان (مت ١٩ : ١٢) ، يشير إلى نُسّاك قُمران المتبتلين (راجع تاريخ المسيحية – سلسلة مصادر الوحى الإنجيلى : يوسف درة الحداد) .

+ **الرأى الثانى** :يعود بالاسم إلى أصل آرامى **Chassajja** أى الأتقياء ، وهو اسم أُعطى لهم – حسب هذا الرأى – من الخارجين. ويرجع هذا الاسم إلى أصل حركتهم الدينية (راجع: . Eduard Lohse :The New Testament Environment)..

+ **الرأى الثالث** : يأخذ بالرأى السابق ، ولكنه يتوسع فى مفهوم الاسم بردّه إلى اللغة السريانية (راجع : كنز قمران – المطران السريانى اثناسيوس يشوع صموئيل – ترجمة د. القس الفونس شوريز – ١٩٨٥) ، فيقول :

* **أسين** ، كلمة مشتقة من فعل **اس** السريانى بمعنى : خزن . كنز . حشد ، ومن المناسب أن يُطلق عليهم ذلك لأنهم محتشدون ومنكمشون عن الدنيا وأهلها .

* ويمكن أيضاً أن يكون هذا الاسم مشتقاً من الكلمة السريانية **حزو** بمعنى الرؤية ، والرائى هو الذى يسبق فيرى الأمور قبل وقوعها . فيكون الأسينى هو القارئ لحوادث المستقبل .

* وقد تكون مشتقة من الكلمة السريانية **آسو** بمعنى شفاء ، ومنها فى العربية الطبيب الآسى أى المداوى . وكلمة « آسو » إذا جُمعت حسب قواعد اللغة السريانية تكون أسين **Essene** أى الأطباء . والمعروف عن الأسينيين أنه كان لهم ولع باكتشاف العقاقير النباتية ومداواة المرضى .

* أو قد تكون مشتقة من الكلمة **حسيو** أى النقاء والطهر . وهذه كانت دعوتهم الروحية ، وقد اتخذوا لها رموزاً كالاغتسال اليومى بالماء البارد وأرتداء الثوب الأبيض دلالة على النقاوة والطهارة نفساً وجسماً .

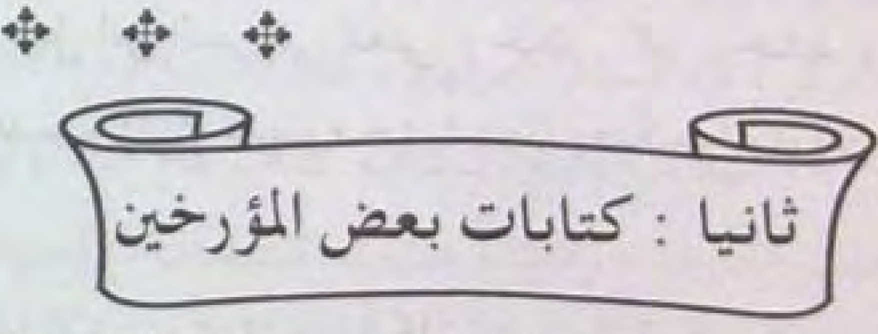
* أو تكون مشتقة من اللفظة الآرامية **عَس as** أى العمل . ومنها كلمة **عسيسو asiso** أى العامل . فهم هجروا مدنهم وانزووا فى البرية حباً بالعمل بموجب الشريعة الموسوية ليس إلا .

* وليس ببعيد أن تكون مشتقة أيضاً من كلمة **حسان hasan** أى المتحصن فى القلعة . ونحن نعلم أنهم هجروا المدينة والهيكل للإلتجاء إلى هذه المغاور والكهوف تحصناً بالله وبشريعته .

* أو تكون جاءت من الكلمة **عشن Eshen** أى المتقوى المتصلّب ، سواء أكان بإلهه أو برأيه أو بحكمته .

* بعض العلماء المسيحيين واليهود ، يعتقدون أن هذا الأسم مختصر من اسم **الحسيديين** ، المذكور فى سفر المكابيين الأول (٢ : ٤) .

✣ ✣ ✣



ثانيا : كتابات بعض المؤرخين

(١) يوسيفوس فلافيوس Josephus Flevius

وصف المؤرخ اليهودى الكبير يوسيفوس ، الأسينيين بأنهم الفريق الثالث من الفلاسفة أو مدارس الفكر الدينى لليهودية المعاصرة له (الفريسيون – الصدوقيون– الأسينيون) . ومن المعروف إن هذا المؤرخ ، الذى عاش فى حوالى ٣٧ – ٩٨ ميلادية ، يُعتبر وصفه للأسينيين يحمل فى طياته الدليل على أنه وصف صادق من شاهد عيان . فقد أشار إلى الأسينيين فى كتابه **الحروب اليهودية** –

الجزء الثانى – الفصل الثامن ، الذى كتبه عقب سقوط أورشليم فى سنة ٧٠ ميلادية ، بالإضافة إلى ما جاء عنهم فى كتابه **تاريخ اليهود** ، الذى كتبه فى حوالى سنة ٦٠ ميلادية . فقد كتب يوسيفوس فى سيرته الذاتية ، أنه كجزء من دراسته للثقافة اليهودية – انضم إلى جماعة من البرية يتزعمها رجل اسمه بانوس ، مكث معه ثلاث سنوات قبل أن يعود إلى أورشليم وينضم إلى الفريسيين . وذكر إن الأسينيين كانوا يعتنقون نظاماً أضيق من الفريسيين والصدوقيين ، كما كانت لهم مشاعر أقوى من نحو رفقائهم . وقد رفضوا المسرات الدنيوية باعتبارها شراً ، كما اعتبروا كبح جماح النفس من الفضائل، كما رفضوا الزواج مفضلين تربية أبناء الآخرين ، ليُشكلوهم حسب أنماط حياتهم ، بينما لم ينكروا على الآخرين الزواج .

ويستمر يوسيفوس فى وصفه لحياة الشركة عند الأسينيين ، التى قامت على أساس أن إمتلاك الثروة أمر مكروه . وكانوا يطلبون ممن ينضمون إليهم أن يأتوا بكل ما يمتلكون ليصبح جزءاً من ممتلكات الجماعة كلها، حتى تختفى مظاهر الفقر أو الغنى بين الجماعة . وكان يقوم على تدبير شئونهم وكلاء يعينون لهذا الغرض بهدف خير الجماعة كلها . وكان لتقوى الأسينيين أثر قوى فى يوسيفوس ، فيتحدث بشئ من الإعجاب عن عاداتهم فى العبادة والخدمة . فكانوا يبدأون يومهم قبل الفجر بالصلاة ، ثم يذهب كل عضو منهم ليقوم بمختلف الأعمال المؤهّل لها ، كما أشتهروا بأمانتهم ودقتهم وضميرهم الحى فى القيام بواجباتهم . وفى منتصف النهار يستحمّون بالماء البارد. ثم يجتمعون فى قاعة الطعام ليتناولوا جميعاً طعاماً بسيطاً بعد الصلاة، ثم يستأنفون أعمالهم ، وفى المساء يكررون ما فعلوه فى الظهيرة من الإستحمام وتناول الطعام .

ومما يدل على دقة نظام الجماعة ، عدم وجود صراعات أو شغب ، وكان الشئ الوحيد المتروك للحرية الفردية ، هو تقديم المعونة للمحتاجين والقيام بأعمال الرحمة .وقد كان الأسينيون مشهورين بالأمانة والإستقامة والإنسانية ، وقلما

كانت الظروف تستدعى اجراءات العدالة الصارمة جداً مع كل هذه المميزات التى اشتهروا بها . وكان الإنضمام لهذه الجماعة يسلتزم أن يقضى المبتدئ **سنة تحت الاختبار** ، يُلزم أن يُظهر خلالها كل السجايا التى تهدف إليها الجماعة ، وعندما يثبت أنه تتوفر فيه المؤهلات اللازمة ، كان عليه أيضاً أن يقضى **سنتين أُخرتين كمبتدئ** ، يُقبل بعدها رسمياً فى الجماعة . وعند ذلك يجب أن يتعهّد بقسم أن يكون أميناً وتقياً نحو الله وعادلاً نحو الناس . وبعد ذلك يُسمح له بالإشتراك فى طعام الجماعة كعضو مُعترف به .

وتتضح صرامة النظام عند الأسينيين ، فى العقوبات الموضوعة للتعديات الكبيرة ، فكان المذنبون يُعزلون من بين الجماعة ، لأنهم كانوا مُقيدين بعهود مُوثّقة باقسام ، لفترات تختلف حسب نوعية المخالفة . وفى فترة عزلهم من الجماعة ، كان عليهم أن لا يشاركوا الجماعة طعامهم ، أو يُقتطع منهم جزءٌ من الطعام ، فكانوا يتضورون جوعاً قبل أن يستعيدوا أماكنهم بين الجماعة ، وكثيراً ما كان يتم ذلك بدافع الشفقة لاغير . وكانت حياتهم المشتركة تسير تحت إشراف عدد من الشيوخ الذين يفرضون الوقار الشديد فى الإجتماعات العامة . ويواصل يوسيفوس سرد مبادئهم بقوله أن الأسينيين كانوا يعتقدون أن الجسد فان أما النفس فخالدة . وكان المجتمع الأسينى يراعى بدقة الكف عن العمل فى أيام السبت للتفرّغ للعبادة . وكان احترامهم الشديد لموسى يقتضيهم أن يعكفوا على دراسة التوراة وتنفيذ ما جاء بها . واشتهر بعض الأسينيين بعمق بصيرتهم فى تفسير نبوءات العهد القديم وبمقدرتهم على التنبوء بأحداث مازالت فى طى المستقبل .

ويبدو أن حزباً من الأسينيين ، انشق عن العقيدة العامة فى مسألة الزواج . وقد جعل هذا الحزب ، من الزواج وسيلة لانجاب النسل أكثر منه لاشباع اللذة . معتقدين أن باقى الأسينيين – بامتناعهم عن الزواج – يحرمون أنفسهم من الجانب الأساسى فى الحياة البشرية ، أى استمرارية تعاقب النسل ، مُدعّمين موقفهم

بالحجة القاطعة ، بأنه إذا اعتنق كل فرد ما يعتنقه سائر الأسينيين من الإمتناع عن الزواج ، لانتهى الجنس البشرى .

كما يُقدم لنا يوسيفوس فى تاريخه ، صورة موجزة لتعاليم الأسينيين التى تنادى بخلود النفس وحتمية إرجاع كل الأمور إلى الله . وكانت عباداتهم مستقلّة عن عبادات الهيكل فى أورشليم إلى حد كبير ، لانهم كانوا يعتبرون أن بعض شعائرهم الدينية أطهر من شعائر كهنة الهيكل . ورغم ذلك ، كان الأسينيون يشتهرون بأنهم يزيدون فى فضائلهم وبرهم عن الكتبة والفريسيين . وفى الوقت الذى كان يوسيفوس يكتب فيه ، كانوا على العهد بهم . وكان سبب هذه الحالة الروحية العالية – فى نظره – هو حياتهم المشتركة .

(٢) بلينى الكبير Plinius The Elder

وهو مؤرخ يهودى ، كتب فى القرن الأول الميلادى عن حياة الأسينيين وسلوكهم . وكان بلينى رفيقاً لفسباسيانوس فى الجيش ، ولعله سار مع الفرقة العاشرة ، فى وادى قُمران سنة ٦٨ ميلادية . وفى كتابه **التاريخ الطبيعى** Naturalis Historia – الذى أكمله فى سنة ٦٧ ميلادية – ذكر وصفاً طبوغرافياً للجانب الغربى من البحر الميت ، مبتدئاً من **أريحا** Jericho ومنتهياً بقلعة **ماسادا** Masada التى كانت تحمى التخم الجنوبى لليهودية .وفى هذا المضمار يذكر جماعة دينية كانت تعيش بالقرب من واحة بها أشجار نخيل ، ولعله كان يقصد جماعة قُمران ، التى كانت تزرع بعض المحصولات والنخيل فى واحة **عين فشخة** . كما يذكر بلينى موقعها – فى عبارة عابرة – بأنها تقع على الجانب الغربى للبحر الميت – **شمالى عين جدي**. ويقول عن هذه الجماعة : انها الجماعة المنعزلة من الأسينيين ، التى اشتهرت بالزهد فى الأشياء العالمية ، كما قبلوا اعتزال النساء . وقد تأثر بلينى كثيراً بوفود أعداد ضخمة من المتعبين فى الحياة التماساً للسير حسب القواعد الصارمة للحياة التى يطلبها الأسينيون من أتباعهم .

(٣) فيلـــو Philon

كاتب يهودى اسكندرى ، عاش فى الفترة من ٢٠ قبل الميلاد حتى ٥٢ بعد الميلاد . كتب معلومات كثيرة عن الأسينيين فى مؤلفين من مؤلفاته ، وقد كتبهما فى مصر قبل عام ٥٠ ميلادية . والوصف الواقعى الذى سجله لنا فيلو ، يمكن اعتباره مرجعاً هاماً عن هذه الطائفة فى العقود الأولى من العصر المسيحي . وقدّر عدد الأسينيين فى فلسطين بما يزيد على ٤٠٠٠ عضو ، اغلبهم عاش فى منطقة قُمران . وذكر أن اسمهم **هوزيوتس** أى **القداسة** ، وهو ينسب هذا اللقب لهم نظراً لانهم يُكرّسون حياتهم لخدمة الله ، ويعملون على تقديس أفكارهم . ويذكر فيلو تفضيل الأسينيين للحياة فى القرى والبرارى عنها فى المدن . كما لاحظ مثابرتهم على العمل اليدوى ، وتعجب من الطريقة التى جردوا بها أنفسهم من كل ثروة أو ممتلكات شخصية ، معتبرين الإقلال فى الانفاق والقناعة هما أعظم الغنى . وكانوا يُحَرّمون كل أنواع الرق والعبودية .

ويُخبرنا فيلو أيضاً : كان الأسينيون شديدى التمسّك بقوانين الأسلاف التى وصلتهم بإعلان سماوى ، فهى بالغة الأهمية للإيمان والسلوك . ويتمسكون بحفظ الأحكام الأخلاقية للتوراة حفظاً دقيقاً ، مظهرين محبتهم لله بطرق مختلفة مثل الطهارة والإمتناع عن الحلف ومحبة الفضيلة والتحرر من الاستعباد للممتلكات الأرضية وضبط النفس والتواضع مع القناعة . وكان احترامهم لرفقائهم يبدو فى أعمال المحبة والرحمة وفى احساسهم القوى بالمساواه بين الأفراد وروح المشاركة الواضحة . وكانت حياة الشركة - كنظام - بالغة الأهمية ، فكانت ثيابهم وطعامهم وبقية الأشياء ، ملكاً مشتركاً للجميع ، وكل أجر يحصل عليه أى واحد منهم يُوضع فى صندوق الجماعة حتى ينتفع به الكل . وكان الأصحاء يرعون المرضى ، وتكاليف العلاج تُدفع من صندوق الجماعة . وللشيوخ بينهم موضع احترام وتكريم .

ويؤكد فيلو ، المكانة الكبيرة التى كانت لدراسة الأسفار الإلهية فى دوائر طائفة الأسينيين ، وكيف كانوا يُراعون أيام السبوت ، فقد كانوا يتخلّون عن كل عملٍ فى ذلك الوقت ويذهبون إلى أماكن مقدسة يُسمونها **مجامع** ، حيث يصطفون فى صفوف حسب أعمارهم ، فكان الصغار يجلسون فى أماكن خلف شيوخهم . وفى أثناء العبادة كان أحدهم يقرأ جزءاً من الأسفار الإلهية ، ثم يقوم بعده شخص مُقتدر ليُفسّر بطريقة مجازية أى شيء عسر الفهم فى الجزء الذى قُرئ . وقد لخص فيلو معتقدات نُسّاك قُمران فى كلمات قليلة كالتالى : محبة الله - محبة الفضيلة - محبة الناس - التدريب على القداسة من خلال العبادة .

وفى الكتاب الثانى لفيلو **الغرض** ، يُعلّق على اجتهاد الأسينيين وانكبابهم على العمل ، كما ذكر ملكيتهم المشتركة لكل شئ من أمتعة وأموال . كما يُعلّق باسهاب على إصرارهم على حياة البتولية . وفى كتاب آخر بعنوان : **حياة التأمل** ، يُوجّه فيلو اهتماماً خاصاً إلى نشاطات جماعة قُمران ، حيث يقول : كانوا نُسّاكاً شبه متوحدين ، شغلوا كل وقتهم بالصلاة والتأمل ودراسة كتبهم المقدسة . ولا يجتمعون إلا للعبادة كجماعة فى السبوت والمواسم المقدسة . وكان ضبط النفس هو أساس فلسفتهم فى الحياة ، والبتولية هى أول شرط من شروط العضوية .

(٤) هيبوليتس Hypolitus

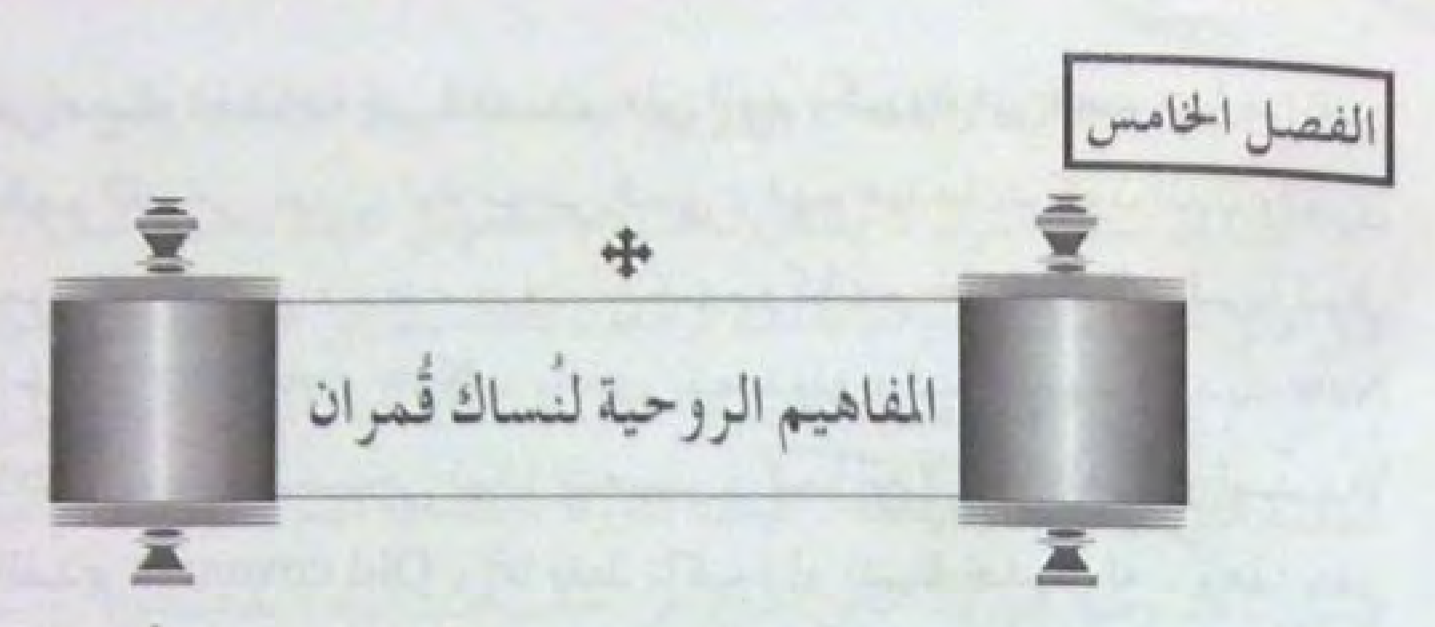
يُمكن إيراد شهادة كاتب مسيحى ، هو هيبوليتس (١٧٠ - ٢٣٠) ميلادية ، كإضافة هامة لشهادة يوسيفوس وفيلو ، عن الأسينيين ، ففى مؤلفه **تفنيد الهرطقات** ، علّق على المحبة المشتركة التى يتميز بها الأسينيون . وقد ذكر هيبوليتس فى ملحوظاته عن الذين عزفوا عن الزواج ، بأنهم لا يسمحون - بأى حال من الأحوال - بدخول المرأة فى زمرتهم . لكنهم كانوا يتبنّون أولاداً صغاراً ويربونهم على المبادئ الأسينية ، ولكنهم لم يكونوا يمنعونهم من الزواج متى أرادوا- ذلك - فيما بعد .

أما المبادئ التى كانت تحكم الشئون المالية ، فواضحة فى ملحوظات هيبوليتس، فبينما كان الأسينيون يحتقرون الثراء ، إلا أنهم لم يعترضوا إطلاقاً على اقتسام ممتلكاتهم مع المحرومين الذين كانوا يقصدونهم التماساً للعون . وعند الإنضمام لجماعتهم ، كان يُطلب من العضو المبتدئ أن يبيع كل ما يملك ، وأن يُقدم الثمن لرئيس الجماعة الذى كان مسئولاً عن توزيعه حسب حاجة كل فرد . وكان سلوك الجماعة محكوماً بقواعد صارمة ، استلفتت نظر هيبوليتس ، فقد كان عليهم أن يحيوا حياة ضبط النفس الصارم ، ولم يكن يُسمح مطلقا بأى إخلال بالنظام . أما عن الحلف والنطق باسم الله ، فهو أمرٌ خطيرٌ بصورة خاصة ، حيث كان كل ما يقوله الواحد منهم مُلزماً أكثر مما لو أقسم عليه ، فالقسم – فى نظرهم– يُقلل على الدوام من قدر المقسم ، ويُقلل الثقة فيه والاعتماد عليه .

ويقول هيبوليتس ، أن الأسينيين كانوا يعتقدون بقيامة الجسد ، وبالطبيعة غير المادية والخالدة للنفس ، وأنهما كليهما سيتحدان مرة أخرى فى يوم الدينونة . كما يذكر أيضاً ، أنه فى سنة ٦٦ ميلادية ، عندما نشبت الحرب مع روما ، أن الكثيرين من الأسينيين استشهدوا ، أما الباقون فلعلهم ظلوا يقاومون روما مقاومة متقطعة إلى أن قُضى على ثورة **باركوكبا** فى سنة ١٣٥ ميلادية . وفى النهاية لابد أن الأسينيين قد امتصتهم الجماعات المسيحية التى من أصل يهودى ، أو الجماعات اليهودية الأخرى التى نجت من الثورة اليهودية الثانية .



الفصل الخامس



المفاهيم الروحية لنُساك قُمران

قبل أن نبدأ فى سرد المفاهيم الروحية لنساك قُمران ، أود أن أُنبّه ذهن القارئ العزيز ، أن ما سيقرأه فى هذا الفصل ، هو عبارة عن ترجمة لافكارهم متجسّدة فى كلمات على سطور . وسردنا لهذه الأفكار ليس معناه اننا نوافق عليها – كلياً أو جزئياً – بل الهدف هو فائدة القارئ واستكمال البحث . لذا لزم التنويه .

بعد قراءة متأنية ودراسة دقيقة ، فى مخطوطات قُمران التى نُشرت واحدة بعد الأخرى ... وبالذات كتبهم الخاصة بحياتهم الشخصية ... تسمح لنا بسبر الروح التى تميز وتحرك هؤلاء النساك ... وأهم هذه الكتب : **نظام الجماعة** Manual of Discipline ، **وثيقة صادوق** Zadokite Document ، **كتاب المدائح** Book of Hymns. كشفت هذه الكتب ورسمت لنا صورة عن جماعة نموذجية Ideal ، هجروا العالم وسعوا وراء الله فى البرية ، حاسبين حساب النفقة ، هدفهم الأول أن يجدوا تعزيتهم فى الله بعيداً عن تعزيات العالم ، ففضلوا العُرى على الملابس المزخرفة ، واشتياق النفس لله عوضاً عن اللذة الجسدية . تصوّر لنا كتاباتهم جماعة تمثل **جماعة إسرائيل الحقيقية** ، أو **البقية** Remnant الصغيرة التى ظلّت وفيّة ومخلصة **للعهد أو الميثاق** Covenant والتى تحافظ على استمرارية شعب الله وتنقية أرض الله من وصمة الخطيئة . هذا العهد – كما إعتقدوا – ظل محفوظاً طوال التاريخ ، فقط من خلال هذه الجماعات التقوية الصغيرة المتبقية والمتعاقبة عبر الأجيال .

ينظر اعضاء الجماعة إلى أنفسهم على أنهم يكررون فى عصر متأخر نفس خبرة آبائهم القدامى جداً ، أيام موسى النبى . فهم عندما يتركون المدن والقرى ويتجمّعون فى الصحراء ، يتصورون أنفسهم وكأنهم خارجون إلى البرية لنوال **العهد الجديد** New covenant ، والذى يقصدونه ، ليس العهد الجديد New testament بالمفهوم المسيحى لهذا التعبير ، كما انه لا يمثل الغاءً أو أستبدالاً **للعهد القديم** Old covenant ، إنما فقط تأكيداً أو تثبيتاً جديداً له . وهذا يتفق مع نظرة اليهود التقليدية ، بأن العهد الأبدي يتم التأكيد عليه على فترات ، وان الميثاق (العهد) ، الذى تم عقده على جبل سيناء كان هو نفسه بمثابة إعادة صياغة للميثاق الذى قطعه الله قديماً عبر أجيال كثيرة مع إبراهيم وإسحق ويعقوب .

وللتأكيد على هذه الفكرة الجوهرية ، ولاظهار تواصلها المستمر مع مجموعات سابقة صغيرة حافظت على العهد ، نجد أن هذه الجماعة حازت على سلسلة من الألقاب وردت فى مخطوطات قمران ، تحمل ارتباطات تاريخية هامة . فهى تُوصف مثلاً بـ **المختارين** Elect ، ويُقصد بها « المختارين بصورة شرعية » ، وذلك للإشارة إلى اختيار إسرائيل على جبل سيناء . كذلك كان كهنتها يُدعون بـ **أبناء صادوق** ، للإشارة إلى أقدم عائلة كهنوتية فى عهد داود النبى (٢ صم ٨ : ١٧)، وإلى الذين حددهم حزقيال النبى فى رؤياه بخصوص إستعادة الهيكل فى المستقبل على إنهم هم وحدهم الكهنة الشرعيون (حزقيال ٤٠ : ٤٦، ٤٣ : ١٩، ٤٤ : ١٥، ٤٨ : ١١) . كما أن إقامتهم فى برية اليهودية الوعرة ، تُصوّر على انها نفى فى **برية دمشق** ، لتمثل تحقيقاً لنبوءة عاموس النبى ، التى يذكر فيها أن الله سوف يجعل شعبه يُسبى إلى ما وراء دمشق « **فأسبيكم إلى ما وراء دمشق ، قال الرب إله الجنود اسمه** » **عاموس ٥ : ٢٧** . كذلك كانت جماعة قمران تنظر إلى نفسها **كجيش الله** - نوعاً من جيش الخلاص - مستعد مثل جدودهم أيام موسى ويشوع، ان يخوض المعارك لاجل اسم الرب ولتطهير ارضه من الأمم الوثنية . لذا كانت جماعة قمران تسمى اعضاءَها احيانا **المتطوعين** Volunteers ، وهو لقب

يحمل سمة عسكرية واضحة ، بل ولقد خططت حملة عسكرية على **هرمجدون**.

كما أن نساك قمران لا ينتظرون استلام **الناموس** Law ، فلقد حازوا عليه من قبل على جبل سيناء (وهم بذلك يُرجعون بانفسهم إلى جماعة بنى إسرائيل ايام موسى) ، وبهذا ينحصر هدفهم فى تثبيت ذلك الناموس ، وإخراجه من عالم الظلمة التى أرادت أن تبتلعه . كانت التوراه ، بالنسبة لهم - الإرشاد الإلهى المعلن لموسي- قد وصل إلى يد أناس أشرار فى حقب متتالية ، يقصدون رؤساء كهنة أورشليم فى أيامهم ، لذا كان هدف نساك قمران هو إزاحة هؤلاء الأشرار مع تمسّكهم هم بهذه الشريعة كأبناء صادوق الأمناء . لذا كانت الجماعة تجتهد أن تعلن التفسير الصحيح ، كنوع من الأستلام ، يبدأ من الانبياء ويستمر على يد قادة ملهمين يُعرّف كل واحد منهم بـ **المفسّر الصحيح** أو **معلّم البر** (وُجدت فى بعض المراجع الأجنبية تسميته المعلم البار ، وليس معلّم البر كما فى باقى المراجع العربية ، والأنجليزية ، على العموم عندما رجعت لمقصود الكلمة وجدت : المفسّر الأرثوذكسى « المستقيم الرأى » للشريعة أو الشارح الحقيقى للناموس . وهو يمثل وظيفة وليس شخصاً بعينه - حسب رأى اغلبية الدارسين) . كان مُعلّم البرّ فى جميع الحالات كاهناً ، ولقد استحق لقبه هذا من البركة الوداعية التى سلخها موسى النبى على سبط لاوى الكهنوتى : « **بل حفظوا كلامك وصانوا عهدك . يُعلّمون يعقوب أحكامك وإسرائيل ناموسك . . . بارك يا رب قوته وارتض بعمل يديه . احطم متون مقاوميه** » **تث ٣٣ : ٩ - ١١** .

وكما ان إسرائيل كانت منقادة فى القديم بواسطة الأنبياء والمعلمين ، هكذا أيضاً كما يُعتقد ، سوف يقوم نبى جديد فى نهاية الأزمنة ، لكى يقود ويرشد فى **العصر الذهبى** عندما تجتمع حشود إسرائيل مرّة اخرى ، ويُنصَّب رئيس كهنة ممسوحاً بصورة شرعية وملك ممسوح بطريقة شرعية « **مسيح هارون ومسيح إسرائيل** » ، وتمتلئ الأرض بمعرفة الرب مثل المياه التى تغمر البحر . هذا المفهوم مُستقى مباشرة من كلمات موسى فى سفر التثنية : « **يُقيم لك الرب إلهك نبياً**

من وسطك (من شعب بنى إسرائيل) **من إخوتك مثلى** (من نسل موسى) . **له تسمعون ... أُقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك وأجعل كلامى فى فمه فيكلمهم بكلِّ ما أُوصيه به » تث ١٨ : ١٥ - ١٨** . وحقيقة ، من الملفت للنظر وجود هذه الآراء المسيانية التى كانت لنساك قمران ، وانها ارتبطت بكلمات موسى النبى فى وداعه الأخير والتى رأينا انها المصدر للقب « معلّم » .

وذهب بعض العلماء إلى القول : إن كان قد نجا من نُساك قمران ، مجموعة هربت عند نشوب الحرب الضارية مع الرومان (٦٨ - ٧٠) ميلادية ، فان هذه المجموعة قد قبلت الإيمان بالمسيح بسهولة جداً ، نظراً لان قلوبهم كانت مُعدّة من ناحيتين : انتظار المسيا - والناحية الروحية القوية لهم . ويبدو - حسب رأى البعض - أنهم كوّنوا نواة جماعة اليهود المتنصّرين (الذين آمنوا بالمسيح) ، عندما كشف لهم الله ، إن فى شخص المسيح تجمعّت صفات الملك والنبى والكاهن.

نعود مرة اخرى إلى المفاهيم الروحية لنساك قمران ، فنقول : اعتقدت هذه الجماعة انه حتى إذا فُسّرت التوراة بصورة صحيحة بواسطة المعلّم ، لا يستطيع الناس استقبالها إلا إذا تناغموا بعضهم مع بعض بصورة سليمة . وهذا التناغم يأتى من خلال **الأستنارة** الداخلية . لذلك كانت جماعة قمران تعتبر نفسها ليس فقط **البقية** الباقية من شعب إسرائيل ، بل والتى نالت الأستنارة بصفة خاصة . لذا نجد فى **كتاب المدائح أو التراتيل** Book of Hymns ، يتكرر مرات عديدة الشكر لله على **انارة وجه** عبده أو على إشراق نوره فى قلب عبده . غير ان الحصول على ذلك النور لا يعتمد على اى عمل تلقائى ومفاجئ من قِبَل النعمة . بالحرى يحدث ذلك نتيجة التدريب الذى يقوم به الإنسان بارادته لقوة التميز التى وضعها الله فى الإنسان . فكل إنسان وهبه الله بالتأكيد هذه المعرفة المدركة بالحواس ، غير ان استخدام هذه المعرفة أو إهمالها يرجع إلى اختياره الشخصى الحر . فاذا هو اهتم بالعطية يصل إلى التناغم مع النظام الكونى الأبدى ويكسر قيود فنائه أو موته .

هكذا ، وبصورة تلقائية يدخل الإنسان فى شركة الأمور الأبدية ويصير واحداً مع الكائنات الغير مائتة التى للعالم السمائى - **القديسون** - الذين يقفون إلى الأبد فى حديث مباشر مع الله .

هذه هى الحالة التى ينسبها أعضاء نساك قمران إلى انفسهم . وهذا هو الهدف النهائى لجميع مغامراتهم الروحية الجريئة ، أيضاً هدف وسبب وجود التوراة وجميع ما تتضمنه من نُظمٌ وتدابير فى الحياة . كانوا يعتقدون انهم بسبب **استنارتهم** يصيرون اعضاءً ليس فقط مع جماعة الأخوة المكرسين على الأرض ، ولكن بالضرورة أيضاً مع **الشركة الأبدية** . فهم - حسب اعتقادهم - يسيرون إلى الأبد فى درجات روحية لا حدود لها ، ويدركون انه يوجد رجاء ممن جُبل من الطين ان يتحدث ويتعامل مع الأمور الأبدية . فهذا لا يشير إلى مجرد الاعتقاد فى قيامة الجسد أو إلى مجرد الرجاء فى بقاء النفس فى سعادة أبدية ، بل بالحرى هو حس صوفى ، بان الإنسان متى نال هذا الوضع الروحى السليم وحاز على النصرة على الظلام القائم مقابل النور ، يستطيع أن يحيا حتى وهو على الأرض فى حدود الأبدية .

كانت الصحراء التى ألتجأ إليها نساك قمران ، لا تمثل فقط برية اليهودية ، إنما كذلك **برية الهدوء والطمأنينة** بمعنى سرى . فى تلك البرية لن ينالوا فقط « الميثاق » الجديد ، بل وسوف ينعمون برؤية **العليقة المشتعلة** ، وبابتعادهم عن الناس يحظون برؤية الله بدون عائق . وإذ يعطشون فى برية قاحلة ، سوف يشربون من مياه نعمة الله التى لا تفرغ . وبتجردهم من كل المقتنيات الأرضية ، يحظون على الغنى الروحى . وإذ تسفعهم الشمس الحارقة ، سوف ينعمون برؤية النور الساطع دون أن تنبهر عيونهم .

أما نظرتهم بخصوص ما سوف يتم عندما يحين ميعاد تجديد العالم - فيقولون- فحتى إذا هرب بعض الرجال من الهلاك الوشيك ، فسوف يقع هلاك

جماعى وعام ، وسوف يتبقى قدر كبير من الخطيئة يُنتظر إبادته .وسوف تأتى هذه الابادة من خلال حرب تدوم أربعين سنة يشنّها **ابناء النور** بمساعدة الجنود السمائية، ضد **ابناء الظلمة** . وهم سوف ينتصرون فى ثلاث حملات ، وينهزمون فى ثلاث أخرى . ثم أخيراً ، وفى المعركة السابعة ، سوف ينتصر الله على بليعال Belial (الشيطان) ، هذا هو يوم الأنتقام ، وبعد ذلك ستتجدد كافة الأشياء وتأتى حقبة العطف الإلهى (فى مقابل حقبة الغضب) . وسيشرق النور الإلهى بقوة توازى سبعة أضعاف . ويثبت الله عهده مرة اخرى مع المؤمنين والمخلصين ، ويحفر ناموسه على قلوبهم .

ويكشف لنا كتاب **اليوبيلات** ، أن نساك قمران كانوا يقسمون الأزمنة والأعياد بحيث تتوافق ومدلولات رمزية خاصة . فإن أولى وثائق قمران المعروفة ، والمثبتة بدورها بواسطة **درج الهيكل** ، بينت أن أفراد الطائفة كانوا يستخدمون تقويماً مكوّناً من ٣٦٤ يوماً فى السنة ، حيث يتألف كل فصل من فصول السنة من: شهرين كل منهما ٣٠ يوماً + شهر من ٣١ يوماً . والسنة تتكون من ٥٢ أسبوعاً ، وتبدأ السنة يوم أربعاء . ويكون بدء الشهر الثانى من كل فصل يوم جمعة ، والثالث يوم أحد . وتأتى الأعياء فى كل سنة فى تاريخ ثابت ، والشهر الأول من العام هو شهر الفصح . ونحن حتى الآن لا نعرف كيف أمكن موافقة هذا التقويم مع السنة الشمسية الفعلية ، إضافة إلى أن أصله يبقى غامضاً . وهو يتميز بوضوح عن التقويم القمرى – الشمسى الذى كان يستخدمه اليهود ، كما وعن تقويم إسرائيل القديم المضبوط وفق الإيقاع الزراعى والمأخوذ عن الكنعانيين . وعلى الرغم من بعض الشبه الظاهرى لهذا التقسيم مع التقويم البابلى ، لكننا نجزم بأنه ليس مأخوذاً عنه . فهل هو تقويم كهنوتى قديم اعتمده الأسينيون بمواجهة التجديدات المستلهمة من الهلينية ؟ لا نعتقد ذلك ، لأن الأعياد اليهودية كانت تُنظَّم تبعاً لأدوار القمر . وهذا يعنى أن الأعياد الأسينية كانت تُقام فى تواريخ مختلفة عن تلك التى كانت تُقام فيها عند اليهود الآخرين . ويبين « درج

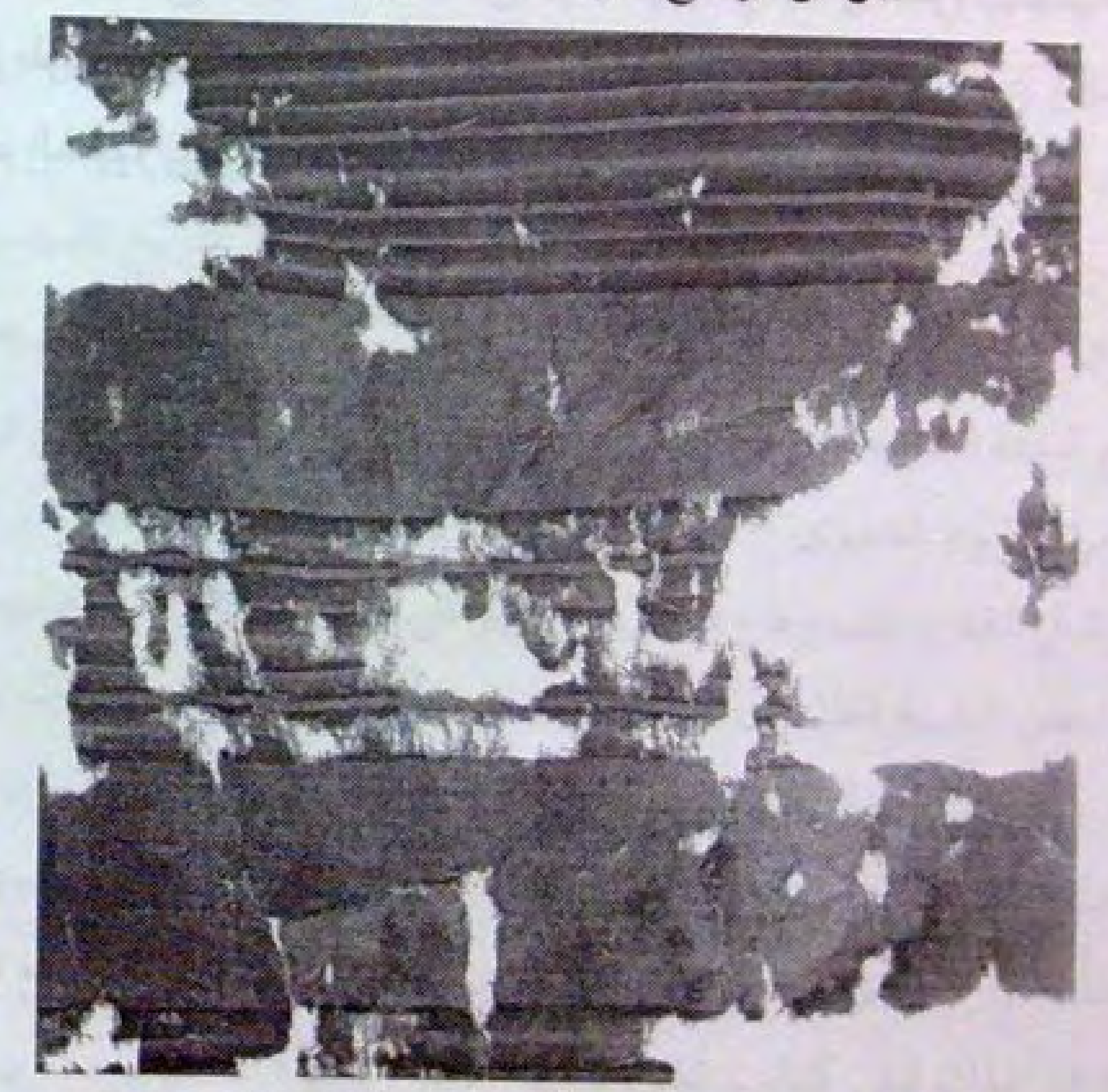
الهيكل » ، أن الأسينيين كانوا يحتفلون خلال الأشهر الستة الأولى من السنة بسلسلة من الأعياد المتعلقة بالبواكير من المحاصيل وتقع كلها فى يوم أحد ويفصل بين العيد والعيد منها فترة سبعة أسابيع ، ومنها أعياد بواكير الشعير والقمح والخمرة الجديدة والزيت . هذا يوضّح لنا أن الأسينيين رفضوا كل ما كان له صبغة هلينية معتبرين أن أى تعديل ولو بسيط ، حتى ولو كان فى تقويم الأعياد والمناسبات ، هو عدم أمانة روحية .

وفى ختام هذا الفصل ، أريد أن أشير إلى التطلعات الروحية والتجربة الصادقة لنساك قمران ضمن معطيات تلك الفترة – على الرغم من البون الشاسع لمفهومهم الروحى عن مفهومنا نحن للحياة الروحية – التى حالت الصراعات الدينية – السياسية ، دون تحقيقها . فقد كان الأسينيون ، بإعتقادهم أنهم يتجهون نحو مستقبل يقين ونهاية موعودة بفضل الخطة الإلهية التى دخلوا فيها ، يجدون وسيلة لتحقيق أعلى وأرفع التطلعات ضمن مرحلتهم الراهنة ومسؤوليتهم المرحلية ، وذلك عن طريق التأمل والدراسة والصلاة والسهر والصيام . . . التى كانت تذكّى فيما بينهم الشعور بالمشاركة بالعبادة الملائكية لله فى السماء .

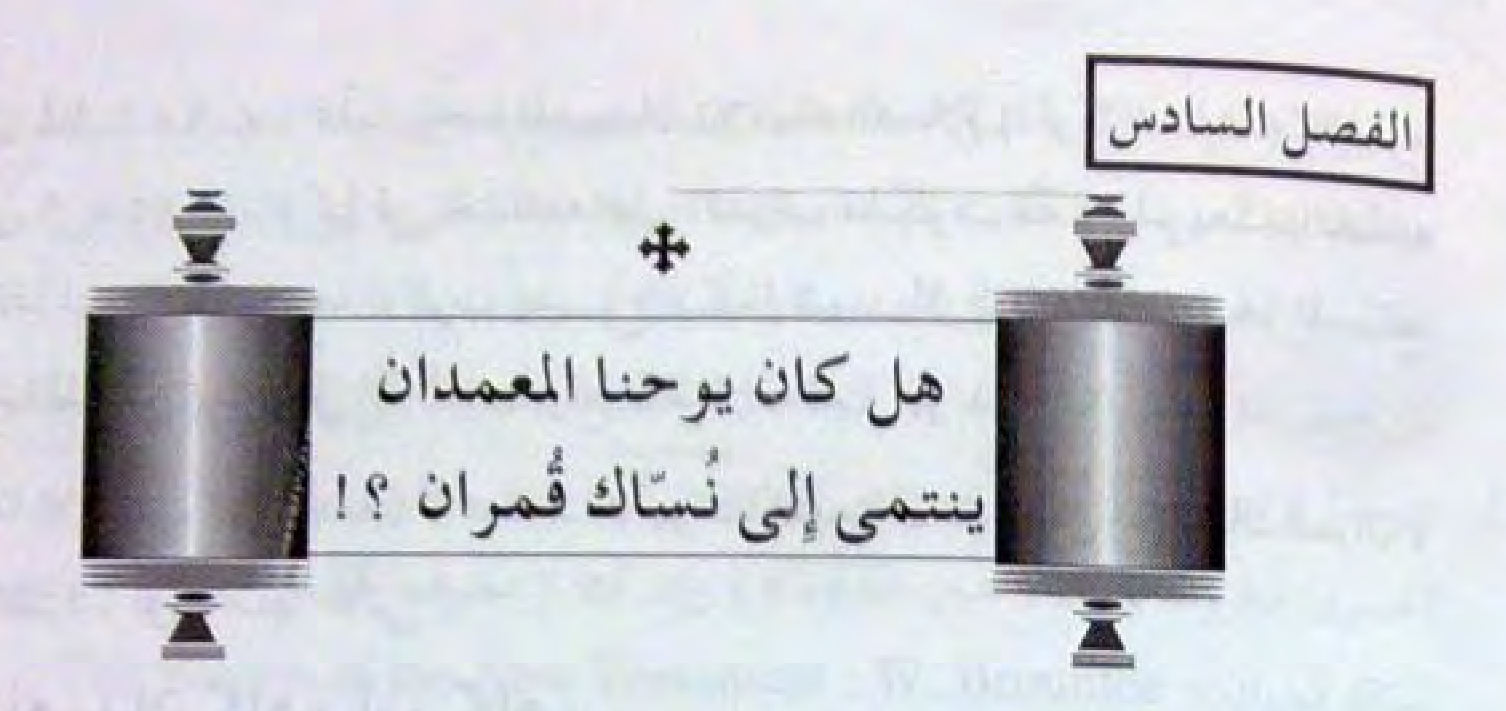




طبق من الزجاج عثر عليه بداخل إحدى المغاور



قطعة نسيج كتانى ترجع إلى القرن الثانى قبل الميلاد



هل كان يوحنا المعمدان ينتمى إلى نُسّاك قُمران ؟!

خرجت علينا بعض الأبحاث المتسرعة والغير دقيقة ، بمزاعم تتحدث عن صلة يوحنا المعمدان بنُسّاك قُمران . وسنحاول فى هذا الفصل أن نرد على هذه المزاعم . فعلى ضوء الكتاب المقدس ومخطوطات قُمران ، بالإضافة إلى المراجع الهامة لكبار العلماء ، سنكتشف خطل هذه المزاعم .

بادئ ذى بدء نقول : أنه لا يوجد أى ذكر ليوحنا المعمدان فى مخطوطات قُمران ، والمصادر الوحيدة عنه هى العهد الجديد وكتابات المؤرخ اليهودى يوسيفوس ، المعاصر للرب يسوع . ومعلوماتنا عن يوحنا المعمدان فى العهد الجديد ، هى إنجيلا متى ولوقا ، حيث نعلم أن يوحنا وُلد ولادة عجائبية من عائلة كهنوتية (لو ١ : ٥) . أبواه زكريا من فرقة أبيًا وإليصابات من بنات هرون ، متقدمان فى العمر (لو ١ : ٧) . ولادة يوحنا المعمدان سبقت ولادة الرب يسوع بستة أشهر (لو ١ : ٣٦) . عاش يوحنا . . . . فى البرارى إلى يوم ظهوره للبشارة العلنية (لو ١ : ٨٠) . كان لباسه من وبر الإبل وعلى حقويه منطقة من جلد ، وطعامه جراداً وعسلاً برياً (متى ٣ : ٤) . خدمة يوحنا كانت قرب نهر الأردن فى منطقة بيت عبرا (يو ١ : ٢٨) . لم تدم بشارته طويلا ، ربما ستة أشهر ، «The Dead Sea Scrolls and New Testament : William . S. Lasor» ، إنما خلقت إحساساً قوياً بين اليهود . خاف هيرودس بسبب تأثير يوحنا المتنامى على الشعب ، الذى قد يقود إلى ثورة ضده ، لهذا ألقاه فى السجن

(متى ١٤ : ١٠) . علّم يوحنا المعمدان تلاميذه الصلاة (لو ١١ : ١) والصوم (متى ٩ : ١٤) . ركزّ فى خدمته على اقتراب ملكوت الله ، ولم يعتبر نفسه مستحقاً ليحلّ سيور حذاء الرب يسوع ، كما شهد بأن الرب يسوع هو المسيح (المسيا المنتظر) ،حمل الله الذى يرفع خطية العالم (يو ١ : ٢٩) .

أما الأسباب التى تجعلنا لا نعتقد أن يوحنا المعمدان قد عاش مع نُسّاك قُمران ، فهى كثيرة ، نورد منها الآتى :

١- المعمدان كاهن أبن كاهن

حسب ما ورد فى إنجيل لوقا ، نعرف أن يوحنا المعمدان هو أبن زكريا الكاهن (لو ١ : ٥) ، أى ابن كاهن مُتعهد بخدمة الهيكل فى أورشليم ليلاً ونهاراً ، أما نُسّاك قُمران فهم جماعة لا يقدرون أن يتصوروا هذا الهيكل ولا كهنته الذين يخدمون فيه . فكيف يمكن قبول ابنه بينهم ؟ . لذا لا نعتقد أن يوحنا المعمدان قد عاش معهم ، وإلا لكان من الضرورى أن يطردوه من بينهم .

٢- حياته فى القفر منفرداً

يقول چان دانييلو Jean Danielou ، وهو من مؤيدى العلاقة بين يوحنا المعمدان ونُسّاك قُمران : إن المنطقة التى كان يُعمدّ فيها هى منطقة قرب نهر الأردن قبل أن يصب مباشرة فى البحر الميّت ، فى هذه المنطقة وعلى بُعد نحو ثلاثة كيلو مترات تُوجد ثكنات نُسّاك قُمران . هذه المنطقة يدعوها متى البشير « برية اليهودية » متى ٣ : ١ . ولوقا البشير يقول « كانت كلمة الله على يوحنا بن زكريا فى البرية » لوقا ٣ : ٢ . لهذا يبدو هنا أن كلمة « البرية » تشير إلى مكان معين ، لانها الكلمة نفسها التى اعتاد نُسّاك قُمران أن يستعملونها ليصفوا المنطقة التى كانوا يقطنونها . لهذا : لم تكن كلمة « البرية » تعنى أية برية أو منطقة نائية صحراوية . إنها تعنى موضعاً محدداً ، وهو الذى وصفه المؤرخ بلينى الكبير ، بأنه مملوء باشجار النخيل وبه ينابيع عدة .

والإعتراضات على هذه النظرية عديدة : أولاً، لا نعرف كيف تأكد Danielou من أن الكلمة اليونانية لـ« البرية » المذكورة فى الأناجيل هى نفسها الكلمة العبرية ذاتها التى أستعملها نُسّاك قُمران للدلالة على موضعهم . ثانياً ، من غير المؤكد تماماً فيما إذا كان بلينى يصف قُمران فى إشارته إلى المنطقة ذات النخيل والينابيع . بل يرى بعض الباحثين أن وصف بلينى ينطبق أكثر على منطقة أخرى معروفة باسم « عين جدى » ، وإن كنا لا نعرف كيف كانت حالتها أيام نُسّاك قُمران (The Scrolls of the New Testament : W. Brounlee) .

ونقرأ فى انجيل لوقا « أما الصبى ، فكان ينمو ويتقوى بالروح ، وكان فى البرارى إلى يوم ظهوره لإسرائيل » لوقا ١ : ٨٠ ، يرى Danielou أنه من الصعب على طفل أن ينمو وسط البرية وحده ، ما لم يتوفر له مأوى وأناس يرعونه . لهذا ، فالارجح – حسب إعتقاده – أن يكون والدا المعمدان قد عهدا بيوحنا إلى جماعة قمران (John the Baptist : Carl Krealing) . وخاصة وأن يوسيفوس قد قال عن الأسينيين : كانوا يعزفون عن الزواج ، ولكنهم يتبنون أولاد الآخرين ويعتبرونهم أنسباءً لهم ويربونهم بحسب مبادئهم (Infant Baptism in the First Four Centuries : J . Jeremais) .

من المنطقى جداً أن يتعهد رعاية يوحنا الصبى جماعة من الناس ، إنما ليس بالضرورة جماعة قُمران . إذ تُوجد بعض الصعوبات أمام هذه النظرية ، حيث لم تكن ملابس يوحنا المعمدان من كتانٍ أبيض كما هى ملابس الأسينيين . أيضاً من الصعب أن نقبل : كيف يقوم زكريا وإليصابات المنحدران من عائلة كهنوتية ، خاصة زكريا العضو الفعال فى كهنوت أورشليم ، بتسليم الصبى إلى رعاية الأسينيين المعروفين بعدائهم لكهنوت أورشليم ؟ ! . . . والسؤال هو : لماذا يختار زكريا وهو كاهن وقور فى أورشليم أن يعهد بإبنه الذى انتظره طويلاً والذى حُبل به بصورة عجائبية ، إلى جماعة كانت معادية لأورشليم بكهنتها ؟ هذا ما لم يجب عليه Danielou . والسؤال الآخر هو : إن كان يوحنا قد تربى عند

الأسينيين، فلماذا لم يذكر يوسيفوس هذه الحقيقة قط فى حديثه عن يوحنا المعمدان فى مؤلفه « تاريخ اليهود » ؟ ! خاصة وأن يوسيفوس أتى على ذكر ناسك اسمه « بانوس » عاش فى منطقة قُمران . لذا يُفضل عدم التسرع بإدراج يوحنا المعمدان ضمن نُسّاك قُمران .

٣- حياته النسكية

لقد أقام يوحنا المعمدان فى القفر، وكان طعامه جراداً وعسلاً برياً . ولو كان يوحنا المعمدان واحداً من الأسينيين لالتزم العيش معهم وأن يُحافظ على نذرهم وقسمهم أن لا يأكل إلا من أكل الجماعة ، أما هو فقد كان يعيش ويأكل منفصلاً، وهذا خروج عن نظام الجماعة ، عقابه الطرد .

ربط بعض الشراح حياة يوحنا المعمدان النسكية بنُسك الأسينيين ، علاوة على بتوليته . وقد وصفوا جماعة قُمران بأنها جماعة شبه رهبانية الطابع ، تعيش حياة نُسكية صارمة . وبحسب نصوص المخطوطات ، كانت الجماعة تنذر الفقر وأن البتولية هى من أهم مميزاتها . وللرد على هذا الزعم نقول : وجوه الشبه بين حياة يوحنا المعمدان وحياة نُسّاك قُمران ، لا تؤكد إنتماء يوحنا المعمدان إليهم . فهناك وجوه شبه كبيرة بين الرهبنة المسيحية والرهبنات غير المسيحية (استعملت تعبير رهبنات غير مسيحية مجازاً) من الناحية الظاهرية، لكن الإختلافات جوهرية جداً وإلى أبعد حد . هذا بالإضافة إلى أن النذور النسكية كانت معروفة فى العهد القديم . فمثلاً حَنّة كرست ابنها صموئيل منذ نعومة أظفاره وأرسلته إلى عالى الكاهن ليحيا للرب (١ صم ١) ، وهذا لا يعنى بالضرورة أن يوحنا المعمدان قد اتبع تقليد صموئيل النبى . وما أقصده أن فكرة النذر والتكريس كانت فكرة معروفة قبل الأسينيين .

٤- إستشهاده بسفر إشعياء فى كرازته

يقول Danielou ، تم الإستشهاد بسفر إشعياء (إش ٤٠ : ٣) فى مخطوطات قُمران ، كما أستشهد يوحنا المعمدان أيضاً بسفر إشعياء ونفس الآية « صوت صارخ فى البرية . أعدّوا طريق الرب . قوّموا فى القفر سبيلاً لإلهنا » متى ٣ : ٣ ، مرقس ١ : ٣ . وللرد على هذا الرأى المُغالط نقول : لم يستعمل يوحنا المعمدان ونُسّاك قُمران هذا النص من إشعياء إستعمالاً واحداً (أقصد بنفس المفهوم) . فبالنسبة لنُسّاك قُمران ، كان هدف الذهاب إلى القفر هو الإنعزال عن الشر ودراسة الإسفار الإلهية ، وإعداد طريق الرب يتم بالبحث فى الناموس الذى أعطاه الله لموسى ، ولم يتجرأ شخص واحد فى قُمران أن يقول عن نفسه إنه « الصوت الصارخ فى البرية » ، كما قال يوحنا عن نفسه (يو ١ : ٢٣) . إذ لا يوجد فى مخطوطات قُمران كلها من أدّعى ذلك . أما بالنسبة ليوحنا المعمدان ، كان « إعداد طريق الرب » يعنى ، ترك عزلة البرية والذهاب للتبشير بالإنجيل لكل الخليقة، لانهم يحتاجون إلى التوبة قبل مجئ ملكوت الله . لم يكن « الطريق » يعنى ليوحنا المعمدان البحث فى الناموس .إنه التوبة ، الطريق إلى القلب التائب لإستقبال المسيح المنتظر . لهذا كان يوحنا « صوتاً » منادياً فى البرية ، كان هو الملاك الذى يهيئ طريقاً (القلوب) للرب .

ومن الملاحظ أيضاً أن موقف يوحنا المعمدان من الناموس اليهودى ، كان مختلفاً عن موقف الأسينيين . فالأسينيون أولاد الناموس والحرف ، حياتهم مبنية على قراءة ودرس الناموس وممارسة الفرائض ، التى بالنسبة لهم هامة جداً . أما يوحنا المعمدان فقد زعزع تلك الثقة الكاذبة فى الفرائض الناموسية اليهودية . لم يُقم وزناً لهذه الفرائض طالما القلب بعيداً عن التوبة ، ولم يعتبر الغسلات الناموسية كافية للتطهير . لهذا دعا الناس إلى معمودية الماء للتوبة . وحتى الفريسيون الذين فاقوا غيرهم فى الإلتصاق الحرفى بالناموس كانوا هدف نقده الشديد ، لا بل كانت دينونتهم أعظم بدون توبة نقية قلبية . لهذا ، فالأقتباس من

إشعياء لم يكن له نفس المدلول والتساوى بين المعمدان والأسينيين . شئ آخر فى هذا المضمار وهو : أن الدينونة بمفهوم يوحنا المعمدان هى بمجئ المسيح الذى سيُنقى بيدره ويجمع قمحه إلى مخزنه ، أما التبن فسيُحرق بنار لا تُطفأ (متى ٣ : ١٢) ، بينما الدينونة بمفهوم الأسينيين كانت اقتراب نهاية العالم للفصل بين ابناء النور وابناء الظلمة (حسب شرحهم لسفر حبقوق) .

٥- معمودية يوحنا بالماء للتوبة

خلط بعض الدارسين ، بين معمودية يوحنا بالماء والتطهيرات الطقسية لنُسّاك قُمران . وبناء عليه زعموا ان هناك علاقة بين يوحنا المعمدان وجماعة قُمران .
وللرد على هذا الزعم نقول :

أول ذكر للمعمودية هو فى العهد الجديد فقط ، ومع ذلك نجد فى استجابة اليهود لمعمودية يوحنا ، أن فكرة المعمودية لم تكن غريبة عنهم ولا اتهموه بالبدعة والتجديد . وعندما سأل الرب يسوع رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب : من أين كانت معمودية يوحنا ؟ لم يستطيعوا إجابته (متى ٢١ : ٢٣ – ٢٧) ، ولا أثاروا مسألة البدعة هنا . فعلى الأرجح كانت فكرة المعمودية بالماء معروفة لليهود، إذ كانوا يستعملونها لتطهير الوثنيين المهتدين إلى اليهودية قبل ختانهم ، حسب ما ورد فى (Infant Baptism in the First Four centuries :J. Jeremias) .

ومخطوطات قُمران ، لا يوجد فيها أية إشارة إلى معمودية لدخول الأعضاء الجدد إلى جماعة قُمران . معمودية يوحنا كانت مختلفة عن اغتسالات قُمران الطقسية ، فقد كانت معمودية لمرة واحدة تتم مباشرة بعد التوبة والإعتراف بالخطايا « واعتمدوا منه فى الأردن معترفين بخطاياهم » (متى ٣ : ٦ ، مرقس ١ :٥) . كانت أيضاً متعلقة بمجئ السيد المسيح لانها كانت تهيئة له ولمعمودية الروح القدس . أما اغتسالات قُمران الطقسية فكانت يومية

ومتكررة ، ولا تتم إلا بعد نهاية الفترة التحضيرية الثانية أى بعد سنتين . ولا توجد أية إشارة فى مصادر قُمران إلى أن هذه الإغتسالات لها علاقة بالمسيح المُنتظر .

مما سبق يتضح الآتـــي

عند دارسى الكتاب المقدس ، يجب أن توجد دائماً رابطة بين الحدث الحالى وما سبقه . هذا الأسلوب من الدراسة مفيد ، إنما ألا نغض الطرف عن أن لله تدخلات تدبيرية إلهية فى التاريخ البشرى ، لا توافق تماماً قوانين البشر ومنطقهم . ويوحنا المعمدان أتى فجأة – بحسب المنظور البشرى – ليعد الطريق أمام الملك والإله المزمع أن يدخل إلى مملكته – بحسب التدبير الإلهى – خلاصها .

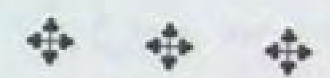
لا يوجد سوى واحد هو ملك الملوك ورب الأرباب : الرب يسوع . ولا يوجد سوى واحد هو السابق والمعدّ الطريق للسيد المسيح إنه : يوحنا بن زكريا . ولم يوجد فى التاريخ البشرى سوى واحد هو يوحنا المعمدان ، الذى نال شرف تعميد ابن الله فى الأردن .

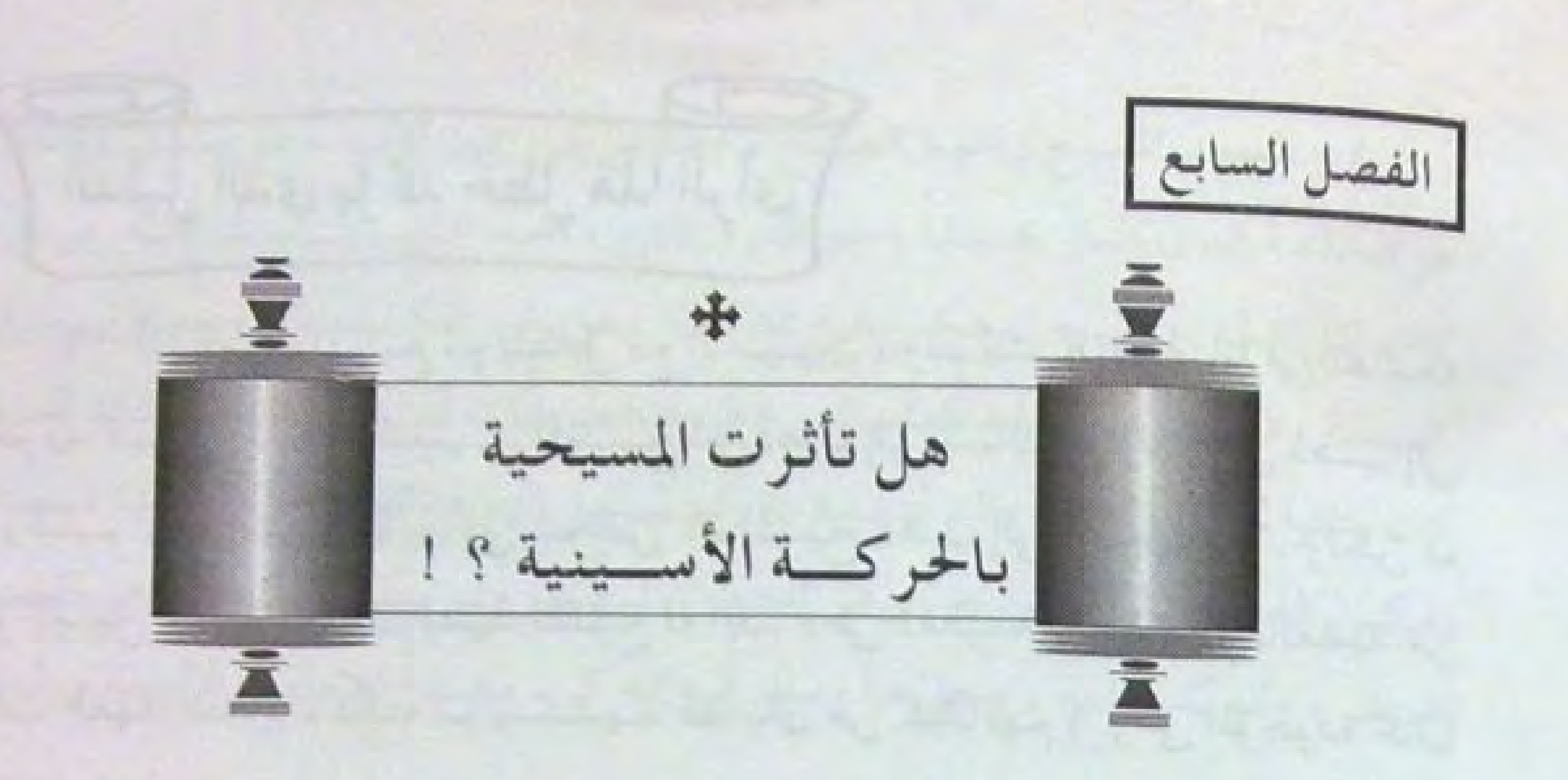
لذا نقول : أن يوحنا المعمدان لم يكن واحداً من نُسّاك قُمران . وهذا لا يمنع أن يكون قد عرفهم وعرفوه ، ولكن مع ذلك ظلت فرادته شامخة فى التاريخ البشرى ، كما أن هناك تباين كبير بين ما نادى به المعمدان ومعتقدات نُسّاك قُمران . فيوحنا بن زكريا كان متفوقاً على الأسينيين منذ طفولته ، عاش منذ صباه فى حياة خاصة ناسكة . لو كان عضواً فى جماعة قُمران (وهذا ما دحضناه) ، لاستأهل أن يكون رئيساً عليهم لا عضواً عادياً منهم .

حياة يوحنا المعمدان وتبشيره واستشهاده مرتبطة كلها بشخص واحد هو الرب يسوع المسيح . بدون السيد المسيح يصير المعمدان مُبهماً ، غامضاً ، بل يصير تعليمه لا معنى له ، ومع هذا كله،فالمسيح « حمل الله حامل خطية العالم »، غائب عن الأسينيين . يوحنا عاش لكى ينقص هو ويزيد الرب يسوع . لم يأتِ

ليشهد للمسيح الرب فقط ، بل جاء ليشهد بأن المسيح ، حمل الله ، هو ههنا ، حاضر « هوذا . . . » وبأن الأزمنة المسيانية قد حلّت ، فى حين كان الأسينيون ما يزالون ينتظرون المسيا . كانت دعوة الأسينيين مقصورة على اتباعهم ونُسّاكهم ، أما دعوة يوحنا المعمدان فكانت لكل الشعب ، كان ينادى بمسيح من أجل العالم كله، وليس من أجل اليهود فقط . مسيح حاضر الآن وليس مسيح مُنتظر .

كان يوحنا المعمدان فى تبشيره عن ضرورة التوبة لإقتراب ملكوت الله ، كان منفتحاً على كل المجتمع اليهودى بكل شرائحه ، كان يُوجه تعليمه للكتبة والفريسيين والعشارين والجنود وسائر الشعب . . . وليس فقط « للطاهرين » كما كانت تعاليم الأسينيين . كان المعمدان ينادى بأن الإلتصاق الحرفى بالناموس لا يفيد شيئاً . لم يقم وزناً لغسلات اليهود ولذبائحهم وناموسهم ، هذا كله لا ينفع شيئاً، طالما أن الله قادر أن يُقيم من الحجارة أولاداً لإبراهيم .





الفصل السابع

هل تأثرت المسيحية بالحركة الأسينية ؟ !

نشرت جريدة New Yorker فى عددها الصادر فى مايو ١٩٥٥م، مقالاً للسيد أدموند ويلسون ، بعنوان : The Scrolls from the Dead Sea، سرد فيه بحثاً لاحد اساتذة السوربون ، عن مخطوطات قُمران ، يزعم أن المسيحية تاثرت إلى حد كبير بالحركة الأسينية !! ولم يعلم السيد ويلسون ، أن استاذ السوربون ، نشأ كاهناً كاثوليكياً ثم جحد الإيمان وانكره .

وفى الثالث والعشرين من يناير ١٩٥٦م، أذاع أحد اساتذة اللغات السامية فى جامعة مانشستر يُدعى أليجرو Allegro ، من محطة إذاعة لندن ، حديثاً كان عنوانه . . . « The Story of the Recent Manuscript » ، ادّعى أن بعض نصوص قُمران تشابه إلى حد كبير بعض نصوص العهد الجديد ، وما كاد زملاؤه فى مدينة القدس يسمعون ما اذاعه أصغرهم سناً وأحدثهم عهداً ، حتى بادروا إلى تسطير رسالة مشتركة وجّهوها إلى جريدة الـ Times الإنجليزية ، فى السادس عشر من مارس سنة ١٩٥٦م، واكدوا فيها أنهم عادوا إلى جميع ما وُجد من نصوص فى مغاور قُمران وغيرها، فلم يجدوا فيها ما يؤيد قول Allegro ، وأضافوا أن أليجرو لابد ان يكون إما قد اساء فهم بعض النصوص ، وإما قد بنى ما اذاعه من استنتاج على سلسلة من الإفتراضات التى لا تؤيدها النصوص .

الدليل الذى يؤكد خطل هذا الرأى

١- أن السيد المسيح لم يتقابل مع الأسينيين ، ولم يُشر إليهم بتاتاً فى تعاليمه ولم يُذكر فى تاريخ السيد المسيح أنه ذهب إلى نُساك قُمران ، بل ذهب إلى أورشليم . ما أسهل أن يدّعى شخص أن المسيح ذهب إلى الصين مثلاً . ولكن ما هو الدليل ؟... كما أن السيد المسيح له المجد ، فى تعاليمه ، استشهد بالعديد من آيات العهد القديم ، لكنه لم يستشهد قط بأى من كتاباتهم (وهى الموجودة حاليا بأكملها لدينا) .

٢- أن السيد المسيح لم يدع للمحافظة على الناموس الموسوى وشريعة العهد القديم ، بل قدّم شريعة العهد الجديد ، مقارناً بينها وبين شريعة العهد القديم . وكان فى حياته وتعاليمه، يظهر كمن ينقض الناموس ويخالف موسى ، فمثلاً فى تعاليمه يقول : قيل لكم فى القديم ... أما أنا فأقول لكم ... » ، أما فى أعماله ، فقد كان يقوم بعمل الخير فى يوم السبت ، مما يُثير غيظ اليهود . فى حين أن نُساك قُمران كان هدفهم الأول تنفيذ الشريعة الموسوية بكل دقة، خاصة حفظ السبت .

٣- أن السيد المسيح لم يُقسّم الشعب إلى قسمين ، كما قسّمته الأسينية إلي: أبناء النور وأبناء الظلمة . لكنه على العكس قدم نفسه مُحباً للجميع بما فيهم العشارين والخطاة .وكان يأكل معهم ويدخل بيوتهم ، حتى أن هذا كان موضع لوم من اليهود . كما أن تعاليمه على النقيض من تعاليم جماعة قُمران ، الذين كانوا يدعون بالمحبة لأبناء النور فقط ، بينما مطلوب منهم بغض أبناء الظلمة . أما السيد المسيح علّمنا أن المحبة يجب أن تتجه نحو الجميع بما فيهم الأعداء ، ومطلوب منا أن نصلى حتى من أجل الذين يسيئون إلينا ويضطهدوننا ، لان محبة الله لا تعرف حدوداً ، هو نفسه احب العالم كله .

٤- السيد المسيح راعينا الصالح ، الجالس عن يمين الآب ، هو صُلْب إيماننا . هو الكلمة الذى صار جسداً ، هو اقنوم الأبن ، أحد اقانيم الثالوث القدوس ، به كان كل شئ ،وبغيره لم يكن شئ مما كان . هو رأس الكنيسة ، وبدونه ليس لنا كنيسة ولا وجود . أما « مُعلّم البر » فى مخطوطات قُمران ، وعند نُسّاك قُمران كان بشراً كسائر البشر ، لم يُتشَفعَ به ولم يُبتهل إليه ، ولم تحمل الجماعة اسمه ، بعكس الذين آمنوا بالمسيح ، دُعى إسمه عليهم . ولم يكن مُعلّم البر هو المسيح المنتظر ، ولم يُدعَوا به . وجلّ ما وصل إليه إنه كان مُفسراً للاسفار الإلهية ورئيساً عليهم .

٥- يقول استاذ جامعة السوربون : ان مُعلّم البر أقام مجلساً اثنى عشرياً ، هكذا أختار يسوع رسلاً اثنى عشر . وهى حجة واهية . ولو صح الاخذ بها لإضطررنا أن نقول : ان الاسماك والبشر من جنس واحد ، لان النوعين يخرجان من الماء مبللين. والماء فى هذه الحالة هو معين العهد القديم ، الذى استقى منه القُمرانيون والرسل ورسل الرسل . والسيد المسيح – له المجد – قال فى متى ١٩ : ٢٨ « ان هؤلاء الأثنى عشر سيجلسون هم أيضاً على اثنى عشر كرسيًا ليدينوا اسباط إسرائيل الأثنى عشر » .ففكرة الأثنى عشر ، موجودة فى العهد القديم أيضاً.

٦- يرى جماعة قُمران أن النور والطريق والحق والحياة ، توجد جميعها فى الشريعة الموسوية ، بينما يقدم السيد المسيح نفسه على أنه الطريق والحق والحياة ، وهو نور العالم (يو ١٤ : ١٦ ، ٨ : ١٢ ، ١٢ : ٣٦) . أما ما جاء فى رسالة يوحنا البشير ، عن النور والظلمة وعن الحق والكذب، ليسا هما موضوع معرفة كما هو عند الأسينيين ، ولكن حياة وسلوك . « من قال قد عرفته وهو لا يحفظ وصاياه فهو كاذب وليس الحق فيه ، واما من حفظ كلمته فحقاً فى هذا قد تكملت محبة الله. بهذا نعرف أننا فيه ... من قال أنه ثابت فيه ، ينبغى أنه كما سلك هذا يسلك هو أيضاً ... من قال إنه فى النور وهو يبغض أخاه فهو إلى الآن

فى الظلمة . من يحب أخاه يثبت فى النور وليس فيه عثرة ، وأما من يبغض أخاه فهو فى الظلمة وفى الظلمة يسلك » ١ يو ٢ : ١ - ١١ . أما بالنسبة لجماعة قُمران فالنور والحق يختصان بأفراد هذه الجماعة فقط ، لكن بالنسبة للمسيحية ، فإن الأمر يختص بكل مؤمن (يو ١٢ : ٣٥ - ٣٦) ، كما أن النور والحق عند يوحنا البشير، ليسا شيئاً آخر غير المسيح نفسه (يو ٨ : ١٢ ، ٩ : ٥) .

٧- يقول أصحاب المزاعم : ان جماعة قُمران عاشوا حياة أشتراكية ، ومن ثم نجد فى اعمال الرسل عن الذين آمنوا بالمسيح « إذ لم يكن فيهم أحد محتاجاً لان كل الذين كانوا أصحاب حقول أو بيوت كانوا يبيعونها ويأتون بأثمان المبيعات ويضعونها عند أرجل الرسل فكان يُوزّع على كل أحد كما يكون له احتياج » أع ٤ : ٣٤ - ٣٥ . ولكن هذه الاشتراكية المسيحية ، اختلفت عما كان سائداً بين نُسّاك قُمران فى أمرين : الأول ، ان العضو فى جماعة قُمران لم يضع ملكه الشخصى تحت تصرف الجماعة إلا بعد إنتهاء فترة اختبار والتدريب ، اى بعد ثلاث سنوات من تقدمه وكان ذلك اجبارياً . الأمر الثانى ، ان الاشتراكية المسيحية لم تدم إلا مدة وجيزة جداً ، بعدها حلّت محلها العطايا التى كانت تُقدم من المؤمنين فى يوم الرب بعد الإشتراك فى سر الأفخارستيا . كما كانت العطايا اختيارية وليست اجبارية .

٨- السيد المسيح - له المجد - مات على الصليب فادياً للبشرية ، للعالم كله. ليس لليهود فقط ... ليس يهودى ولا يونانى ... لا ذكر ولا انثى ... ليس عبد ولا حر... الخلاص قدّمه لشعوب العالم كلها ، على مختلف لغاتها وعاداتها، وليس فى نصوص قُمران كلها ما يشير إلى مثل هذا الفداء .

أما موت مُعلّم البر فكان مجرد حادث من حوادث التاريخ الخاص بالجماعة لا جزء من إيمانهم . أما صلب المسيح وصليبه فانهما لا يزالان من صُلْب الإيمان رغم مر العصور . والشئ الهام جداً الذى نود أن نذكره ، هو الانغلاقية الشديدة لجماعة

قُمران على نفسها . وتتمثل هذه الانغلاقية فى جهتين : كيهود شعب الله المختار ، وكأبناء النور دوناً عن كل اليهود الباقين . فهى انغلاقية مزدوجة .

٩- ليس فى مخطوطات قُمران ، ما يدل على أن نُسّاكها مارسوا معمودية معينة ، كمعمودية يوحنا أو معمودية الرسل ، وجلّ ما هنالك وجوب غسلات مراراً وتكراراً لمناسبات متعددة.

ويوحنا والرسل لم ينادوا إلا بمعمودية واحدة تُجرى مرة واحدة ولا تتكرر « إيمان واحد . معمودية واحدة » افسس ٤ : ٥ . الاغتسال عند نُسّاك قُمران لم يرتبط بشخص « معلّم البر » . أما المعمودية المسيحية فكانت ولا تزال باسم المسيح. وهى فى المسيحية ذات مفعول هام للخلاص إذ هى الولادة الجديدة . كما أن السيد المسيح ابطل الغسلات والتطهيرات التى مارسها اليهود حتى عهده . فقد جاء فى إنجيل مرقس « واجتمع إليه الفريسيون وقوم من الكتبة قادمين من أورشليم. ولما رأوا بعضاً من تلاميذه يأكلون خبزاً بأيدٍ دنسة أى غير مغسولةٍ لاموا. لان الفريسيين وكل اليهود إن لم يغسلوا أيديهم باعتناء لا يأكلون متمسكين بتقليد الشيوخ ... وقال لهم اسمعوا منى كلكم وافهموا . ليس شئ من خارج الإنسان إذا دخل فيه يقدر أن يُنجّسه . لكن الأشياء التى تخرج منه هى التى تُنجّس الإنسان ... لأنه من الداخل من قلوب الناس تخرج الأفكار الشريرة . زني. فسق . قتل . سرقة . طمع . خبث . مكر . عهارة . عين شريرة . تجديف . كبرياء. جهل . جميع هذه الشرور تخرج من الداخل وتُنجّس الإنسان » (مرقس ٧ : ١ - ٢٤) .

وليس فى غسل الأرجل وقت العشاء الأخير ما يفيد بشئ من الغسلات والتطهيرات الشائعة عند اليهود . والدليل على ذلك هو قول السيد المسيح نفسه بعد غسل الأرجل « انتم تدعوننى مُعلّماً وسيداً وحسنا تقولون لانى أنا كذلك . فإن كنت وأنا السيد والمعلم قد غسلت أرجلكم فأنتم يجب عليكم أن يغسل بعضكم أرجل بعض. لأنى اعطيتكم مثالاً حتى كما صنعت أنا بكم تصنعون أنتم

أيضاً. الحق الحق أقول لكم إنه ليس عبد أعظم من سيده ولا رسول أعظم من مُرسله » يو ١٣ : ١٢ – ١٦ . هنا غسل الأرجل درسٌ فى الأتضاع .

١٠ – يدعو جماعة قُمران إلى الإله الواحد ، وما كانوا يعرفون الأقانيم الثلاثة فى الإله الواحد ، بينما علّم السيد المسيح بالإله الواحد المثلث فى أقانيمه . وما أكثر آيات العهد الجديد فى هذا الشأن (ليس هذا مجال حديثنا الآن) . أيضاً شئ آخر هو إن في كل كتابات قُمران عن المسيا المنتظر ، يعتبرونه بشراً عادياً ، لكن المسيح – له المجد – يُقدم نفسه إلها أيضاً ، هو الله الظاهر فى الجسد ، حيث يُعلن « أنا والآب واحد » ، « من رآنى فقد رأى الآب » . أيضاً بولس الرسول يتكلم عنه قائلاً « المسيح الذى حلّ فيه كل ملء اللاهوت جسدياً » (كما توجد العديد من الآيات التى تثبت ذلك ، لا مجال لسردها الآن) .

١١ – يدعو نُسّاك قُمران إلى البرّ الذى فى شريعة موسى ، أما السيد المسيح فيدعو إلى البر المؤسس على الإيمان به ... ومرة قال السيد المسيح « فتشوا الكتب لانكم تظنون أن لكم فيها حياة (بر مؤسس على الناموس فقط) وهى التى تشهد لى »يو ٥ : ٣٩ . كما أن بولس الرسول أعلن فى أكثر من رسالة أن البر هو ثمرة الإيمان بالمسيح .

١٢ – ربط بعض النقاد بين الوجبة التى كان يتناولها نُسّاك قُمران من الخبز والخمر ، وبين سر الأفخارستيا فى الكنيسة المسيحية . والواقع انه ليس بين سر الشكر وهذه الوجبة من الخصائص المشتركة سوى استعمال الخبز والخمر . فالمسيحيون الأولون والمتأخرون يرون فى ممارسة سر الشكر أن الخبز الذى يتناولون هو جسد الرب ، وان الكأس التى يشربون هى دمه للعهد الجديد الذى يُسفَك من أجل كثيرين . وليس فى مخطوطات قُمران كلها شئ من هذا – المفهوم اللاهوتى – فى حين يخبرنا إنجيل مرقس عن تأسيس الرب يسوع لسر الأفخارستيا : « أخذ يسوع خبزاً وبارك وكسّر وأعطاهم وقال خذوا كلوا هذا هو جسدى ، ثم أخذ الكأس وشكر وأعطاهم فشربوا منها . وقال لهم هذا هو دمى الذى للعهد الجديد

الذى يُسفك من أجل كثيرين » مرقس ١٤ : ٢٢ . لم نقرأ فى كل كتابات قُمران ما يُفيد أن الخبز والخمر يتحولان إلى جسد ودم « معلّم البر » . كل ما فى الأمر أنها وجبة عادية للبركة وعلامة لحياة الشركة التى يحيوها ، إنتظاراً للوجبة الكبرى المزمع أن يقدمها الكاهن الأعظم .

١٣ – توجد أيضاً فوارق جوهرية اخرى بين الأسينية والمسيحية ، فعلى سبيل المثال : تتحدث جماعة قُمران عن روحين بداخل الإنسان : روح الحق وروح الضلال، وهما يتحاربان ، وعلى الإنسان أن يُقرر أي الروحين يتبع وأيهما يختار . فى حين ان هذا المعتقد غير موجود على الإطلاق فى المسيحية ، أما ما نادى بولس الرسول به هو معركة بين الروح والجسد فى حالة الخطيئة ، وليس بين روحين.

كما أن الأسينية بقيت مذهباً يهودياً ولم تخرج من هذا الدور أبداً ، فى حين أن المسيحية كانت ولا تزال رسالة عالمية ، هكذا ارادها السيد المسيح . وقد عبّر عن إرادته الإلهية قبل صعوده إلى السماء بقوله لرسله الأطهار وخلفاءهم من بعدهم على تعاقب الزمن « دُفع اليّ كل سلطان فى السماء وعلى الأرض . فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والأبن والروح القدس . وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به . وها أنا معكم كل الآيام وإلى انقضاء الدهر » متى ٢٨ : ١٨ – ٢٠ . وقال لهم أيضاً « اذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها » مرقس ١٦ : ١٥ . وهكذا فان الكرازة بالرب يسوع شملت اليهود والأمم فخرجت المسيحية بذلك من دور مَذهب يهودى إلى رسالة عالمية كبرى . وهذه الشمولية عكس الإنغلاق على النفس التى تبنتها الأسينية .

من خلال الفوارق العديدة التى سردناها بين المسيحية والأسينية ، فى جوهرها وتعاليمها ومبادئها ، لا يمكن قبول الرأى الذى يُنادى بتأثر المسيحية بالأسينية . ويجب عدم التسرع فى استنتاجات ليس لها ما يؤيدها من حقائق .

✣ ✣ ✣





صفحة من مخطوطة « سفر الأمثال »

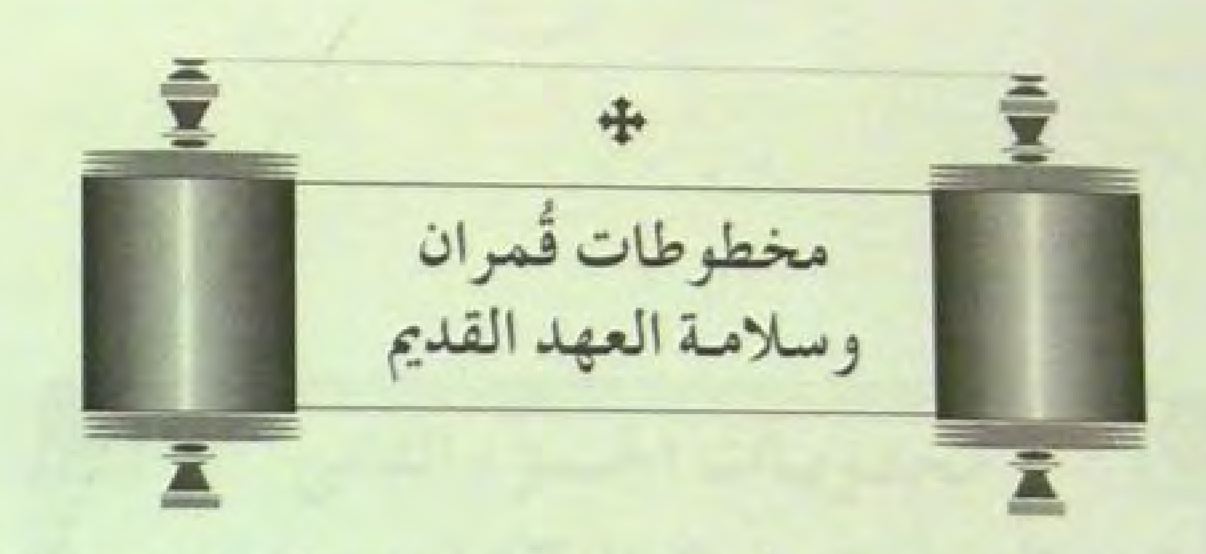


صفحة من مخطوطة « سفر إشعياء »

محتويات الجــزء الثانى

البــــاب الأول

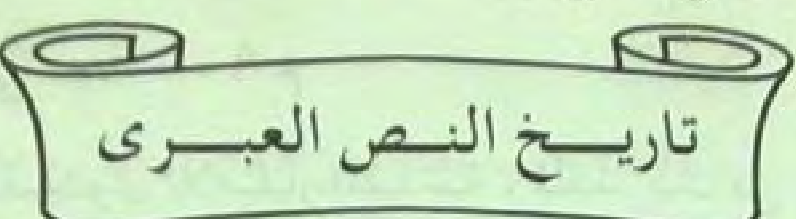
نصـــوص الأسفـــار الإلهيـــة



قبل اكتشاف مخطوطات قُمران، قام كل من كينيكت Kennicott ودى روسى De Rossi بدراسات لمقارنة مئات المخطوطات لنصوص العهد القديم ، ونشراها فى أواخر القرن الثامن عشر. أظهرت هذه الدراسات أن الاختلافات التى بينها قليلة جداً ولا أهمية لها بالنسبة لنصوص العهد القديم، ومن ثمّ كانت هناك ثقة كاملة بصحة نصوص العهد القديم وأنها لم تتغير منذ مئات السنين. ومن ناحية أخرى يبدو أنه لم تكن هناك طريقة لتقصى الأمر بكل يقين إلى زمن أسبق من تاريخ المخطوطات التى كانت متاحة فى ذلك الوقت ، وكانت ترجع فى غالبيتها إلى ما بعد عام ١١٠٠م، وكان القليل منها يرجع إلى ما قبل هذا التاريخ، ولكن لم تكن هناك مخطوطة ترجع إلى ما قبل عام ٩٠٠م.

ولكن هذا الموقف قد تغير الآن إلى حد كبير، فإن مخطوطات قُمران التى بدأ اكتشافها فى عام ١٩٤٧م، تُعتبر مجموعة ضخمة من مادة غزيرة من الماضى البعيد تُلقى ضوءاً ساطعاً على تاريخ نصوص العهد القديم. كما تم أيضاً اكتشاف مادة جديدة، أُكتشف بعضها قبل مخطوطات قُمران، لكنها لم تُدرس من قبل دراسة كافية، فقد قام أبراهام فيركوفيتش Virkovitch فى القرن التاسع عشر بجمع عدد ضخم من مخطوطات العهد القديم فى مكتبة لينينجراد، ولكن لم يعرف العالم الغربى سوى القليل عن نتائج دراستها. كما أُكتشف فى خزانة معبد اليهود فى القاهرة Cairo Geniza ما يقرب من مائتى ألف قصاصة وقطعة من المخطوطات العبرية والآرامية ، نُقلت إلى المتاحف والمكتبات الغربية .

كما أن هناك مصدراً آخر لمعلومات جديدة لم يكن متاحاً من قبل ، وهو مخطوطة العهد القديم التى كانت محفوظة فى مجمع الكتبة فى حلب . وكان العلماء يعتقدون (فى أوائل القرن العشرين) أن هذه المخطوطة كتبها « هارون بن أشير » أحد علماء اليهود البارزين ، ومن ثم فهى تعتبر أهم دليل على سلامة النص الماسورى .



١- الفترة بين كتابة الأسفار المقدسة حتى خراب أورشليم(٧٠ م):

لم يكن هناك – قبل اكتشاف مخطوطات قُمران – مرجع أكيد مباشر سوى ما يمكن تجميعه من مقارنة النصوص بأسفار موسى الخمسة فى النسخة السامرية ، أو بمقارنتها بالترجمة السبعينية . ونحن هنا لا نعالج تاريخاً لكتب عادية بل تاريخ كتب على أكبر قدر من الأهمية ، فالمسيحيون يؤمنون أن هذه الكتب – كتب مقدسة – منذ كتابتها . فقد أوحى الله بها إلى كاتبيها وحفظهم من الخطأ فيما كتبوه ، وقد اختارهم أناساً ذوى خبرات وخلفيات خاصة وشخصيات قوية تؤهلهم لتدوين ما يريده هو . كما أرشدهم إلى ما يكتبون وأعلن لهم الكثير من الحقائق والأفكار الجديدة ، كما وجّه نشاطهم وعملهم حتى لا يخطئوا فى اختيار الكلمات الدقيقة للتعبير عن هذه الحقائق والتعاليم والأحكام . وهذه الكتب – حسب العقيدة المسيحية – قد سلّمها كتّابها لشعب الله باعتبارها كتباً الهية، لابد من المحافظة عليها جيداً ودراستها بعناية .

ونظراً للمكانة السامية المقدسة لهذه الكتب ، فلابد أنها حفظت بعناية فائقة. فالكتاب المقدس ظل يُنسخ باليد من نُسّاخ مختلفين مراراً بلا عدد على مدى قرون طويلة بدقة تفوق الوصف. ومما لا شك فيه أن هذه النسخ الرسمية التى أُعدت وروجعت بعناية فائقة ، تكاد تخلو من الأخطاء أو لم يتسرب إليها سوى أقل

القليل من الأخطاء الإملائية . إلا أن اكتشافات خرائب قُمران (فيما بين ١٩٤٧ – ١٩٥٦م)– حيث وُجدت مكتبة كاملة ، حوت العديد من مخطوطات أسفار الكتاب المقدس ، وحيث كانت تُنسخ هذه المخطوطات باستمرار لأعضاء هذه الجماعة المتنسّكة – تبين مدى انتشار الكتب المقدسة فى القرون التى سبقت ميلاد السيد المسيح مباشرة .

٢– الفترة من خراب أورشليم حتى سنة ٩٠٠ م

ظهرت فى تلك الحقبة الأهمية القصوى للأسفار المقدسة ، فقد كان من الممكن أن يفقد اليهود هويتهم تماماً بعد تدمير الهيكل وخراب أورشليم ، لولا اهتمامهم الشديد بوحدتهم الدينية وبأسفار العهد القديم كأساس لهذه الوحدة . فاجتمعت فرق من الربيين (المعلمين اليهود) فى مختلف مناطق فلسطين لدراسة المشاكل المتعلقة بالعهد القديم وللوصول إلى نتائج يستطيعون الدفاع عنها فى علاقاتهم باليهود الآخرين وغيرهم . وكان أحد أهدافهم الأساسية هو المحافظة على سلامة الأسفار المقدسة .

وفى خلال الفترة السابقة وخلال شطر كبير من هذه الفترة ، كان يُطلق على القائمين بهذا العمل اسم « السوفريم » أى « الكتبة » ثم أُطلق عليهم أخيراً اسم الماسوريين Masoretes أى « أساتذة التقليد » . وقد أكد أكيبا Akiba – أحد قادة الربيين فى بداية هذه الحقبة – أهمية استخدام التقليد « كسور حول الشريعة » لحفظ سلامتها . ولكى يحققوا ذلك ، أخذ الكتبة فى إحصاء عدد الحروف وعدد الكلمات وعدد الآيات فى كل جزء مع تحديد الحرف الأوسط والكلمة الوسطى فى كل جزء أيضاً ، وتسجيل كل الملحوظات والحقائق المرتبطة بهذا الغرض ، ولا نعلم سوى القليل جداً عن جهودهم الشاقة فى هذا السبيل . ولسنا نعلم متى بدأ استخدام لقب « ماسورى » . ولكن فى نحو سنة ٨٠٠م أُطلق هذا اللقب – بدلاً من لقب « الكتبة » – على الذين كرسوا أنفسهم للمحافظة على الأسفار المقدسة . وكانت أمامهم مسائل كثيرة تقتضى المعالجة ،

من أهمها الاهتمام بالنطق السليم للكلمات ، وطريقة تلاوتها فى أثناء الخدمة ، وبخاصة إذا علمنا أنه لم تكن تكتب سوى الحروف الساكنة ، ولقد بُذلت مجهودات عظيمة فى ذلك العمل فيما بين سنة ٨٠٠م ، ٩٠٠م . ونظراً لأنهم (الماسوريين) قد قاموا بعملهم على أكمل وجه، لم يعد يُطلق هذا اللقب على أحد فيما بعد ذلك، وأصبح هذا النص العبرى الرسمى ، يُعرف باسم « النص الماسورى » .

وأُطلق فيما بعد على العلماء الذين اهتموا بدراسة أعمال الماسوريين والمحافظة على سلامة النصوص ، لقب « النحويين » أو « المرقمين » أى واضعى علامات الترقيم أو التشكيل . وفى القرون التالية تم نسخ العديد من المخطوطات نقلاً عن النص الماسورى ، وهى متناسقة إلى أبعد حد رغم كتابتها فى مناطق متباعدة من العالم .

كانت هناك مجموعات نشطة من الماسوريين فى بابل ، قد أنجزوا الكثير ، إلا أن ما قامت به جماعة الماسوريين فى طبرية ، حاز القبول عند كل اليهود وأصبح معتمداً لدى الجميع . وقد وصلت إلينا أسماء الكثيرين من الماسوريين فى طبرية ، وكان أبرزهم أفراد عائلتى « ابن أشير – وابن نفتالى » . ولقد استمر نشاط أسرة « ابن أشير » على مدى خمسة أجيال من ٧٨٠ م إلى نحو ٩٢٠ م .

سنشرح بالتفصيل الأعمال الجليلة التى قام بها الماسوريون ، لنتعرّف إلى أى حد ، بذلوا الجهد للحفاظ على سلامة الأسفار المقدسة للعهد القديم ، فتركوا لنا « النص الماسورى » ، والذى عليه تم تطابق مخطوطات قُمران ، فثبت صحتها .

الكتابة بالحروف الساكنة وأهمية الحروف المتحركة

اللغة العبرانية ، هى إحدى اللغات السامية ، وهى لغة الشعب اليهودى التى استعملوها فى أرض كنعان ، والتى كُتب بها أسفار العهد القديم ، ما عدا القليل جداً ، كُتب باللغة الارامية . ومن أهم ما يميز لغة العهد القديم العبرية ، هو أنه

رغم أن أسفار العهد القديم كُتبت على مدى أكثر من ألف عام ، فإنه لا يوجد اختلاف بين لغة أقدم هذه الأسفار ولغة أحدثها . ويرجع ذلك إلى : أن هذه الأسفار –أسفار مقدسة – فكانت الأسفار الأولى هى النموذج والمثال – لغوياً – للأسفار المتأخرة ، أيضاً أن اللغات السامية – بعامة – لم تتعرّض للكثير من التغيير بين عصر وعصر .

إن الكتابة تقصر بعض الشئ عن نقل ألفاظ المُتحدث ونبراته ، فالتعبير الشفوى فيه عدة ملامح لا يمكن تسجيلها كتابة . وقد أُدخلت فى اللغات الحديثة علامات التشكيل لتعطى فكرة أدق للتعبير عن نبرات صوت المتحدث . وهذه العلامات لم تكن معروفة فى اللغة العبرية القديمة ، ولم يكن هناك شئ من الحروف المتحركة ، وذلك لأن جذور الكلمات فى اللغات السامية كانت تتكون من حروف ساكنة فقط . ولذا لم تكن وظيفة الحروف المتحركة إلا تسهيل نُطق الحروف الساكنة ونقل فكرة عن صورة الحديث وزمنه وصيغته وأسلوبه وكل ما يتعلق به . فالكلمة المكتوبة بالحروف الساكنة فقط – بدون حروف متحركة – يُمكن النطق بها بطُرق مختلفة ، ولكن من سياق الكلام يمكن أن نتبين نُطقها الصحيح (وهذا واضح أيضاً فى اللغة العربية) .

وكان السبى البابلى ضربة مميتة للغة العبرية ، فقد أُخذت الطبقة المثقفة إلى بابل، والذين بقوا فى البلاد ، لم يلبثوا طويلاً حتى استخدموا لغة قاهريهم . فرجع اليهود بعد السبى يتحدثون الآرامية ، وكان من العسير على الشعب فى ذلك الوقت فهم العبرية الفصحى عند قراءتها لهم ، ولكن لأنها كانت اللغة الدينية المقدسة ، فأنها ظلت تُستخدم قروناً طويلة وكانت قاصرة على كبار الربيين والكهنة. وبحلول الآرامية محلّ العبرية، صار إستعمال العبرية قاصراً على الأغراض الدينية والأدبية فقط . واستمر استخدامها فى خدمة المجمع ، وقد سمع الأطفال نصوص الأسفار مراراً وأصبح هناك ميل إلى الحفاظ على هذا التقليد شفوياً ، حيث كانت تُنطق الحروف المتحركة فى مواضع محددة من جيل إلى جيل (شفوياً) .

وأخيراً تبين لحراس الكتب المقدسة ، ضرورة إيجاد طريقة أفضل لإحكام نُطق الحروف المتحركة . فأهتدت مراكز العلم اليهودية فى بابل ، إلى نظام وضع نقط أو بعض علامات التشكيل تحت الحروف الساكنة لضبط النطق الصحيح وسُميت هذه النصوص بـ« النص الماسورى الأوَّلي » . ثم نشأ نظام جديد فى طبرية ، استُبدلت فيه العلامات التى كانت توضع تحت الحروف الساكنة – فى النظام السابق – بعلامات توضع فوقها . وسرعان ما ساد هذا النظام ، وأُستخدم فيما بعد ذلك فى نسخ المخطوطات التى سُميت بـ « الماسورية » .

وكانت المخطوطة الماسورية ، تكتب على رقوق جلدية من حيوانات طاهرة ، وكان لابد لكتابة النص بعناية فائقة ، باستخدام الحبر الأسود وبالحروف المتحركة وعلامات التشكيل . وكانت الحروف الساكنة تُكتب أولاً – عادة – أما الحروف المتحركة وعلامات التشكيل فتُضاف فى مرحلة تالية بمعرفة شخص آخر غير الناسخ الأصلى – فى أغلب الأحيان – وبقلم وحبر مختلفين أيضاً .

بناء على ما سبق نُلخص المهام التى أنجزها الماسوريون فى الآتى

١– مواصلة العمل الذى كرّس الكتبة له أنفسهم ، وهو الحفاظ على سلامة نصوص الأسفار المقدسة ، ولأجل هذا أحصوا عدد الحروف والكلمات والآيات والأقسام فى كل سفر ، وحددوا الكلمة التى تقع فى منتصف كل منها . والكثير من إشارات الترقيم والعلامات الخاصة التى وضعها الكتبة ، قام الماسوريون بنقلها كما هى ، وسُميت هذه النسخ من المخطوطات « الماسوراه » . أما الملاحظات التى وضعوها على الهوامش الجانبية تُعرف باسم « الماسوراه الصغيرة » ، والملاحظات المسجلة فى أعلى الصفحة وأسفلها فُتعرف باسم « الماسوراه الكبيرة » .

٢– توحيد نُطق الكلمات العبرية فى العهد القديم ، فبمرور الزمن نشأ ميل لإغفال ما هى الحروف المتحركة التى يجب نُطقها مع الحروف الساكنة المكتوبة، وبدأ

نُطق الكلمات يختلف باختلاف طريقة الحديث فى الأقاليم المختلفة . ولذلك تصدى الماسوريون لهذه المهمة الخطيرة ، فوضعوا علامات التشكيل على كل كلمة لنطق الحروف المتحركة فى التوراة العبرية .

٣- تقديم الارشادات للقارئ عن الحالات التى تفضل فيها التقاليد الأكيدة قراءة كلمة بطريقة تبدو غير مناسبة لنص الحروف الساكنة . ويبدو من الواضح أن الماسوريين أصروا على عدم إحداث أى تغيير فى النص الذى تسلموه .

٤- وضع العلامات اللازمة للمُنشدين . فقد استقر الأمر - على مدى قرون - أن يُنشد جزء على الأقل مما يُتلى من الأسفار الإلهية فى المجمع . ولكى يضع الماسوريون معياراً دقيقاً ، اخترعوا نظاماً معقداً من علامات التنغيم ، وأهمها علامة الوقف .

النتيجة : استطاع الماسوريون أن يبتكروا نموذجاً من المخطوطات أصبح هو الصورة المعتمدة فى كل العالم اليهودى .

المخطوطات الماسورية كمعيار لمقارنة النصوص

أرجو من القارئ العزيز ، أن يستميحنى عذراً لإطالة الحديث عن « المخطوطات الماسورية » على صدر الصفحات السابقة ، وكان الغرض بداخل نفسى هو إظهار المعيار أو الميزان الذى أُستخدم لمقارنة نصوص مخطوطات قُمران مع نصوص أسفار العهد القديم الموجودة بين أيدينا الآن . فإذا ثبت تطابق مخطوطات قُمران مع المخطوطات الماسورية (بالرغم من وجود فارق زمنى يُقدّر بأكثر من ألف عام) ، تكون النتيجة الطبيعية هى تطابق مخطوطات قُمران مع نصوص أسفار العهد القديم الموجودة لدينا الآن (بالرغم من أن المسافة الزمنية بينهما تُقدر بأكثر من ألفى عام) . لذا سيكون حديثنا فى نقطتين هما : المخطوطات الماسورية - تطابق مخطوطات قُمران مع المخطوطات الماسورية .

أولاً : المخطوطات الماسورية

المخطوطات التى سنذكرها الآن مرتبة حسب التواريخ المرجحة لكتابتها ، وتُعتبر أفضل المصادر الماسورية لنصوص « ابن أشير » . وهنا ينبغى لنا أن ننبه ذهن القارئ أن أسفار العهد القديم العبرية الموجودة فى العالم كله ، مصدرها المخطوطات الماسورية .

١- مخطوطة خزانة القاهرة Cairo Geniza

ويُشار إليها أحياناً بالحرف « C » ويرجع تاريخها إلى عام ٨٩٥ ميلادية . وتحتوى على الجزء الثانى من العهد القديم (الأنبياء) ، وكاتبها هو « موسى بن أشير » ، وهو آخر المشهورين من عائلة ابن أشير ، وقد أهداها إلى جماعة « القرائين » فى أورشليم ، ثم أستولى عليها الصليبيون فى عام ١٠٩٩م ثم عادت إلى اليهود ووصلت إلى جماعة القرائين بالقاهرة . وهى مكتوبة على ثلاثة أعمدة بالتشكيل والحروف المتحركة حسب النظام الطبرى .

وكانت عادة اليهود حماية أية كتابات يُذكر فيها اسم الله ، من التدنيس ، فاذا بليت المخطوطة ، كانت تُستبعد فوراً من التداول . وكان فى كل مجمع يهودى خزانة ، عبارة عن غرفة تحت قبو المجمع يَحفظ فيها المجمع المخطوطات والوثائق التى لم تعد تُستخدم إلى أن يحين الوقت المناسب لدفنها فى أرض مقدسة . أُكتشفت مخطوطات خزانة القاهرة سنة ١٨٩٠م، وقد حصل أبراهام فيركوفتش Virko-vitch على مجموعة كبيرة منها ، ثم نُقل العديد من هذه المخطوطات من الخزانة إلى مختلف المتاحف والمكتبات فى أوربا وأمريكا ، ثم حصل شيختر Solomon Schechter على أكبر قدر من هذه المخطوطات . وبلغ عدد القصاصات التى نُقلت من هذه الخزانة ما يربو على ٢٠٠,٠٠٠ (مائتى ألف) قصاصة . كما تم الحصول على مخطوطات لأسفار الأنبياء كاملة ، وقد نُشرت بعد دراستها سنة ١٩١٠م. وهذه المخطوطات محفوظة الآن فى مكتبة جامعة كمبردج .

٢- مخطوطة حلب « A »

وتُعرف المخطوطة بالحرف « A ». ويُذكر فى الملحوظة الختامية فيها أن هارون ابن أشير (ابن موسى بن أشير) المتوفى فى نحو ٩٤٠م هو الذى وضع فيها الحروف المتحركة والحواشى . وهذه المخطوطة مكتوبة على رقوق فى ثلاثة أعمدة . وتُعتبر - بوجه عام - أنها المخطوطة التى ذكر موسى بن ميمون أنها أدق النسخ على الإطلاق. وكانت أصلاً تضم كل العهد القديم ولكن التلف أصاب جزءاً منها، وهى محفوظة الآن فى مكتبة الجامعة العبرية فى القدس . وقد تم نشر هذه المخطوطة بعد دراستها سنة ١٩٦٠م ، ومرة أخرى فى عام ١٩٦٦م مع صور لها توضح تفاصيل الحروف المتحركة وعلامات التشكيل التى استخدمها الماسوريون .

٣- مخطوطة لينجراد L . (B. 19 A)

وهى تشمل على كل العهد القديم ، وقد أحضرها فيركوفيتش Virkovitch من Crimea ، ومُسجّل بها أنها نُسخت بعناية فائقة فى عام ١٠٠٨م عن مخطوطة أعدها هارون بن موسى بن أشير . وهى مكتوبة على ثلاثة أعمدة بنظام طبرية فى تشكيل الكلمات . وبالإضافة إلى ذلك ، وجد « كال Kahle » فى خريف ١٩٢٦م فى لينجراد بين المخطوطات التى جمعها فيركوفيتش فى المجموعة الثانية ، أربع عشر مخطوطة عبرية يرجع تاريخها إلى ما بين ٩٢٩م ، ١١٢١م، وجميعها تطابق نص ابن أشير .

وبعد عام ١١٠٠م تم نسخ عدد كبير من المخطوطات ، ولم تلبث المخطوطات أن اعتمدت أساساً على نسخة ابن أشير . وتوالى نسخ هذه المخطوطات حتى سنة ١٥٠٠م، بنفس الدقة . وبمجرد اختراع الطباعة ، بادر اليهود إلى إنتاج عدد من الكتب العبرية ، فطُبعت أجزاء من العهد القديم بالعبرية حوالى العام ١٥٠٠م. ثم صدرت الطبعة الأولى للعهد القديم كاملاً سنة ١٥١٦ م، يليها الطبعة الثانية التى ظلت مستخدمة فى العالم الغربى حتى سنة ١٩٣٧م. وأصبحت هذه النسخة هى

المعتمدة فى العالم كله . من هنا نتوصل إلى نتيجة مفادها إن أسفار العهد القديم العبرية ، الموجودة الآن هى نُسخة طبق الأصل من المخطوطات الماسورية .

ثانياً : تطابق مخطوطات قُمران مع المخطوطات الماسورية

تُقدم مخطوطات قُمران معلومات هامة عن النص الأصلى لأسفار العهد القديم فى وقت نساختها فى القرنين السابقين على ظهور المسيحية . وكان أهم ما فى هذه اللفائف بالنسبة لعلماء الكتاب ، الدّرجُ الذى يطلق عليه الآن الرمز « 1Q IS » (أى سفر إشعياء من المغارة الأولى فى قُمران) ، وهو عبارة عن نسخة من سفر إشعياء مكتوبة بخط جميل ، وواضحاً أنه قد أُستخدم كثيراً . وظهر عند دراسته أنه يتفق بوجه عام مع النص الماسورى ، وفى بعض المواضع يتفق فيها النص مع الترجمة السبعينية أكثر مما يتفق مع النص الماسورى ، الأمر الذى يستدل منه بعض العلماء على أن الترجمة السبعينية تقدم لنا نصاً أدق للعهد القديم كما كان منذ ألفى سنة . وباجراء المزيد من الدراسات المتأنية اتضح أنه وان كانت هذه المخطوطات تتفق فى بعض المواضع مع الترجمة السبعينية ، إلا أنها فى غالبية المواضع تتفق مع الماسورية أكثر مما مع السبعينية (من المعروف أن الترجمة السبعينية تمت فى القرن - الثالث - قبل الميلاد) ، وبناء عليه لم يعد لبعض الدارسين ، ان يقولوا عن الترجمة السبعينية إنها تُرجمت بتصرّف ، وهم يتعاملون معها الآن بمنتهى التقدير والجدية كمرجع هام للتوصل إلى القراءات العبرية الأصلية .

ومما يدعو للدهشة أن مخطوطة سفر إشعياء (1Q IS ^{a}) تستخدم الحروف المتحركة أكثر مما تستخدمها المخطوطات الماسورية . وقد فسّر العلماء ذلك بأن الناسخ نفسه ، قد أدرج هذه الحروف المتحركة ليُعين القارئ على فهم النص . وهناك دَرجُ آخر لسفر إشعياء يرمز له بالرمز (1Q IS ^{b}) وجُد فى الكهف الأول

أيضاً ، تبين للعلماء أنه قريب جداً من النص الماسورى . وقد ذكر العلماء الذين فحصوا ودرسوا هذه المخطوطات ، أن الاختلافات الموجودة فيها كلها تنحصر فى الحروف المتحركة .

وفى عام ١٩٥٢م تم اكتشاف عدد من المخطوطات فى بعض كهوف « وادى المربعات » الواقع على بعد أحد عشر ميلاً إلى الجنوب من وادى قُمران . وهذه المخطوطات لكثير من الأجزاء من العهد القديم ، وجُدت تتفق تماماً مع النصوص الماسورية . وتمثل مخطوطات وادى المربعات جماعة من اليهود الذين كان لهم نشاط ملموس فى ثورة باركوكبا (فيما بين ١٣٢ – ١٣٥م) ، وهى تُطابق تماماً النص الرسمى الذى أُخذ عنه النص الماسورى .

كما دحضت مخطوطات قُمران آراء بعض ناقدى الكتاب الذين كانوا يعتقدون بأن أسفار الأنبياء القدامى والمتأخرين أُدخلت إليها بعض إضافات فى وقت متأخر حتى القرن الأول قبل الميلاد . ولكن مخطوطات قُمران لهذه الأسفار تتضمن الأجزاء التى كان ناقدو الكتاب يفترضون أنها إضافات متأخرة ، فثبت بطلان رأيهم ، لأنه بعد دراستها وُجد أن هذه المخطوطات ترجع إلى القرن الثانى قبل الميلاد ، وهى منسوخة عن نُسخ أقدم منها .

أما عن الدرج الجلدى المكتوب باليونانية لأسفار الأنبياء الصغار ، بعد عمل الدراسات عليه ، وجد أنه يرجع إلى الفترة ما بين منتصف القرن الأول قبل الميلاد ومنتصف القرن الأول الميلادي. وهذا الدرج يمثل مراجعة قبل العصر المسيحى للترجمة السبعينية ، وبمقارنتها مع النصوص الماسورية ، جاء التطابق إلى حد يثير الدهشة . هذا وقد تم مقارنة جميع مخطوطات قُمران (حوالى ٦٠٠ مخطوطة وآلاف القصاصات) ، بالنصوص الماسورية ، فوجدت متطابقة تماماً معها ، أما الاختلافات وهى تكاد لا تُذكر كلها تتعلق بالحروف المتحركة .

ويجب ملاحظة أن المادة المتاحة لتحقيق نصوص العهد القديم ، تفوق أضعافاً مضاعفة ما هو متاح لتحقيق نصوص أى وثيقة أخرى قديمة . والتطابق بين الحروف الساكنة فى مختلف المخطوطات لمما يدعو إلى الدهشة . كما أن الكم الهائل من المخطوطات التى تم اكتشافها ، والتى ترجع إلى ما قبل الميلاد ، تُطابق – إلى أبعد حد – فى حروفها الساكنة النص الماسورى .

وإنه لعمل فريد فى التاريخ ، أن يتم نسخ وإعادة نسخ النصوص منذ عصر نُساك قُمران حتى عصر ابن أشير دون وقوع سوى هذه الاختلافات الطفيفة . وهكذا نعلم أن النص قد حُفظ بدقة ملحوظة ، كما يكشف لنا ذلك عن القصد الإلهى فى أن تكون لنا ثقة فى الكتاب المقدس وأصالته ، أعظم مما فى أى كتاب آخر . لذا نقول : أن اكتشافات مخطوطات قُمران ، هى أعظم حدث تاريخى فى هذا القرن .



جزء من مخطوطة « سفر إشعياء »



صفحة من مخطوطة « سفر المزامير »

البـــاب الثانـــى

النصـــوص القُمرانيـــة

أولاً : مخطوطات خاصة بحياة الجماعة :

١- نظام الجماعـــة

٢- ملحق نظام الرعية - المباركات

٣- نظام الحـــرب

٤- المدائـــــح

٥- وثيقة دمشـــق

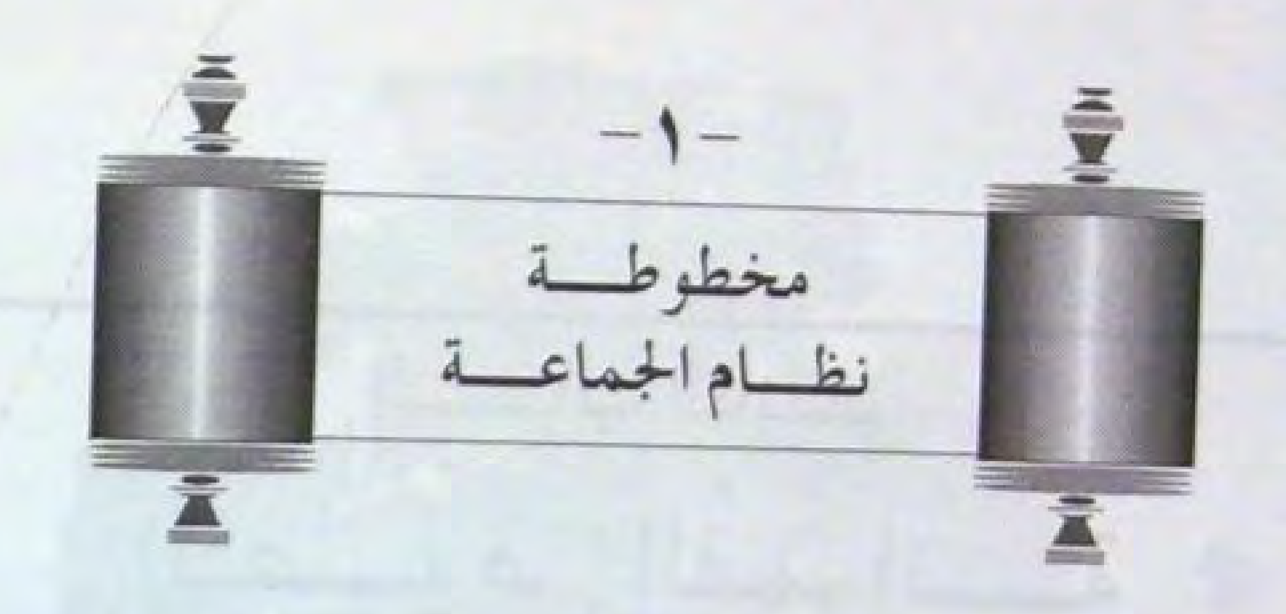
٦- درج الهيـــكل

ثانياً : شروحـــات كتابيـــة :

١- تفسير سفر حبقوق

٢- تفسير سفر ناحوم

٣- تفسير المزمور ٣٧



-١-

مخطوطة نظام الجماعة

يعتبر كتاب « نظام الجماعة » ، هو أحد أول المخطوطات الكبيرة المكتشفة فى المغارة الأولى فى منطقة قُمران عام ١٩٤٧ ميلادية . اشتراها المطران السريانى ، الذى كان يسكن دير مار مرقس بالقدس القديمة (حيث توجد البطريركية) ، وبعدها نقلت المخطوطة إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، حيث قام بنشرها مستر بوروز Mullar Burrows ، بمعاونة كل من د. تريفير Dr. John Trever ومستر براونلى William Brownlee تحت عنوان : « مخطوطات البحر الميت بدير مار مرقس The Dead Sea Scrolls of St. Mark's Monastery » . وأهتمت بنشر المخطوطة « المدرسة الأمريكية للبحوث الشرقية « American School of Orientales Research » .

المخطوطة مدونة باللغة العبرية ، وحُفظت بشكل جيد جداً . ويبدو أن « معلّم البر » الذى عاش - حسب رأى العلماء - فى الثلث الأول من القرن الأول قبل الميلاد ، هو الذى ألّفها . ويرجع تاريخ المخطوطة ، حوالى ما بين سنة ١٠٠ قبل الميلاد وسنة ٧٥ قبل الميلاد . تتكون المخطوطة من خمس أوراق جلدية ، مكتوبة فى أحد عشر عموداً ، ويضم كل عمود خمسة وعشرين سطراً . وقد أمكن أكتشاف أحد عشر مخطوطاً آخر لنفس هذا الكتاب ، فى المغارة الرابعة ، ويبدو نصها أكثر نقاء من النص الذى يكشفه مخطوط المغارة الأولى .

صفحة من مخطوطة « نظام الجماعة »

تعريف بمحتويات المخطوطة

١ - هدف الجماعة

نستطيع أن نلخص هدف الجماعة فى النقاط التالية : طلب الله من كل القلب وكل النفس ، وعمل ما هو صالح ومستقيم فى عينيه - حفظ جميع ما أوصى به الله موسى والأنبياء - الأبتعاد عن كل شر والتعلّق بالأعمال الصالحة - ممارسة الأعمال الصالحة تتمثل فى الحق والعدل والأستقامة على الأرض - حفظ القلب والعينين من الخطيئة - حفظ مواعيد الأعياد والأحتفالات حسب التواريخ المثبتة فى تقويم الطائفة بكل دقة ووقار - وبما أن العضو بكامله (جسداً وروحاً) مُنتسب للجماعة ، لذا هو يتخلّى لها عن كل أمواله ، ويحيا معهم حياة مشتركة

وبحسب قوانينهم – محبة جميع أبناء النور وكراهية جميع أبناء الظلمة – الأمانة الكاملة فى ممارسة الفرائض والأستقامة فى السلوك اليومى .

٢– إحتفال الدخول فى العهد

الذى يدخل إلى العهد ينبغى أولاً أن يلتزم بالعمل فى خوف الله ، ولا يتراجع عن العهد بتأثير خوف أو رعب أو تجربة مهما كانت ، مما يثيرها بليعال Belial (بليعال فى نصوص قُمران هو اسم رئيس الشياطين) . وتشتمل الجماعة على ثلاث رتب ، تماماً كما المجمع اليهودى الرسمى : الكهنة واللاويون والعامة . فيأتى العضو الجديد ، ويقف أمام الجماعة ، حينئذ يبارك الكهنة وكذا اللاويون الله على كل أعماله الصالحة تجاه البشر . والأعضاء الجدد يقولون بعدهم : آمين . آمين

ثم يروى الكهنة مآثر الله فى أعماله القديرة ، ويعلنون جميع أعمال النعمة الإلهية تجاه إسرائيل الحقيقى . بعدهم يروى اللاويون آثام بنى إسرائيل (إسرائيل الضال فى أورشليم)، وكل تمردهم وخطاياهم فى ظل إمبراطورية بليعال ، فيرد الذين يريدون أن يدخلوا فى العهد ويقولون : كنا أثمة ، ولكن رأفة الله كانت نحونا من الأزل وإلى الأبد .

أخيراً ، يصلى الكهنة صلاة على الأعضاء الجدد ، أن يباركهم الرب فى كل خير ويحفظهم من كل شر ولينر قلوبهم ويسهل لهم طريق الحياة الحقة ويمنحهم الفرح الأبدى . كما ويعلن اللاويون ، للأعضاء الجدد غضب الله إذا أخطأوا وعصوا أمره وتراجعوا فى العهد ، بأن يكون ملعوناً فى كل أعماله دون شفقة ، ويكون هالكاً فى ليل النار الأبدية ، وليحرقه غضب الله فى الهلاك الأبدى ويمنع عنه عونه وسلامه فى حياته على الأرض . فيردد الأعضاء الجدد : آمين . آمين .

٣– الإحصاء السنوى

كان على كل أعضاء الجماعة ، أن يُفحصوا كل سنة من جهة الروح والحكمة . فمن جهة الروح الذى يظهرونه : إن كانوا حقاً من الجماعة أم لا ، وإن كانوا

يسيرون فى روح الأمانة أم فى روح الضلال . أما من جهة الحكمة : فتدل على الدرجة التى بلغوها فى القداسة والتوافق مع عادات الجماعة . لهذا كانوا يَفحصون سنة بعد سنة « روح وأعمال » كل واحد ليروا هل تقدّم أو تأخرّ . والذى يقوم بهذا العمل هو « معلّم البر » الذى يجند الأعضاء الجدد (هو الذى يرى روح كل منهم) . وهكذا يدل « الروح » على عقلية كل واحد وعلى مدى عمق موقفه الدينى .

يمرون كل واحد سنة بعد سنة ، كلٍ بحسب رتبته : يعبر أولاً الكهنة ، ويعبر بعدهم اللاويون ، ويعبر جميع الشعب اخيراً . ثم يجتمعون سوياً ويمجدوا الله ، كما لو كان محفل الملائكة التى تسبّح الله . أما الأعضاء الذين أهملوا طرق الله وخالفوا قوانين الجماعة فيُفرزون من الجماعة حتى تثبت توبتهم . حينئذ روح الأستقامة تُطهرهم ، فتغُفر خطاياهم . ثم يرُشّون بالماء المقدس ليتطهروا وتتثبت خطواتهم نحو كمال طرق الله ، ولا يخطون خطوة واحدة خارج كلمات الرب .

٤– التعليم حول الروحَين

عَلّم نُسّاك قُمران ، بأن الله هيأ للإنسان روحين ، كى يسير بهما حتى لحظة مجيئه . أى أن بداخل الإنسان روحَين : قد ينتمى الإنسان إلى روح الحق والأمانه ، أو إلى روح الضلال والشر (وهذا فرق جوهرى جداً بين المسيحية والأسينية ، كنا قد تكلمنا عنه من قبل) . وهذا التعليم ذو أهمية أساسية عند نُسّاك قُمران ، ويشير إلى الدور الأساسى لـ« روح التمييز الصحيح » ، « الروح القدوس » ، « روح الإستقامة » ، من أجل تطهير وتقديس الإنسان . ولفن « تمييز الأرواح» فى الطائفة أهمية فائقة : لقبول عضو جديد ثم فحصه سنة بعد سنة .

وبشكل عام نجد لائحتين فى هذا التعليم : لائحة الفضائل ولائحة العيوب أى « دربى » كلا الروحين . هذه العقيدة حول الروحين ، هى دوماً موضوع تأمل لكل الأعضاء . وحضور الروح وعمله يجعلان من حياة كل إنسان حرباً وصراعاً ،

بين روح الأمانة والأستقامة « روح النور » ، وروح الضلال والشر « روح الظلمة » . ويقولون أن لكل إنسان روحه الذى يشارك فى نسب متفاوتة فى روح الخير أو الشر، إذن يعود كل تنوع الأرواح إلى هذين الروحين . وتُعرف صفات كل روح سواء كان صالحاً أم رديئاً ، بعلامات مميزة ، يراها الذين لهم قدرة على تمييز الأرواح . وهكذا قُسمّت البشرية إلى قسمين : أبناء البر (الأبرار) وأبناء الضلال (الأشرار) .

ويعلّم نُسّاك قُمران ، بأن الأفتقاد الإلهى ، هو تدّخل به يعيد الله كل شئ إلى النظام ، ويجازى كل إنسان بحسب أعماله أى بحسب الروح الذى كان فيه ، وبذلك يتحدد المصير الأبدى . وأن أى إنسان – حتى بين الصالحين – لا يفلت من الخطيئة ولا من ضربات « ملاك الظلمة » ، وهذا الأختلاط للخير مع الشر – فى صراع دائم – هو الذى يُميزّ الوضع البشرى ولن يتوقف إلا فى يوم الدينونة الذى عينّه الله، عندما يكون الشر قد أقصى وينتصر الخير إلى الأبد . وفى يوم الدينونة سيصبح جسد المختارين طاهراً خالياً من روح الفساد والنجاسة والأثم ، سيكون ممتلئاً بروح القداسة والحق فقط .

٥- الطاعــة

من أهم مبادئ الدخول فى العهد ، الطاعة الكاملة للكهنة **أبناء صادوق** ، وهنا نلمح أرتباط نُسّاك قُمران بصادوق الكاهن . فقد اعتبر نُسّاك قُمران أنهم أحق فى رئاسة الكهنوت فى أورشليم ، لأنهم من نسل هرون ومن سلالة صادوق الكاهن، لذا كهنتهم يدعون « أبناء صادوق » . وبما أن الكهنوت أُنتزع منهم وأُعطى لعائلة أخرى (هى أيضاً من نسل هرون لكن ليس من عائلة صادوق) ، فقد حاربوا بشدة كهنة ورؤساء كهنة أورشليم، واعتبروهم أشراراً وضالين (رئاسة الكهنوت أُغتصبت بدسائس بالتعاون مع الحكام الرومانيين)، وأعلنوا عدم طاعتهم وعدم الأشتراك فى ذبائحهم وتقدماتهم فى هيكل أورشليم .

لماذا صادوق الكاهن ؟ صادوق اسم عبرى معناه « عادل » أو « بار » أو « صدّيق » . كان صادوق بن أخيطوب مع أخيمالك ابن أبياثار (٢ صم ٨ :١٧)، كاهنين فى زمن داود النبى والملك . وعندما هرب داود من وجه ابنه أبشالوم ، خرج وراءه صادوق وجميع اللاويين معه يحملون تابوت عهد الرب ، ولكن داود أمره بأن يعود بالتابوت إلى أورشليم (٢ صم ١٥ : ٢٤ – ٢٩) ، وقد أظهر صادوق على الدوام ولاءً صادقاً لداود . وبعد هزيمة أبشالوم ومقتله ، أرسل داود الملك إلى صادوق وأبياثار الكاهنين ليُكلّما شيوخ يهوذا ليدعوا الملك إلى أورشليم (٢ صم ١٩ : ١١ – ١٤) . وخدم صادوق وأبياثار الكاهنان معاً طوال حكم داود . وكان صادوق – فى معظم الأوقات – يخدم فى الخيمة فى جبعون (١ أخ ١٦ : ٣٩) .

وعندما شاخ داود ، وأراد أبنه أدونيا بن حجيث أن يستولى على العرش، أيّده أبياثار الكاهن ، « أما صادوق الكاهن وبنايا بن يهوياداع وناثان النبى . . . فلم يكونوا مع أدونيا » ١ مل ١ : ٨ – ١٦ . ولما بلغ خبر مؤامرة أدونيا ، داود النبى ، أمر صادوق الكاهن وناثان النبى وبنايا بن يهوياداع أن يأخذوا سليمان وينادوا به ملكاً . وقام صادوق بمسحه فى جيحون ملكاً على كل إسرائيل (١ مل١ :٣٢) . ولما أستتب الملك سليمان « طرد أبياثار عن أن يكون كاهناً للرب لاتمام كلام الرب الذى تكلّم به على بيت عالى فى شيلوه » ١ مل ٢ : ٢٦ ، ١ صم ٢ : ٢٧ . « وجعل الملك سليمان ، صادوق مكان أبياثار » ١ مل ٢ : ٣٥ أى أصبح صادوق هو وحده رئيساً للكهنة ، وهكذا انتقلت وظيفة رئيس الكهنة إلى نسل العازار بن هرون .

واستمر صادوق ونسله يشغلون مركز رئيس الكهنة فى الهيكل الذى بناه سليمان، إلى أن دمّره نبوخذ نصر ملك بابل فى سنة ٥٨٦ ق.م. وعندما بُنى الهيكل الثانى بعد العودة من السبى البابلى ، شغل مركز رئيس الكهنة يهوشع بن يهوصاداق ، كما ورد فى (زك ٣ : ١ ، ٦ : ١١) ونسله من بعده إلى سنة ١٧٢ ق.م.

وفى عام ١٧٢ ق.م، عيّن الإمبراطور أنطيوكوس الرابع ، مينيلاوس الثالث رئيساً للكهنة عوضاً عن أونيا الذى من نسل صادوق . وكان ذلك آخر عهد سلالة صادوق بالمنصب الكهنوتى الرفيع ، الذى ضاع بتعيين مينيلاوس هذا . وكانت جماعة قُمران تؤيد كهنوت « أبناء صادوق » وتنتظر عودته . ويقول حزقيال فى نبوته : إن الكهنة اللاويين أبناء صادوق قد حرسوا حراسة مقدس للرب حين ضل بنو إسرائيل (حزقيال ٤٤ : ١٥ ، ٤٨ : ١١) .

نعود مرة أخرى إلى مخطوطة كتاب « نظام الجماعة » ، فنجد أن على العضو الجديد ، الذى ينعزل عن الناس الأشرار ، أن يدخل فى طاعة كاملة وبخضوع تام للكهنة « أبناء صادوق » وتحت سلطة من هم أعلى منه (العضو الجديد) فى الجماعة ، ويعلن رفضه وعدم خضوعه لكهنة أورشليم ، وعدم الأشتراك فى ذبائحهم .

٦- قَسَمْ الدخول فى العهد

العضو الجديد الذى تم قبوله لينضم إلى الجماعة ، يأتى إلى مجلس الجماعة والكهنة ، ويُعلن دخوله فى ميثاق الله (العهد) ، ويأخذ على نفسه بقسم الزامى أن ينفذ شريعة موسى ، بحسب كل ما كُشف منها للكهنة ابناء صادوق ، ويكون خاضعاً لدستور الجماعة وتنفيذ أوامر الكهنة ومن هم أعلى منه رتبة داخل الجماعة .

ويُقسم بحياته بأن يبتعد عن جميع الناس الأشرار الذى يمضون فى طريق الضلال ، ويمتنع عن أكل أو شرب شئ من مالهم . ويرفض أى شئ من يدهم على الإطلاق ، لأن كل اموالهم وممتلكاتهم نجسة ودنسة . هنا نلمس الروح الإنغلاقية لنُسّاك قُمران .

فى هذا الجزء من كتاب « نظام الجماعة » ، نجد أن العضو الجديد يُقدم إلتزامه تجاه دستور الجماعة (عهد الجماعة) وقسمه بحياته هو ضامن لأمانته [فى الجزء

الخاص بـ« احتفال الدخول فى العهد » . . . هو التزام العضو الجديد بشكل شعائرى تجاه الله بعهد أو ميثاق] .

٧- ترتيب أعضاء الجماعة

العضو الذى دخل ضمن الجماعة ، ويحيا حياة الشركة معهم ، فإنه يتم فحص روحه الجماعية ، ويجرى التمييز بين الواحد والآخر ، حسب عمق موقفه الدينى أى إستنارة أفكاره وأعماله ، بما يتعلّق بقوانين الجماعة ، ويرجع القرار للكهنة أبناء صادوق . وهنا نلاحظ سيطرة الكهنة فى تدبير الجماعة . وبعد إصدار القرارات يتم تسجيل الأعضاء بالترتيب ، الواحد قبل الآخر ، بعد تمييز روحه . ويتم ذلك سنة بعد سنة ، بحيث يتم رفع أو إنزال رتبة كل شخص بحسب الأخطاء التى يكون قد أقترفها وبحسب مدى أمانته لدستور الجماعة .

٨ - الحياة المشتركة

من أهم مميزات نُسّاك قُمران « حياة الشركة » ، بمعنى أن تكون حياتهم مرتبطة كلها من جميع الجوانب بعضهم مع بعض : يأكلون معاً ، يصلون معاً ، يعملون معاً ، يطيع الصغير الكبير ، يقتسمون كل معيشتهم سوياً ، لا توجد أموال أو ممتلكات شخصية . وبداخل حياة الشركة هناك نظام دقيق ، فمثلا : أى موضع يكون فيه عشرة أشخاص من مجلس الجماعة ، يجب أن يكون بينهم كاهنٌ ، ويجلس كل منهم بحسب رتبته ، ويُسأل كل واحد رأيه فى كل شئ بحسب درجته .

وحين يعدوّن المائدة للطعام أو يهيئون الخمر للشراب ، يرفع الكاهن يده لمباركة بواكير الخبز والخمر . أما من جهة الصلاة : كانت الجماعة تُقسمّ فرقاً ، فرقة لكل هجعة (قِسم معين من الليل) ، وهكذا تسهر كل فرقة ثلث الليل ، بحيث يكون السهر متواصلاً للصلاة وقراءة الكتب المقدسة ودراستها . وعند حضور الأجتماعات ، لكلٍ صفّه ! يجلس الكهنة أولاً ، والقدامى فى الصف الثانى ثم

باقى الشعب كله يجلس كل واحد فى درجته . وعند مناقشة أى موضوع يكون التحدث بحسب الدرجة ، وممنوع أن يتحدث أحد أثناء حديث الآخر وقبل أن يُنهى هذا الآخر حديثه . أما الذى يريد سؤال مجلس الجماعة ، عليه بعد الإستئذان أن يقف على قدميه باحترام شديد ووقار ويقول : لدّى ما أقوله للجماعة . فاذا سمحوا له بالكلام فليتكلم وإلا فليصمت .

ويوجد فى مجلس الجماعة شخص يُدعى « المراقب » وبالعبرى « م ب ق ر » على مجلس الجماعة ، وهو شخص يختلف عن « رئيس » بالعبرى « ف ق ى د » الآخرين . فالمراقب هو الذى يتولى الكلام فى مجلس الجماعة بمبادرة منه ، ويقوم بدور الوكيل . وهو يلعب دور « مُعلّم المبتدئين » فى الجماعة ، وهو المسئول عن قبول الطالبين الجدد .

٩- ثلاث سنوات تحضيرية

إذا رغب شخص أن ينضم إلى الجماعة ، عليه أن يمكث ثلاث سنوات حتى يصير عضواً كاملاً ، وتكون على الشكل التالى :

+ يتقدم الشخص إلى مجلس الجماعة ، وبعد فحص روحه وأعماله ، يقرر المجلس بصفة مبدئية إن كان يُقبل أم لا . اذا تم مبدئياً قبوله ، يمكث سنة « تحت الإختبار » ، يُسلّم فيها إلى المراقب ، ليتعلّم نظام وقوانين الجماعة ... فى « سنة الإختبار » هذه ، لا يُخالط الجماعة ولا تُخلط أمواله مع أموال الجماعة ، حتى إذا رجع عن عهده ، تُرد إليه كل أمواله .

+ بعد مرور سنة الأختبار ، يجتمع مجلس الجماعة ، ويتم فحص روحه وأعماله من الكهنة وغالبية أعضاء الجماعة ... إذا تمت الموافقة عليه ، يقترب من معاشرة الجماعة ، ويمكث معهم فترة سنة ، ويُسمى فيها « مبتدئ » .. فى فترة هذه السنة ، تُسلّم أمواله ونتاج عمله إلى يد المراقب ، لكن تُسجل فى حساب المبتدئ حتى إذا رجع عن عهده تُرد إليه كلها .

+ بعد مرور سنة أخرى للمبتدئ (أى يمكث المبتدئ سنتين) ، يجتمع مجلس الجماعة، ويُقرر أن يضم هذا الشخص إلى الجماعة ... إذا تمت الموافقة عليه ، عندئذ يصير عضواً كاملاً وتُضم أمواله إلى أموال الجماعة . ويكون له كل الحقوق التى للجماعة وتُطبق عليه كافة القوانين . وهذا يعنى أنه قد صار فى « عهد إسرائيل الحق » ويأخذ مكانه فى المجلس .

١٠ – قانون العقوبات

وضعت جماعة قُمران قوانين صارمة لأتباعها ، وكل من يخالف إحداها ينال عقوبة مقابلها تتناسب مع خطورتها ، وذلك حتى تتنقى الجماعة وتحتفظ بقدسيتها ولا تتسرب روح الشر إليها . وقد ورد فى المخطوطة ، قوانين للعقوبات نورد منها الآتى :

– إذا كذب شخص فيما يخص الأموال ، يُفرز من وسط الجماعة مدة سنة ويُحرم من ربع طعامه .

– إذا رفض شخص الخضوع لأوامر من هو أكبر منه وأراد أن يدبر أموره بنفسه، يُعزل مدة سنة عن حياة الشركة .

– يُمنع الحاضرون فى المجلس من التلفظ باسم الله ، ومن ينطق باسم الله لاى سبب ، يُعاقب بالموت (يُقتل) .

– من يتكلم بشّر عن عمد ، ضد أحد كهنة الطائفة ، يُطرد من شركة الجماعة مدة سنة ، ولكن إذا تكلم سهواً ، فيُعاقب ستة أشهر .

– إذا جدف أحد ، حين يقرأ الكتب المقدسة ، أو تلاوة البركة ، يُفصل نهائياً من الجماعة ولا يعود أبداً نحو مجلس الجماعة .

– الذى يضحك بحماقة وبصوت عالٍ ، يعُاقب ثلاثين يوماً .

– الذى يُخرج من فمه ألفاظاً خارجة ، يُعاقب ثلاثة أشهر .

- الذى يُظهر عورته أمام الآخرين ، يُعاقب ستة أشهر .
- الذى يغيب عن مجلس الجماعة دون إذن أو عذر حتى ثلاث مرات ، يعاقب عشرة أيام .
- الذى يمكث أكثر من عشر سنوات كاملة ضمن شركة الجماعة ، وتراجعت روحه إلى الوراء أو طلب إعفاءه ، لا يرجع أبداً إلى شركة الجماعة .

كما توجد قوانين أخرى كثيرة ، مأخوذ أغلبها من سفرى الخروج والعدد .

١١- مجلس الإثنى عشر والثلاثة

يُوجد بين نُسّاك قُمران ، مجلس مكون من إثنى عشر رجلاً وثلاثة كهنة ، كاملين فى كل ما هو مُعلن من الشريعة . يمثل كل من الرجال الأثنى عشر ، أحد اسباط إسرائيل ، والكهنة الثلاثة يكونون مع الأثنى عشر الذين هم من العوام ، ويترأسون عليهم . وهذا المجلس يمثل « **كل إســرائيل الحق** » . هؤلاء الرجـال الخمسة عشر يشكلون خلاصة شعب بنى إسرائيل . ومثل هذا التمثيل يتيح للجماعة أن تستعيد لحسابها مواعيد الله وفرائضه ، وتظل فى الوقت نفسه منفصلة عن إسرائيل التقليدى ، الذى تعتبره الجماعة خائناً للعهد .

الهدف الأساسى لهذا المجلس هو المحافظة على الإيمان على الأرض ، والتكفير عن عدم أمانة إسرائيل وضلاله (يُقصد بهم اتباع هيكل أورشليم) .ودور هؤلاء الخمسة عشر رجلاً هو : يقومون بعمل التطهير فى داخل البلاد والانتقام من الأشرار .

وعند دراسة هذا الجزء من المخطوطة ، تبين لنا ، إنه حين دوّن كتـاب « نظام الجماعة »، لم يكن أعضاؤها قد انفصلوا عن هيكل أورشليم بعد . فحلموا بامتلاك موضع داخل حرم الهيكل ، يكون بمثابة مركزاً ثقافياً واجتماعياً لكهنتهم، وموضعاً يقدمون فيه « التقدمة المقبولة » . حيث يُسمى الهيكل فى النص

« مسكن القداسة الأسمى لهرون » ويتضمن ذلك تلميحاً إلى عهد خاص عُقد بين الله وهرون ، وكان الهيكل رمزه .

١٢- قداسة الجماعة والعزلة فى البرية

يتطرق كاتب مخطوطة « نظام الجماعة » إلى موضوع هام يخص كل أعضاء الجماعة ، ألا وهو ما يلقونه من تجارب من بليعال (الشيطان) وأعوانه من خلال المحن وتنوّر الآلام التى يقاسيها الزرع المقدس (أعضاء الجماعة) . فيطلب منهم أن يحيوا القداسة ويتزودا بالشجاعة . ومؤلف المخطوطة شبّه هذه التجارب بـ « التنوّر »، حيث تُنقى المعادن ، وفى المقابل شبّه أعضاء الجماعة بـ « الغرس » أو الزرع الأبدي، وترتبط هذه الصورة باستعارة الكرمة التى تمثل إسرائيل (إش ٥ : ١ - ٧ ، إر ٢ : ٢١ ، ٥ : ١٠) ، واستعارة الأرزة التى تمثل ملوك إسرائيل (حز ١٧ : ٣١) ، ويُسمى « معلم البر » بستانى الغرس الأبدى (إش ٦٠ : ٢١) . لذا يحثهم على الثبات فى القداسة مهما كلفهم هذا من ضيق وآلام .

كما يحث كاتب المخطوطة ، الأعضاء القدامى ، بتسليم التعاليم الخفية للأعضاء الذين قضوا سنتين كاملتين بعد دخولهم فى العهد .ويكشفون هذه التعاليم لأشخاص أمناء ولا عيب فيهم ، أما الآخرون فيكون السر بالنسبة إليهم مطلقاً سراً . ويؤكد مرة أخرى أن التعاليم السرية التى تحيط بما تحققه الجماعة والتى لا تُكشف لغير الكاملين ، ينبغى للشخص الذى يتقبلها أن يُظهر جدية للسير فى طريق القداسةويُعطى ضمانات ضرورية بعدم الأفصاح عنها . ونحن حتى الآن لم نتمكن من التعرف على هذه التعاليم السرية ، ولم تذكر مخطوطاتهم شيئاً منها . لكن من خلال فكر شامل لكتاباتهم ، عرفنا أو استنتجنا أن هذه التعاليم السرية قائمة على الزمن : فكل فعل يجب أن يتم فى ساعته ، فى الوقت الذى قدره وحققه الله الملك سيد الزمن ، والله نفسه هو يوزع رؤاه . وهناك احتمالان لا ثالث لهما : إما أن هذه التعاليم شديدة القدسية ، لدرجة عدم التفريط فيها لمن

هو غير مستحق – أو أن هذه التعاليم تتعلق بقراءة الفلك والأزمنة ، لتحديد أمور خاصة بالأعياد والمناسبات ، ولا يمكن كشفها إلا لمن هم على خبرة مستنيرة بالكتب المقدسة وتُسلّم من جيل لجيل .

ثم يطلب الكاتب من أعضاء الجماعة ، أن يذهبوا إلى البرية ، ليفتحوا طريقاً للرب ، ويسهّلوا فى الصحراء سبيلاً لإلهنا (مُقتبس من إش ٤٠ : ٣) . والعزلة فى البرية ، هى عزلة بكل معنى الكلمة ، لا المعنى الروحى فقط . أما الطريق التى يجب أن تُفتح فى البرية في المعنى الرمزى درس الشريعة ، التى منها يصدر الوحى الذى يمنحه الله لمختاريه « زمناً بعد زمن » والذى عُرّف به الأنبياء على مرّ الأجيال .

وهكذا وجب على إسرائيل أن يفهم شريعة موسى ويمارسها ، وبما أنه لم يفهم فقد خسر إيمانه ، أما جماعة قُمران فهى وحدها التى تطيع إرادة الله كما عبّر عنها موسى وأوضحها الوحى اليومى زمناً بعد زمن .

ويظهر أيضاً فى هذا الجزء من المخطوطة ، أنه حين دُوّن « نظام الجماعة » ، لم تكن الجماعة قد انفصلت نهائياً عن الهيكل وتقدمة الذبائح . ولكن على إثر الصعوبات التى برزت بين أعضاء الجماعة والعالم اليهودى الرسمى فى أورشليم ، توقفت الذبائح عندهم ، لكن عندما يتم احتلال المدينة المقدسة والهيكل ، حينئذ تعود الذبائح . وهكذا نصل إلى « الذبيحة الروحية » التى هى تقدمة الشفاه والسلوك الروحى السليم ، يكفيان (مؤقتاً) للحصول على رضى الله ويحلاّن محلّ الذبائح الدموية .

١٣- نبى ومَسيحان

يُلمّح مؤلف « نظام الجماعة » ، ببعض الوضوح إلى مرحلتين أساسيتين فى تاريخ الجماعة : مرحلة البدايات ، وفيها كانت الترتيبات الأولى لإستقبال ما هو عتيد أن يحدث فى نهاية الأزمنة ، والمرحلة التى تُدشن مجئ النبى ومَسيحىَ هرون وإسرائيل . وهنا يُذكرّ الكاتب ، الأعضاء بالنبوءة عن هذا النبى التى أوردها

موسى النبى فى سفر التثنية « يُقيم لك الرب إلهك نبياً من وسطك من إخوتك (من بنى إسرائيل) مثلى . له تسمعون » تث ١٨ : ١٥ . أما عن كلمة « مسيحىَ » التى وردت فى المخطوطة (فى العبرية : م ش ى ح هو المكرسّ الممسوح بالزيت) ، هما مسيحا إسرائيل وهرون : أى مسيح من أصل ملوكى فى إسرائيل ، ومسيح من أصل كهنوتى فى هرون .

والشئ العجيب ، نرى أن السيد المسيح قد حقق فى شخصه المبارك هذه التسميات الثلاث : هو النبى المنتظر (أع ٣ : ٢٢ – ٢٦) ، والمسيح الكهنوتى (عب ٥ : ٦) ، والمسيح الملوكى لأنه أبن داود ملك إسرائيل (متى ١:١، ٢٧:٩) . [كنا قد تكلمنا عن هذا الموضوع من قبل وشرحنا مغزاه] .

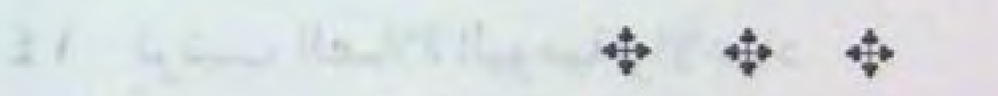
هنا نكون مرة اخرى أمام حالة إسقاط : فإعلان الكاتب عن إنه فى نهاية الدهور ، سيكون نظام الجماعة فى إطار ظهور مسيحين : واحد لإسرائيل وواحد لهرون [مسيح من ملوك إسرائيل ، ومسيح من الكهنة نسل هرون] . . . وخضوع مسيح إسرائيل لمسيح هرون – حسب المخطوطة – تلميح برجوع هيكل أورشليم ورئاسة الكهنوت لهم ، حينئذ يقدمون الذبائح والتقدمات ، وهذا هو غاية ما يحلمون به ، إذ أنهم – فى نظر انفسهم – إسرائيل الحق ، إسرائيل الجديد ، إسرائيل الأمين . وبما أن إسرائيل القديم فشل فى تصالح السياسة مع الدين لتكوين القومية اليهودية، أصبح حلمهم الكبير إنهاء هذا الصراع السياسى – الدينى تحت لواء مسيح إسرائيل ومسيح هرون . هذه أيضاً حالة إسقاط .

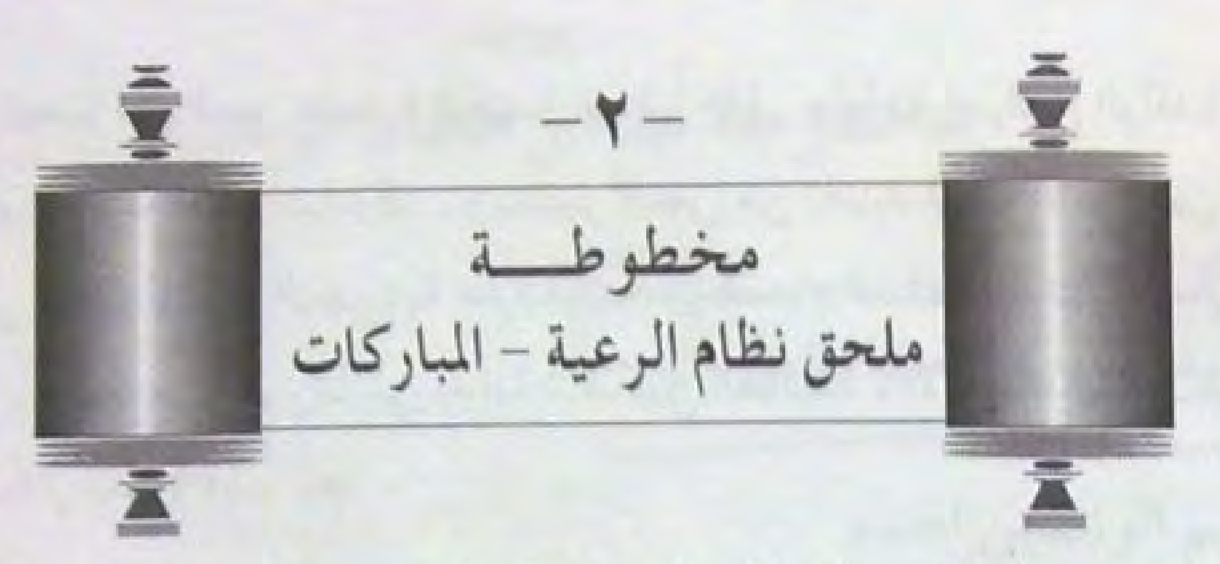
١٤- ترتيب الصلاة اليومية والأعياد

فى نهاية مخطوطة « نظام الجماعة » ، يتكلم المؤلف عن ترتيب الصلاة اليومية : ثلاثة أوقات مكرسّة للصلاة هى : طلوع الفجر ، والظهيرة ، ووقت الغروب . وهكذا اعتادت الجماعة أن تصوم وتصلى فى هذه الأوقات . وكما فى النهار ، هكذا فى الليل ، ثلاثة أوقات للصلاة : سقوط الليل ، نصف الليل ، ونهاية الليل .

ثم يتكلم عن فصول السنة فى التقويم الخاص بهم ، حيث يقول [دورات الفصول متناسقاً مع الرباطات التى تضم قمراً جديداً إلى قمر جديد ، وذلك لأن الإقمارات (فترة بين قمر وقمر) تتجدد وتنمو حسب سمّو قداسة الحرف « ن » ، حسب مفتاح نِعم الرب الأبدية ، حسب بدايات الفصول فى كل زمن آتٍ، فى بدءِ الشهور وحسب الفصول المرتبطة بها ، وفى أيام القداسة فى تاريخها المحدد بالعودة إلى الفصول المرتبطة بها]. وبعد الرجوع إلى كتب التراث اليهودى تبيّن الآتى : الحرف « ن » العبرى يأخذ القيمة العددية « ٥٠ » ، فالتقويم الأسينى المؤسس فى جوهره على مبدأ قسمة السنة إلى أربعة فصول ، بثلاثة أشهر لكل فصل ، يُفرد مكانة رئيسية لأقدس الأرقام وأهمها الذى هو الخمسون : ٣×٣=٩+٤×٤=١٦+٥×٥=٢٥ فإذا جمعنا الأرقام الثلاثة كان لنا : ٩+١٦+٢٥=٥٠ ولا ننسى أن هناك سنة اليوبيل التى تقع فى السنة الـ٥٠ وبعد ٧×٧ من السنوات. وكان فى سنة اليوبيل يُعتق العبيد ويتم تحريرهم (لاويين ٢٥ :٨).

أما عن « أيام القداسة » التى تكلّم عنها المؤلف ، فأنها تدل على الأعياد ، وقد كانت عديدة خلال السنة الليتورجية (الطقسية) الأسينية ، وقد تدل أيضاً على بداية الفصول . المهم هو أن هذه الأيام تأتى فى وقت محدد وثابت (سنتكلم عن هذا بالتفصيل ضمن التعريف بمخطوطة درج الهيكل) .





بعد نشر مخطوطة « نظام الجماعة » ، تم العثور على نصين آخرين ، نُسبا لنفس المؤلف ، رغم أنهما يعُالجان أمراً مختلفاً إلى حد ما . ويُدعى الأول **ملحق نظام الرعية** ، وهو مكون من عمودين فى المخطوطة . ولفظة الرعية هنا ، تشير إلى أن المقصود لم يَعد نُسّاك قُمران المتوحدين ، بل **مجموع إسرائيل** ، الذى قبل الدخول فى عهد الطائفة وفق مبادئها ، رجالاً ونساءً وأولاداً ، أناس يتوقون إلى الكمال . وبذلك أصبح أعضاء نُسّاك قُمران مهيأون ليكونوا قطباً ليجتذب كل المؤمنين الحقيقيين ويجمعونهم حولهم . وأعطى الكاتب ، هذه الجماعة الموسّعة لقب مجموع إسرائيل ، ليميزهم عن بقية شعب إسرائيل الضال فى أورشليم ، وإذ أراد أن يُجنبها ساعة تأسيسها التردد والحيرة ، وضع لها نظاماً . يُقدمَ هذا النظام للأزمنة المسيحانية ، لنهاية الأيام حيث تعود السلطة الشرعية إلى ذلك الذى ينتظرون مجيئه أى رئيس الكهنة (مسيح هرون) والمسيح الملك (مسيح إسرائيل) . وأهتم بشكل خاص بأن تكون حرب التحرير « حين تندلع » موافقة لأقل تفاصيل النظام ، لتتأمن للجماعة الحماية الإلهية . وتم التركيز فى هذا الملحق على تعليم هؤلاء الإسرائيليين الوافدين كل ما يتعلق بالشريعة ودستور الجماعة . ونص المخطوطة مكتوب بأسلوب إسخاتولوجى واضح .

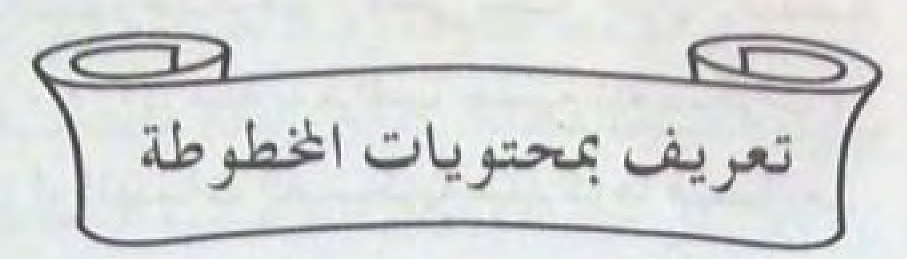
أما النص الثاني، فهو مخطوطة **المباركات** ، ربما كان يُشكل خاتمة احتفالية لمجمل الدرج . وهو كسابقه مكتوب ضمن منظور أخروى واضح . وكان أساساً مكوناً من خمسة أعمدة ، ويحتوى على سلسلة من المباركات المخصصة لمجمل المؤمنين ولمسيح هرون (رئيس الكهنة) ولمسيح إسرائيل (رئيس الرعية) .

ويتضح أيضاً من النص سيطرة الكهنة عملياً على جماعة إسرائيل الوافدة ، خاصة أن هؤلاء الكهنة أبناء صادوق . ويشير النص من بعيد لتأثر الأسينيين بالصراع السياسى الذى كانت اليهودية غارقة فيه ،بإنقسام السلطة الدنيوية على السلطة الدينية . ويرجع ذلك ربما إلى بداية تشكيل الطائفة ، الأمر الذى يُفسّر تعديل هذه الأفكار نسبياً فيما بعد .

ويظهر بوضوح استشهاد مؤلف هذه النصوص الثلاثة **نظام الجماعة - ملحق نظام الرعية - المباركات** بالتوراة . إنما دون أن يذكرها بنصها الحرفى إلا نادراً ، فهو يُدمج نصوص التوراة مع شئ من التعديل حتى يتوافق مع ما تنادى به الجماعة. كما أشار مؤلف النصوص هذه، إلى الذبائح الطقسية فيه مما يدل على أن الأسينيين لم يكونوا قد إبتعدوا عن الهيكل بعد . إن هذه المعطيات وإشارات غيرها تتعلّق بالتأريخ خصوصاً تجعلنا نعتقد أن هذه النصوص تعكس حالة لا تزال **جنينية** لجماعة قُمران ، أى أن الأسينية كانت فى بداية تشكلها عندما كُتبت. بل وربما كان يرجع إلى ما قبل إضطهاد « معلّم البر » الذى يعتبره الكثيرون المُلهم الأساسى لكتابة هذه الكتب الثلاثة. بل ويرى البعض أن تأليف كتاب « نظام الجماعة » بالذات، كان المشروع الذى أنطلق منه تكوين الطائفة نفسها . وهذا يعنى أن كتاب نظام الجماعة، يمكن أن يرجع إلى نهاية القرن الثانى قبل الميلاد .



أ - مخطوطة ملحق نظام الرعية



١- تعليم الوافدين الجدد

تشير المخطوطة إلى وصول عدد كبير من جماعة إسرائيل، فى عائلات كاملة مع النساء والأولاد ، لينضموا إلى جماعة نُسّاك قُمران . وهنا نتذكر ما قاله يوسيفوس عن جماعة من الأسينيين كانوا متزوجين (كتاب الحروب اليهودية) . كما تُلمح « وثيقة دمشق » فى مقاطع عديدة إلى أعضاء فى الجماعة تزوجوا وانجبوا ، أما ممارسة البتولية فجاءت بعد ذلك وامتدت. وما كانوا ليفرضوها فى البداية على الذين ينضمون إلى الجماعة، ونقرأ عن زواج الشبان الذين كانوا يعيشون فى الجماعة منذ طفولتهم (أولاد تبنّاهم الأسينيون) .

ويشرح الكاتب، ان هذه العائلات التى وفدت، رفضت أن تسير فى طريق ضلال شعب إسرائيل فى أورشليم، وجاءوا لكى يسلكوا فى الطاعة لقوانين كهنة أبناء صادوق. وقد قُسمت الرعية حسب السن كالآتى :

- فئة الأولاد : الطفل منذ صباه (ابتداء من سن عشر سنوات) يُعلّمونه محتويات كتاب نظام الجماعة وفرائض العهد- بحسب عمره - وينال تربيته فى أنظمتهم مدة عشر سنوات .

- فى عمر العشرين : يخضعون للإحصاء، حيث يدخل فى القسمة وسط عشيرته ليعيش حياة مشتركة معهم. ولا يقرب امرأة ليعرفها معرفة الأزواج. وإذا رغب فى الزواج، ينبغى أن تكون ابنة عشرين سنة كاملة، كما يحق للزوجة أن تحضر كمستمعة اجتماعات الجماعة حيث تُدرس الترتيبات المختلفة.

- فى عمر الثلاثين : فى هذا العمر يستطيعون أن يتقدموا لمختلف الوظائف أو المهمات العسكرية ، بحسب قبائلهم وعشائرهم . فعلى سبيل المثال : للقضاة من ٢٥ : ٦٠ سنة – للمراقب من ٣٠ : ٦٠ سنة – لمراقب جميع المعسكرات من ٣٠ : ٥٠ سنة. أما بقية الوظائف أو المهمات العسكرية سنذكرها فيما بعد . وتتأسس هذه التراتبية الدقيقة بين اعضاء الجماعة بحسب استحقاق كل واحد وكرامته، وبحسب قرار الكهنة.

- وضع المتخلفين عقليا : أما المتخلف، فلا يدخل فى وظيفة ليصل إلى مركز سام فى جماعة إسرائيل أو ليقوم بمهمّة فى الجماعة أو يحتل مركزاً فى الحرب. بل تسجّله عشيرته فى لائحة الجيش، وتكون خدمته فى الأعمال التى تتطلب مجهود بدنى وبقدر امكاناته.

- وضع اللاويين : يكونون تحت أوامر الكهنة أبناء صادوق. وعملهم الأساسى هو الإشراف على كل الجماعة، لكن الكلمة الأولى هى للكهنة وليس لهم.

٢- المستبعدون من مجلس الجماعة

تخبرنا المخطوطة أيضاً ، أن الأشخاص الذين يُدعون لمجلس الجماعة، هم العقلاء والعارفون والكاملون فى سلوكهم والسليمو البنية. أما الذين هم أصحاب عاهات (أقل عاهة) فلا يدخلون ضمن مجلس الجماعة، وقد عددّ نوعية العاهات مثل: مشلول الرجلين أو اليدين – الأعرج – الأعمى – الأخرس... أى عاهة تراها العين.

وقد ذكر الكاتب مبرراً لأسباب الأستبعاد فى سياق قواعد عامة يعملون بها ليحافظوا على نقاوة الجماعة والمدينة المقدسة ونقاوة المعسكر. حيث أن الصفات الجسدية والأدبية مطلوبة.

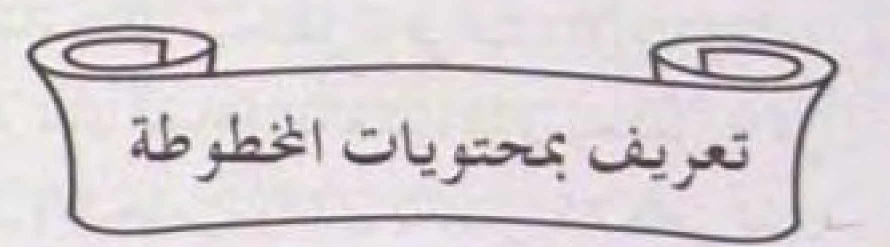
٣- الطعام الجماعى

يذكر مؤلف المخطوطة وصفاً لعشاء مثالى سُيحتفل به فى نهاية الأزمنة وساعة يكون المسيحان جاءا. ولكن بانتظار تلك الساعة، فالعشاء الذى يُحتفل به كل يوم وفى كل جماعة تضم أقلّه عشرة اشخاص، والذى يحتفل به الكاهن الذى يرأس المجموعة، يستلهم تلك الليتورجيا المثالية، والعشاء المسيحاني، فهو انعكاس له واستباق.

ويكون النظام على الشكل التالي: حين يجتمعون لمائدة الجماعة، ويشربوا الخمر، لا يمدّ أحد يده إلى بواكير الخبز والخمر قبل الكاهن. فهو الذى يبارك بواكير الخبز والخمر ويكون أول من يمد يده، بعد ذلك مسيح إسرائيل (رئيس الجماعة أو المسيح الملك). ثم كل أفراد الجماعة كلّ بحسب رتبته. وهناك احتمالات بخصوص هذه الولائم: هل هى ولائم عباديه قد حلّت محل الذبائح الرسمية فى الهيكل، أو هى ولائم وُضعت للساعة التى فيها تعود العبادة الحقيقية إلى هيكل أورشليم، أم هى ولائم عادية تسبقها صلاة .؟!

✣ ✣ ✣

ب - مخطوطـــة المبــاركات



هذه المخطوطة تحتوى على مباركات من أجل الإستعمال الليتورجي، ولكن حارَ أغلب الشراح فى توضيح المناسبات التى تتلى فيها، ومن كان يتلوها؟... على كلٍ، تبدو المخطوطة بشكل سلسلة من المباركات الشعرية، تبدأ كل واحدة منها ببعض عبارات نثرية تدل على الشخص الموجّهة له البركة. تتوجّه البركة الأولى إلى أعضاء الجماعة، والبركة الثانية موجهة إلى رئيس الكهنة، أما الثالثة فموجهة إلى الكهنة، والرابعة إلى رئيس الجماعة.

١- مباركة أعضاء الجماعة

ذُكرت فى المخطوطة تسميّات عديدة أُعطيت لأعضاء الجماعة منها: خائفو الله، العاملون بمشيئته، حافظو وصاياه، المتعلقون بعهده المقدس، السائرون بكمال فى كل طرقه والمختارون لعهده الأبدي. وقد ذُكرت هذه التسميات أيضاً فى «وثيقة دمشق»، مما جعل الشراح يربطون بين جماعة قُمران ووثيقة دمشق.

أما البركة الموجهة لأعضاء الجماعة فيقول عنها: «ليباركك أدوناى (السيد) من مسكنه المقدس والينبوع الأبدى الذى لا يجف. وليفتحه لك من علياء سمائه ويمنحك كل بركات السماء وليعلّمك معرفة القديسين».

٢- مباركة رئيس الكهنة

أعتبر الشراح، أن هذه المباركة تخص «مسيح هرون» أى المسيح الكهنوتى الذى يُعتبر الرئيس الروحى والسامى للجماعة. ويبدأ مؤلف المخطوطة فى سرد بركات رئيس الكهنة على المنوال التالى: «ليمنحك روح القداسة. ليمنحك

العهد الأبدي. ليمنحك حكماً عادلاً. ليمنحك بركته فى كل أعمالك. ليرفع **أدونـاي*** وجهه نحوك، وليسرّ برائحة ذبائحك الطيبة. ليرضَ ويعتنِ بتقدماتك المقدسة. ليضع على رأسك التاج. ليعطك السعادة الأبدية فى رفقة ملائكة القداسة. ليحارب أمام ألوفك...». وقد حار الشراح فى تفسير كلمة «ذبائحك الطيبة... تقدماتك المقدسة». هل نحن أمام ذبائح حقيقية مثل المحرقات العديدة التى تفرضها مخطوطة «درج الهيكل»؟! أم أمام ذبائح روحية؟؟... حتى الآن لم نجد الجواب.

٣- مباركة الكهنـــة

يوضح مؤلف المخطوطة، أن دور الكهنة مهم جداً وخدمتهم فى الهيكل تشبه خدمة الملائكة فى الهيكل السماوي. أما عن البركة التى أُعطيت للكهنة أبناء صادوق، فهى لكونهم الكهنة الشرعيين الذين اختارهم الله ليثبّتوا عهده على الدوام وليختبروا جميع ترتيباته وسط شعبه وليعلّموا بحسب ما فُرض، وهم الذين نظمّوا فى الحق عهده واعتنوا فى البرّ بكل فرائضه و ساروا بحسب إرادته. هذا العهد، يرتبط بكهنوت أبدى (خروج ٤٠:١٥، العدد ٢٥:١٣).

يقول عن هذه البركة التى للكهنة: «ليباركك أدوناى من مسكنه المقدس، وليجعل منك زينة بهاء فى وسط القديسين (لقب قديسين، ينطبق على الملائكة كما ورد فى مُخطوطة سفر أخنوخ الأول المنحول، وفى مخطوطة اليوبيلات). وليجدد لك عهد الكهنوت الأبدي. وليبارك شعبه بيدك. وليجعل منك موضوع قداسة وسط شعبه وشعلة تشع على العالم فى المعرفة، وتنير وجه الكثيرين. وليجعل منك أداة مخصصة للقداسة السامية، لأنك مكرسّ له وتمجد اسمه وقداسته».

---

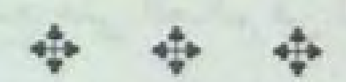
* **أدونـاى**: لقب من القاب الله، يُترَجم عادة «السيد» فهو يحمل معنى السيادة. وتُستخدم حروف الحركة فى هذه الكلمة فى المخطوطات العبرية للعهد القديم بديلاً عن كلمة «يهوه» التى لم يكن يُسمح لليهودى أن ينطقها، فعندما كان يصل القارئ العبرانى إلى كلمة «يهوه» كان ينطقها بلفظ «أدوناي».

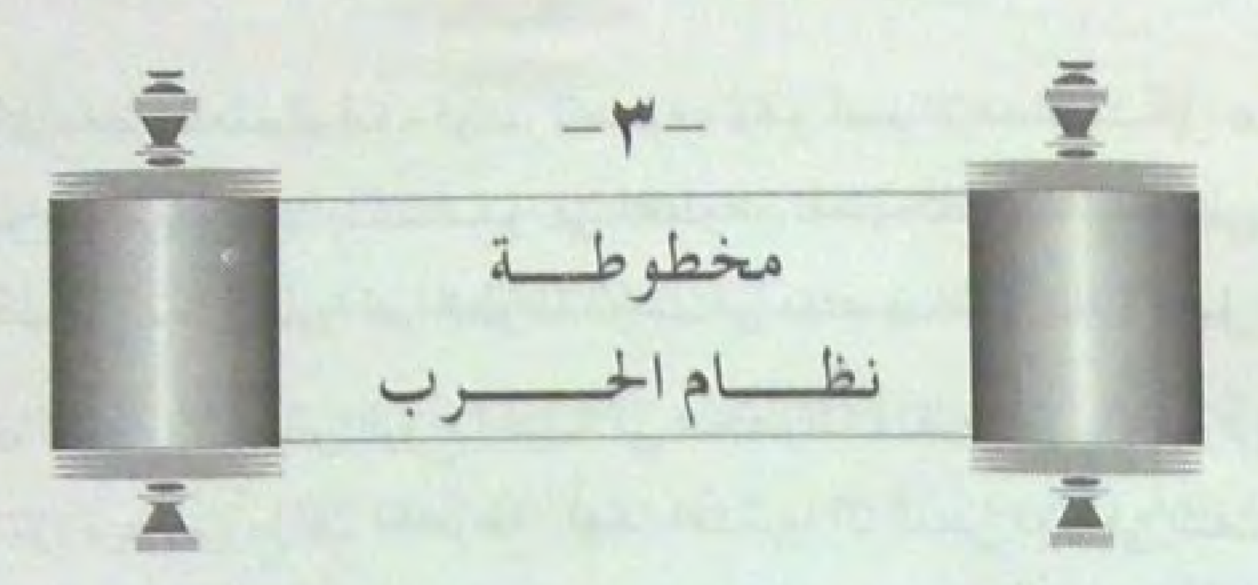
٤- مباركة رئيس الجماعة

رئيس الجماعة هو الرئيس الزمنى السامي، الرئيس العلمانى (ليس بكاهن)، هو مسيح إسرائيل (الملك). انتظرت جماعة قُمران مجئ مسيح هرون (رئيس الكهنة)، ومسيح إسرائيل (الرئيس الزمنى للجماعة). وقد كُلّف مسيح إسرائيل بإفناء جميع الأمم الضالة فى حرب التحرير، أى كُلّف بالأعمال الحربية. ولكن من الواضح أن الكاتب، خاف من مسيح إسرائيل الذى قد يستفيد من إمتيازاته العسكرية ليكون له الدور الأول. لهذا جعل له الكاتب المكان الأدنى فى الاجتماعات وفى الطعام وفى المباركات، ونلمح هذا بوضوح فى النصوص الثلاثة «نظام الجماعة- ملحق نظام الرعية- المباركات»، فجعل دائماً مسيح هرون متقدماً على مسيح إسرائيل، وطُلب منه أن ينفذ التعليمات التى يعطيها له مسيح هرون.

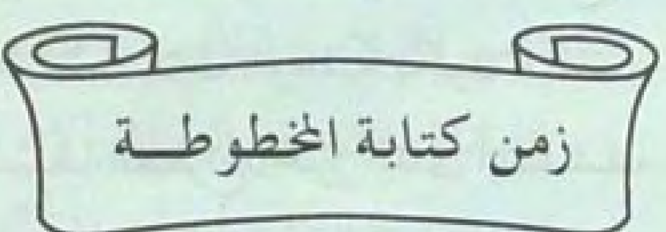
أما البركة المعطاه لرئيس الجماعة فتتمثّل فى قوله: «ليباركك أدوناى لتجديد عهد الجماعة (تجديد العهد المعلن عنه هو مشروع إلهي. ورئيس الجماعة هو أداة من أجل هذا التجديد). ليرفعك أدوناى إلى الأعالى الأبدية. وتكون مثل برج محصّن، فتضرب الشعوب بقوة فمك وبصولجانك تدمّر الأرض. ليجعل قرنيك من حديد ورجليك من نحاس. فتدوس الشعوب كوحل الأرض...».

أعتبر الشراح أن هذا النص الأساسيّ فى ما يتعلّق بمسألة انتظار المسيح الملك، يتضمن أموراً قريبة جداً مّما نجد فى مخطوطة «وصايا الأباء الإثنى عشر».





تم العثور على مخطوطة «نظام الحرب» فى المغارة الأولى سنة ١٩٤٧م، ونُشرت سنة ١٩٥٤م. طول المخطوطة ١,٩٠ متراً وعرضها ١٦ سنتيمتراً، تتكون من خمس وريقات كاملة جلدية، أما السادسة فوجدت ممزقة. تتألف المخطوطة من ١٩ عموداً وفى كل عمود ١٧ أو ١٨ سطراً، حيث تضررت أسفل العواميد. وقد تم العثور على ستة مخطوطات مختلفة للنص نفسه فى المغارة الرابعة.



بعد فحص المخطوطة جيداً، أجمع العلماء أن زمن تدوين المخطوطة يتأرجح بين منتصف القرن الثانى قبل الميلاد والنصف الأول من القرن الأول بعد الميلاد. ولتحديد زمن الكتابة بالضبط، فقد وُضعت عدة نظريات مختلفة، منها:

١- قال بعض الدارسين، أن المخطوطة دُوّنت بعد دخول الجيوش الرومانية بقليل إلى الشرق، فجاء ردّة فعل رمزية على سيطرة «قوات كتيم» على فلسطين، بعد أن عرفت بعض الاستقلال لاسيما مع الحشمونيين الذين حكموا البلاد فى النصف الأول من القرن الأول قبل الميلاد. حيث أن مؤلف المخطوطة، تطرق بشكل دقيق لوصف سلاح الفيالق الرومانية والأنظمة العسكرية لها. لهذا حددّوا زمن التأليف بعد احتلال بومبى الرومانى لأورشليم سنة ٦٣ قبل الميلاد.

٢- رأى بعض العلماء أن « قوات كتيم »، وهو اسم الأعداء بشكل عام، تمثّل القوات السلوقية. واكتشفوا فى المخطوطة تلميحات مختلفة إلى الحروب المكابية. لهذا اعتبروا أن المخطوطة دُوّنت فى منتصف القرن الثانى قبل الميلاد.

٣- رأى آخرون أن أساس الروح الحربية فى مخطوطة « نظام الحرب » تعود إلى تأثير الغيورين على مُؤلف المخطوطة. لهذا اعتبروا أن النص دوّن فى النصف الأول من القرن الأول بعد الميلاد. أى فى وقت وصل التوتر على أشده بين الشعب اليهودى والسلطة الرومانية، وقد استلهمت هذه النظرة إلى تطلّعات نجدها فى سفر التثنية، وهى تدعو إلى إفناء الشعوب الوثنية.

٤- لاحظ فريق من العلماء، أن أسلوب الكتابة فى مخطوطة « نظام الحرب » قريب الشبه لأسلوب كتابة مخطوطة « نظام الجماعة » ومخطوطة « المدائح ». هذا يعنى أننا أمام مؤلف واحد لهذه المخطوطات الثلاث. وعليه يكون الكاتب هو « معلّم البر »، الذى حاول أن ينظّم مسبقاً الصراع المحرر الذى استشفه وتخيله قبل حدوثه. ونقرأ فى مخطوطة « تفسير حبقوق » حول خلاف مُعلّم البر مع الكاهن الشرير، وبذلك نصل إلى فرضية ترى أن : الكاهن الشرير هو اسكندر يناى الذى اضطهد « معلّم البرّ » حوالى سنة ١٠٠ قبل الميلاد. وحيث أن مُعلّم البرّ هو مُشرّع جماعة قمران الذى كان فى تلك الأيام شيخاً جليلاً، ففى هذه الحالة يكون تدوين « نظام الحرب » فى نهاية حياة معلّم البرّ، حوالى السنة ١٠٠ قبل الميلاد.

تعريف بمحتويات المخطوطة

أهم ما نلاحظه فى هذه المخطوطة، وجود بعض الأمور المتعارضة التى لم يمكن تفسيرها حتى الآن. فعلى سبيل المثال : فى القسم الأول من المخطوطة، وُجدَ خبر نهاية الحرب قد انتهى فى العمود التاسع، ثم بعد ذلك يعود فى العمود العاشر

لسرد إستعدادات للمعركة، فيُدخل سلاحاً جديداً هو أبراج الحرب الأربعة المخصصة لرؤساء الملائكة الأربعة. كذلك فى القسم الثانى من المخطوطة، فهو عبارة عن سلسلة من الخطب والصلوات، فبعد أن يسرد خطبة رئيس الكهنة قبل المعركة فى العمود العاشر والحادى عشر والثانى عشر، يرجع مرة أخرى ويُلخصها من جديد فى العمود الخامس عشر، وبذلك تبيّن عدم تجانس القسم الثانى على الأطلاق.

القسم الأول المخصص أصلاً لوصف الحرب والتعليمات، هو بعيد كل البعد عن أسلوب الخطابة، وإستشهاداته من الأسفار المقدسة قليلة، لكنه يُعتبر الجزء الأهم، إذ يطرح التصور الكامل للحرب. ويُعلن مؤلف المخطوطة منذ البداية أنها حرب إسخاتولوچية (آخروية) ستنطلق فى الوقت الذى يحدده الله لها، وهى مُقدمة لزمن الخلاص الذى هو عتيد أن يظهر، ولا شك أن المؤلف، كان متأثراً بالنبوءة القائلة بالتجمع النهائى لأمم الأرض ضد أورشليم « وأجمع كل الأمم على أورشليم للمحاربة فتؤخذ المدينة وتُنهب البيوت » زكريا ١٤ : ١-٢، فيحوّل المبادرة إلى معسكر المؤمنين الذين يكونون قد أصبحوا سادة أورشليم، وذلك أن الهجوم لن يبدأ قبل هذا التجمع الآخروى لجميع المنفيين.

فى وصفه للحرب بين الوثنيين والأشرار من اليهود من جهة ، والأسينيين وأبناء النور من جهة أخري، اقتبس المؤلف الكثير من العهد القديم وبخاصة من سفرى حزقيال ودانيال. بل إن هذا المنظور الرؤيوى لقتال أعداء الله يمكن أن يكون مستعاراً من الأدب اليهودى القديم. وستدوم هذه الحرب وقتاً معيناً وتستدعى تجمع الشعب كله، على خلاف الحرب الدفاعية التى يتنبأ بها « درج الهيكل » والتى لا تتطلب تحريك أكثر من نصف الشعب.

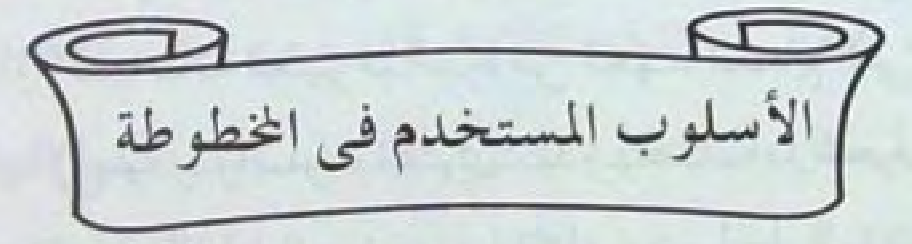
هدف هذه الحرب تدمير أمم الأرض ممثلة أولاً بالأعداء التاريخيين لإسرائيل : الأدوميين والموآبيين والعمونيين، والذين يضاف لهم « قوات كتيم »، الذين يشكلون هنا جيش بليعال (الشيطان). فالأمر لم يعد يتعلق هنا برؤيا روحية

بسيطة، والعدو لم يعد كما فى حزقيال جوج ملك ماجوج، بل هو «الكتيم» تحديداً. فقد استُخدمت هذه التسمية بالتتالى للإشارة إلى شعب كيتيون Kition فى جزيرة قبرص، وسكان جزر المتوسط ممثلين بالمقدونيين (مكابيين الأول ١:١)، وأخيراً إلى الرومان كما يبين ذلك نص دانيال «فتأتى عليه سفن من كتيم فييئس ويرجع ويغتاظ على العهد المقدس» دانيال ١١ : ٣٠. على الرغم من أن بعض العلماء ظلوا متمسكين بالتفسير «السلوقي» للكتيم ، لكن معظم المختصين يأخذون بالتفسير «الروماني» الذى يتفق مع مخطوطة «شرح حبقوق» ، «وثيقة دمشق».

يشير د. يادين Dr.Yadin فى نشره للمخطوطة "The Scroll of the War " Oxford 1962 أن النص يستلهم فى وصفه للأعمال العسكرية من فن الحرب الرومانى . ونجد فى هذا الفن كافة تفاصيل المعركة والتقسيم والتوزيع والرايات والأبواق والتسليح وتشكيل الصفوف وأعمال المشاة والفرسان...الخ. ولا يبدو المظهر اليهودى إلا من خلال التدوينات على الرايات ودور الكهنة واللاويين، وعظات رئيس الكهنة قبل القتال، والتبريكات واللعنات خلال المعركة والأناشيد الحماسية، وكلها تشير إلى حرب مقدسة ضد الوثنيين ممثلين فى الرومان.

يتضح من النص عند وصفه لجيش مقسم على نمط توزع إسرائيل فى الصحراء بحسب ما جاء فى سفر التثنية (١٥:١) إلى عشائر وآلاف ومئات وخمسينات، وذلك كله بهدف الوصول إلى الأهداف الأساسية للحرب. كذلك نلاحظ الحضور المتفوق والمتقدم دائماً للكهنة واللاويين على العلمانيين. فتدخلهم الطقسى المضبوط تماماً هو الذى يعطى الحرب صفتها المقدسة. وهم الذين يقومون بتنفيذ الطقس القديم بإطلاق صرخة الحرب المقدسة التى كان يقوم بإطلاقها قديماً المقاتلون كلهم. ولا يُعطى للقائد المدنى (المدعو أمير الرعية كلها) غير دور بسيط قياساً لدور الكاهن الأكبر.

صفحة من مخطوطة «نظام الحرب»



الأسلوب المستخدم فى المخطوطة

يتضح لمن يقرأ المخطوطة أن لمؤلفها دراية كبيرة بأسفار العهد القديم. وهذا ما يكشفه الأسلوب الأدبى المستخدم فى النص، لكنه يحاول أن يُطوّع مفاهيم هذه الأسفار لتناسب ما يُنادى به. فعلى سبيل المثال : يذكر فى النص أن ملكوت الله سيحتلّ العالم كله، وأن عدّة لعنات ستصيب الشعوب الوثنية. غير أنه لم يهتم بالنبوءات التى تدّل على شمولية الخلاص وتتحدث عن ارتداد الوثنيين . لهذا تخيّل ، شأنه شأن اليهود فى عصره ، أن ملكوت الله هذا سيتحقق فى حرب لا هوادة فيها تُفنى كل الأمم، ولا تُبقى إلا على المتمسّكين بعبادة يهوه.

وتبين من نص المخطوطة أن كاتبها كان رجل تشريع قبل أن يكون رجلاً صاحب تنظيم عسكري. وقد وضع فى نصب عينيه أن تنفيذ شرائع الله يجلب النجاح التام للجماعة فى الحرب. فالله سيتدخل فى الحرب بلا شك، فينتصر الأبرار، أما الأشرار فيعاقبهم ويدمرهم دماراً تاماً لبعدهم عنه. فالضلال والشر العظيم الذى اقترفه أبناء الظلمة يقوم على عدم اكرام الله، وبالإتكال على آلهة غريبة. هؤلاء يوبّخهم على جحود أو شرك فقط بل أيضاً لأنهم ليسوا أمناء لإله إسرائيل.

والأسلوب الذى كُتب به النص ، يُقدم لنا فكرة عن شخصية الكاتب الذى يبدو أنه كان خطيباً مفوّهاً وشاعراً متقداً. فاعتقد بأهمية الخطب، وألف مسبقاً عدداً منها ليشعل حماس المقاتلين. أما عن نظرياته الحربية فهى غامضة، أخذها بطريقة مشوّشة من العهد القديم أو من ما سمعه عن الجيوش الرومانية،فنظّم العمليات العسكرية بشكل مسيرة ليتورچية على وقع الأبواق العديدة، كما فى احتلال أريحا على يد يشوع.

أهم ما يميز أسلوب مخطوطة « نظام الحرب » هو التكرارات العديدة سواء فى الخطب أو التنظيمات العسكرية أو اقتباساته الغير مباشرة من العهد القديم التى تدل على معرفته الواسعة بالأسفار الإلهية . وأسلوبه النثرى يبدو باهتاً، أما شعره فيدل على حرارة الإلهام مع ايقاع تقدمه ألفاظ بحث عنها المؤلف من أجل الوزن الموسيقي.

المفاهيم الروحية لكاتب المخطوطة

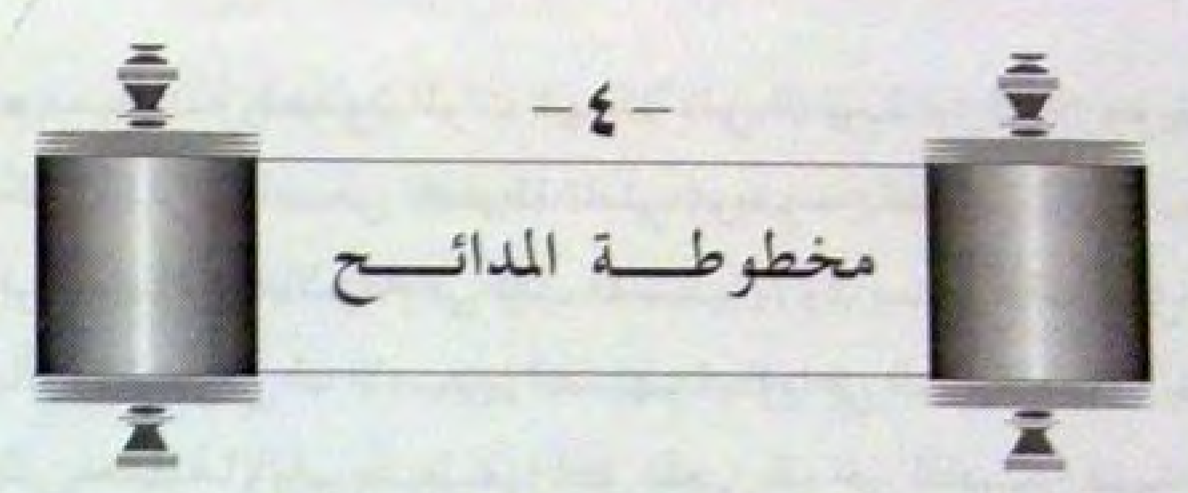
قبل أن نتكلم عن المفاهيم الروحية لكاتب المخطوطة... نتساءل : هل كان الاسينيون جادين حقاً فى مثل هذا القتال وتحقيقه؟ إذ نلاحظ ونلمس الحقد والرغبة بالإنتقام من « قوات كتيم » والأشرار. لكن يوسيفوس يُقدم لنا الأسينيين

على أنهم مسالمون ويفضلون الموت شهداء على أن يحملوا السلاح ويقاتلوا به. ولهذا يمكن الافتراض أن نص المخطوطة تأملى بموضوعه بالدرجة الأولى ، وربما كان يهدف إلى إبقاء الأمل بالأنتقام فى قلب الأسينيين. ولا نستطيع أن نغفل الإمكانية الجديرة بالاعتبار، وهى أن الأسينيين أنفسهم أساؤوا فى النهاية، كما اليهود، فهم الرسالة التى حملوها، ولم يستطيعوا تمثل المعنى الروحى المتضمن فيها بعيداً عن الجانب السياسي.

أما عن المفاهيم الروحية لكاتب المخطوطة، فنستطيع أن نجملها فى عبارة هى : عمل الله القدير هو الذى ينظّم مسيرة الأحداث. فالله هو أصل كل شئ، هو رب الخليقة كلها، بل هو الذى خلق بليعال (الشيطان) وملائكته الأشرار. ولقد اختار الله برحمته إسرائيل وفصله عن سائر الشعوب. ويشير المؤلف إلى كون أبناء الظلمة عملاء بليعال ويعدّهم لفناء عادل، أما أبناء النور فهمّهم الوحيد هو تأمين انتصار إلههم على الأرض، وهم متأكدون من حمايته القديرة. وكما أن لله ملائكته القديسون الذين يشكلّون ملكوته السماوي، ورئيس الملائكة هو ميخائيل يرافقه جبرائيل وسوريئيل وروفائيل. ويقوم بحرب على هؤلاء الملائكة الذين من حزب النور، بليعال وملائكته الأشرار الذين من حزب الظلمة.

بليعال وملائكته الأشرار هم المسؤولون عن المضايقات التى تصيب بشكل عابر أبناء النور. وتنضمّ نفوس الأبرار إلى الملائكة القديسين ومعاً يقاتلون من أجل أبناء النور. ويورد كاتب المخطوطة أفكاراً كثيرة حول خلود النفس والدينونة بعد الموت، ويركز المؤلف على حقيقة هامة هى : جميع أهل الظلمة سيقتلهم أبناء النور الذين يُقيمون ملك الله النهائى فى عالم تخلّص من الشر والخطيئة، وهذا يبين ضيق أفق، إذ يحصر الخلاص فى فئة محدّدة وهى « جماعة إسرائيل الحقيقي »، وينسى الشمولية التى نادى بها الأنبياء. وهذا فرق جوهرى بين المبادئ الأسينية والمبادئ المسيحية.

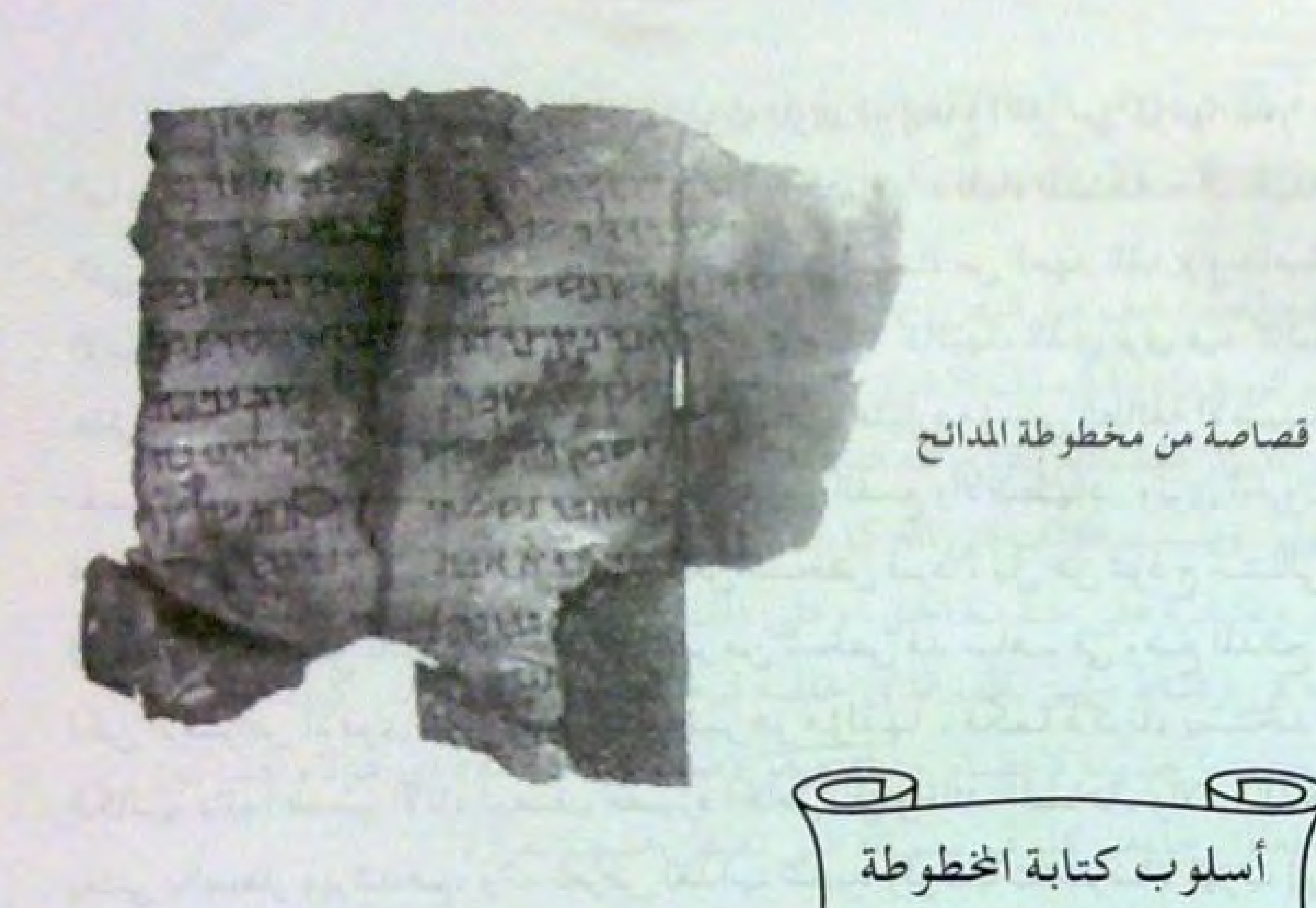




-٤- مخطوطـــة المدائـــح

تم العثور على مخطوطة « المدائح » فى المغارة الأولى فى قُمران، وتتكون من ١٨ عموداً بالإضافة إلى ٦٨ قصاصة منه يصعب ترميمها. وكُتبت المخطوطة بيد ناسخين إثنين . وقد عُثر فى المغارة الرابعة على ست مخطوطات أخرى منه وإنما فى حالة سيئة . والمخطوطة عبارة عن مجموعة من الترانيم أو المدائح (بالعبرية حودايوت Hodayot)، وكل مديحة تبدأ بعبارة «أمدحك أدوناي» أى « أمدحك أيها السيد »، ويليها ما يبرر هذا المديح، وهو البركة أو الخير الذى عمله الله من أجل المرتل أو من أجل غيره. وتحتوى المخطوطة علي٣٢ مديحة غاية فى العمق تتحدث عن :

الله الخالق ومصير الإنسان – مُعلّم البر هو عرضة لعداء الأشرار – ثقة بالله خلال الاضطهاد– ضيق المضطهد – خلاص النفس ومخاوف نهاية العالم – ولادة المسيا المخلّص – آلام مُعلّم البر – عون الله خلال المنفى والمحنة – نجاح خدمة معلّم البر وانتصار جماعته – ثقة معلّم البر ونمو الفرح – سَر النعمة وغفران الله – الأختيار السابق ونعم الله – معلّم البر ينبوع مياه حية – ثقة بحماية الله الأبدية وسط الضيق – قدرة الله وعدم الإنسان – ثقة بالله الذى أعطى المؤمن المعرفة – احتقار الغنى والملذات – نعم الله لمختاريه – من الحزن إلى الفرح بالمعرفة – مديح الله فى كل وقت – عجائب الخليقة وتجديد الكون – فضائل الأمناء فى العهد – الواجبات الأساسية للأمناء على العهد – حبّ المؤمن لله – اختيار الله السابق – من المعرفة إلى الصلاة وخدمة الله – دينونة الله – خلاص مؤكد للمؤمنين – الإنسان والتبرير – عهد الله – معلّم البر والبشرى .



قصاصة من مخطوطة المدائح

أسلوب كتابة المخطوطة

بعد قراءة نص المخطوطة بتأن ، نكتشف إننا أمام تأملات تُعبر عن حياة روحية حارّة تستند إلى إيمان صادق . والأسلوب الأدبى المستخدم فى المخطوطة قريب الشبه من أسلوب مزامير داود النبى ، فأغلب أنواع المدائح التى حوتها المخطوطة من توبة ومراثٍ وترانيم للشكر على أعمال النعمة وترانيم تتحدث عن حكمة الله ، مستوحاة من سفر المزامير. أما بقية المدائح فهى مستوحاة من مراثى إرميا وأمثال سليمان ويشوع بن سيراخ وأيوب . وعموماً تتوافق العقيدة الموجودة فى المخطوطة مع روح العهد القديم، بالإضافة إلى أنها تحمل أيضاً مفاهيم خاصة بالطائفة **الأسينية** ، وبخاصة حول «**المعرفة**» كمنبع للسلام ، والتى كشفها الله للمؤلف. كما يعطى الكاتب أهمية كبرى فى كشف « الأسرار » المخبأة فى الوحى الإلهى ، لذا فالشخص الذى يعطيه الله هذه الموهبة له رتبة سامية ترتفع إلى رتبة نبي، ليصبح حجر الأساس فى مخطط الله (حجر عثرة للخطاة وحجر خلاص للابرار)– حسب مفهوم المؤلف– فهو إذن موسى جديد يعيد تأسيس يهودية جديدة أو بالحرى إسرائيل جديد، وفقاً للكشف الجديد .

والأسلوب المستخدم فى المدائح، أسلوب نثرى ذو إيقاع أكثر من كونها شعراً، أما عن التشبيهات التصويرية المستعارة مثل : النبات – المياه المتبثقة – السفينة التى تتقاذفها الأمواج – آلآم الولادة . . .الخ كلها مستقاة من العهد القديم وخاصة الأسفار الشعرية . كما تكشف المخطوطة عن شخصية كاتبها، الذى نرى فيه كاتباً عاش حياة روحية عميقة، ولا يتردد الكثيرون فى اعتباره مؤسس الطائفة الأسينية نفسه «مُعلّم البرّ»، إذ يبدو أنه عانى شخصياً من القمع والاضطهاد . ويرى آخرون أن ضمير «الأنا» فى المدائح لا يُعبّر عن شخص فرد ، بل عن نموذج مثالى للأسينيين، ويمكن بالتالى أن يكون أكثر من شخص قد ساهم فى وضع المدائح . لكن الافتراض الأقوى أن يكون معلّم البر هو مؤلفها ، فكما ذكرنا، يستخدم الكاتب دائماً ضمير الأنا، ليصف مصيره الخاص، فهو قائد الجماعة، والأب الذى يعتنى بالصغار ويرشدهم، وأنه تعرّض لعذاب شديد ولوشايات مغرضة، فهرب إلى مكان ما، وعند عودته عومل بشكل سئ.

المفاهيم الروحية لكاتب المخطوطة

يتأمل كاتب «المدائح» بعمق شديد فى قدرة الله وقداسته، ، وعظمته ولطفه، وحنانه، لذا فهو يقوم بدوره كمنشد للخالق بفرح . أما عن محبته القوية لله، وثقته التى لا حدود لها فى رحمته وغفرانه، جعلته مشغولاً على الدوام فى حياة التأمل . لهذا ، فهو يريد أن يُقدم له الاكرام والسجود فى الليل والنهار وإلى أبد الدهور . هذه التأملات ترتفع بروحه إلى مستوى «الثاؤريا» أى المشاهدة الحقة . كما أن الكاتب لا يغفل عن ذكر ضعف الإنسان وشقاءه، لكن مع نظرة تشائمية . فقد وصفه بأنه إنسان الخطيئة الذى غرق فى النجاسة– جبلة الطين – ينبوع نجاسة– بوتقة فساد– روح ضلال – هو فى الفساد منذ ولدته أمه وحتى الشيخوخة سيبقى فى الشر والخطيئة – فى ضعف تام أمام الخير – مصيره إلى التراب . ومع

ذلك، فالله يعمل فى قلب الإنسان ويقدّسه ويحوّله حين يتوب عن خطاياه، حين يكون ذلك الابن الأمين، حين يكون إنسان العهد .

كما نستشف من النص، ما قد سبق وكتب عنه فى «نظام الجماعة» عن «تعليم الروحين»، فكما أن الأشرار يسود عليهم روح بليعال (الشيطان)، هكذا يعيش الأبرار منقادين لروح الله الذى يحرّكهم ويوجّههم، دون أن ينزع كل حريتهم . وينسب المؤلف إلى الله كل خير فى الإنسان وغفران الخطايا ومعرفة الأسرار والمثابرة على خدمة الحق. وعلى ذلك يستطيع الإنسان البار أن يمارس نشاطه فى ارتباط وثيق بالله، الذى خلقه ليغدق عليه خيراته. كما ينسب الكاتب، اسماً جديداً لإعضاء جماعته هو «**مساكين النعمة**» أى هؤلاء المساكين الذين جعلوا رجاءهم كله فى نعم الله التى تفيض عليهم بغزارة .

ويذكر الكاتب مراراً أن الله وحده بار ، وأنه ليس بارّ أمامه . ومع ذلك، ينادى بإمكانية «برّ» يتحقق بتوافق العمل البشرى مع رضى الله ، فبتأثير الله يستطيع البشر أن يسيروا فى «طرق البر»، أو ينالوا ممارسة البرّ، وهكذا يصيرون من الساعين إلى البرّ أى من اختارهم الله لكى يمارسوا البرّ، ويُطلق عليهم اسم «**مختارى البرّ**». فبرأفة الله فقط يكون الإنسان باراً، والإنسان ليس ببارّ خارجاً عنه . إنه برّ يتجاوز مستوى النشاط ويدرك مستوى الشخصية، لا يمكن أن يمارسه الإنسان بدون تدخل من الله . وحتى يتدخل الله لابد من ممارسة تامة للشريعة وحفظ أمانة العهد وكمال السلوك – هذا هو الوجه الإيجابى للتبرّير – أما الوجهة السلبية للتبرير، فتقوم على غفران الخطايا . لذا فالكاتب يعّبر عن الثقة والفرح اللذين يحركهما الغفران فيه، فهو يثق فى رحمة الله الغافرة . وبغفران الخطايا يتنقى الإنسان – لكن فى دائرة الجماعة – من كل خطيئة ، ويتقرّب من الأرواح السماوية بل من الله نفسه .

ويشدد الكاتب على موضوع « كشف الأسرار الغامضة » وهى عبارة عن أنوار جديدة منحها الله فى عنايته ، لشخص معين، يقرأ الأسفار الإلهية بعين مكشوفة. لكن الغريب أن المؤلف لا يذكر لنا شيئاً عن هذه الأسرار ، فهو يضعها فى كلمات مُبهمة مثل : أنا أعرف أسرارك العجيبة – أعرف سرّ حكمتك – سرّ مجدك – سرّ عجائبك – سرّ قدرتك – سرّ حقك. . .الخ. وبما أن الله أعطى للكاتب موهبة كشف الأسرار ، فهو يرتب أعضاء الجماعة بحسب الحكمة أو المعرفة التى نالها كل واحد، هذه المعرفة هى معرفة الكتب المقدسة التى هى عامل مهمّ فى التقدم الروحي، وفى كشف كنوز الأسفار الإلهية.

ويكشف مؤلف المخطوطة أن الله عَهِدَ إليه بمهمّة خاصة، فالله أعطاه عقل المعرفة، وفهم سرّه العجيب وأعماله العظيمة. فجعله مُفسّر المعرفة ويُنقل هذه المعرفة إلى البشر. وقد وضع الله فى فمه مدائح، وعلى لسانه نشيداً ليروى أمجاده وسط بنى البشر، وجعل الله فى فمه التعليم وفى قلبه الفهم ليفتح ينبوع المعرفة للعقلاء كلهم . إذن مهمة الكاتب تنحصر فى تعليم كل الأحياء عجائب الله ووفر نعمته وعظم مراحمه. هو ينبوع يسقى غرساً، وأب روحى يقدم الطعام الروحى لأولاده، لذا لقبوه تلاميذه «مُعلّم البرّ». وهكذا صار صاحب المدائح نقطة اجتذاب للنفوس التى تسعى فى طريق البرّ.

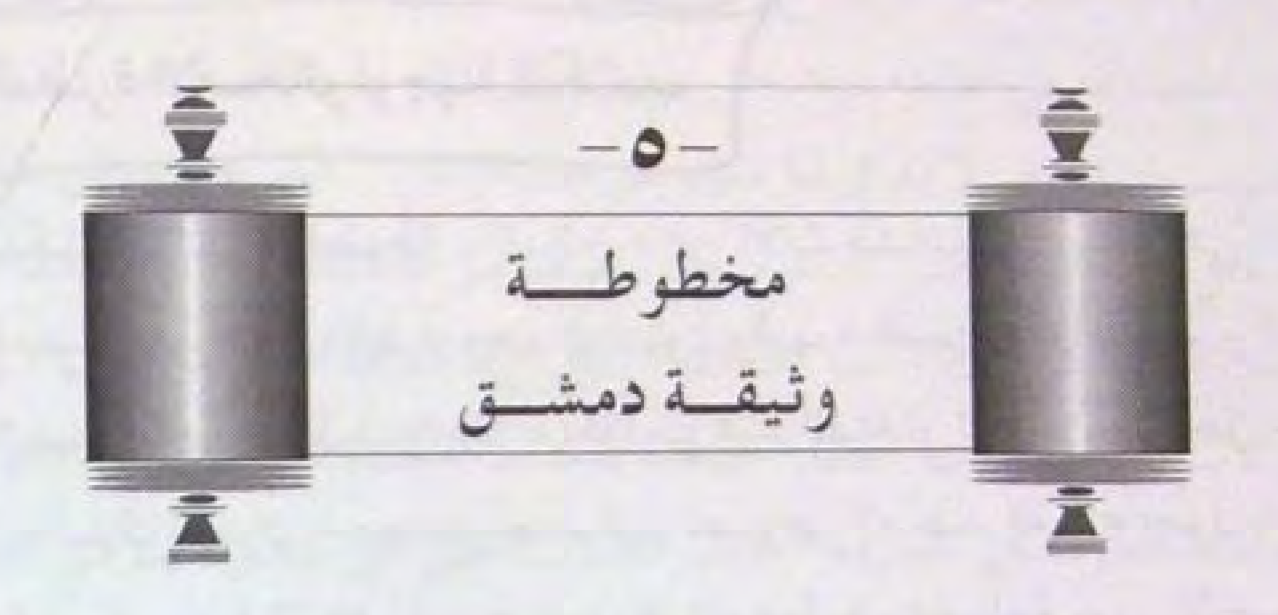
تطرّق المؤلف مراراً إلى مسالة الألم. وقد اعتبر المحن التى أرسلتها يد الله إليه تنبيهاً وتاديباً أبوياً وتطهيراً خلاصياً. وعندما كان فى ضيق شبيه بآلام المخاض، وعندما تقاذفته أعصار التجارب كسفينة فى عرض البحر، فرح مسبقاً لأنه تطلّع إلى نجاته التى ستكون له انتصاراً وتدلّ على عناية الله به. وفى النهاية، إن ألم الأبرار يدلّ على قدرة الله ورحمته التى تخلّصهم، أما الأشرار فيدلّون بعقاب ينالونه على قدرة الله وعدالته.

النظرة الاسخاتولوچية للكاتب

يتكلم مؤلف مخطوطة « المدائح » عن ثلاث فئات من البشر هى : الأبرار وهم أعضاء الجماعة – الأشرار وهم الوثنيون واليهود الذين خانوا العهد – الشعب وهم اليهود الذين لم يتّخذوا بعدُ موقفاً من هذه الفئة أو تلك . ومن أجل جماعة الأبرار– نُسّاك قُمران – يجمع مُعلّم البر نصوص العهد القديم حول « بقية إسرائيل» والعهد (الميثاق) . وهو يرى أن الدخول فى الجماعة يعنى الإنضمام إلى العهد والثبات فيه والإبتهاج به . هذا العهد هو إستعادة للعهد القديم ويحمل مستقبلاً لا حدود له ، يتضمّن هذا المستقبل أولاً أزمة ومأساة. فقوى الشر التى هى مسؤولة عن الأضطهادات الحاضرة، ستهجم فى قمة غضبها، حينئذ يأتى الله وملائكته لمساعدة الأبرار المتضايقين، وتحلّ فى العالم كله النار والدماء فى حرب لاهوادة فيها. وينتهى الصراع بإفناء جذرى لجميع الأشرار، ثم بسلام أبدى ينعم به العالم فى خدمة كاملة لله .

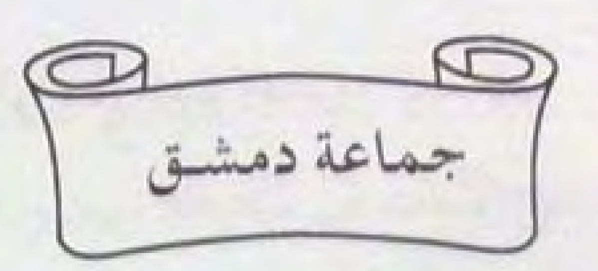
وسوف يقوم الملائكة – خدام الله – بدورٍ أساسي ليشاركوا فى « قتال التحرير. »، ويقيمون مع الجماعة علاقات سرّية فى هذه الحرب التى تنتهى بإنتصار أعضاء الجماعة – إسرائيل الحق .





فى عام ١٨٩٦م، عُثر فى غينزة مجمع يهودى بمصر القديمة على مخطوطة « وثيقة دمشق »، وهى مكونة من مخطوطتين : المخطوطة A ، وهى عبارة عن ثمانى وريقات جلدية مدونة على الوجهين – المخطوطة B، وهى عبارة عن وريقة واحدة كبيرة من الجلد مدّونة أيضاً على الوجهين لكن بيد ناسخ آخر. ويرجع تاريخهما إلى القرن العاشر أو الحادى عشر الميلادى . وقد نشر شختر Schechter نصهما عام ١٩١٠م، بعنوان « الوثيقة الصادوقية Fragments of a Zadokite Work » وذلك بسبب إشارة النص إلى أعضاء الجماعة بعبارة « أبناء صادوق ». وقد سمّيت فيما بعد بـ « وثيقة دمشق » بسبب « **الميثاق الجديد فى بلاد دمشق** » الذى أُعطى للجماعة.

وقبل اكتشافات قُمران حار العلماء فى تاريخ تأليف النص، وقد حسمت نصوص مخطوطات قُمران الجدال حول الموضوع. إذ أمكن العثور على مخطوطات عديدة بنفس النص لـ « وثيقة دمشق » فى المغائر الرابعة والخامسة والسادسة، موافقة تماماً لمخطوطات المجمع اليهودى بالقاهرة. وقد حدد العلماء تاريخ تدوين مخطوطات قُمران هذه إلى القرن الأول قبل الميلاد (بين سنة ٦٣ وسنة ٤٨ قبل الميلاد).



ذكر بعض العلماء أن هناك جماعة أخرى أزدهرت فى نفس عصر الأسينيين، وكانت بينهم وبين الأسينيين وجوه شبه كبيرة، وهى الجماعة المعروفة باسم « **متعاهدى دمشق** » التى تكلمت عنها مخطوطة القاهرة « وثيقة دمشق ». وهذه الوثيقة تروى مصير جماعة من الكهنة فى أورشليم يبدو أنهم كانوا جزءاً من حركة إصلاح ، وكانوا يسّمون أنفسهم « ابناء صادوق »، وبقيادة شخص اسمه « الكوكب »، انتقلوا إلى مكان أسموه « دمشق »– وقد يكون هو مدينة دمشق التاريخية أو لا يكون – وهناك انتظموا فى حزب أو جماعة تُعرف باسم « **جماعة العهد الجديد** »، وقد اندمجوا فى حياة شبه رهبانية تحت قيادة قائد مشهور اطلقوا عليه اسم « المعلّم البار » أو « مُعلّم البرّ ». اشتهرت الجماعة بنقدها لطموحات الفريسيين الدنيوية والسياسية ، وبدرجة أقل لنقدها للصدوقيين أيضاً، ورغم ذلك احتفظت هذه الجماعة بصلتها الوثيقة بالهيكل فى أورشليم – كما تدل « وثيقة دمشق »– فقد ظلوا يعتبرون أورشليم مدينتهم المقدسة وأن الهيكل هو مقدسهم الصحيح. وتظهر مشابهتهم للأسينيين بوضوح فى إصرارهم على الولاء لناموس موسي، ولزوم التوبة كشرط للدخول إلى جماعة العهد، والتأكيد على السلوك المستقيم والاهتمامات الإنسانية وسائر الأمور التى يعتز بها الفكر الأسيني.

وقد وصل العلماء لنتيجة مفادها، وجود صلة وثيقة بين الجماعة الدينية التى كتبت مخطوطات قُمران، والجماعة التى سُميت « متعاهدى دمشق ». وبناء على الشبه الشديد بين القيم الدينية، اعتبر الكثيرون من العلماء أن النظامين متطابقان فى طبيعتهما، وقالوا أن من المحتمل أن جماعة دمشق قد عاشت فى قُمران على مدى خمسة وسبعين عاماً قبل ختام فترة الإحتلال الأولى ، ثم انتقلوا بعدها إلى دمشق. ويعتقد كثيرون ممن يعتبرون جماعة دمشق جزءاً من الأسينيين ، أنه من المحتمل أنهم رجعوا إلى أورشليم بناء على نوع من الاتفاق – فى عهد هيرودس

الكبير – ومن ثم عادوا إلى قُمران ، بعد موته . ومن الواضح أنهم اعتبروا أنفسهم أبناء صادوق الحقيقيين .

تعريف بمحتويات المخطوطة

+ المخطوطـــة A

تحتوى المخطوطة « A » على جزئين أساسيين فصلهما الناسخ بنفسه. **الجزء الأول** يُسمى العظة أو الأرشاد. وهو فى الحقيقة عبارة عن تعليم يشرح خطة الله للإنقاذ، ويمكننا أن نميز فيه ثلاثة خطابات : الخطاب الأول ، يذكر ظهور الطائفة « جماعة المؤمنين» وصراع «مُعلّم البر» مع «رجل الكذب» ومع الذين «فتشوا عن الأشياء المضللة»– ويشير الخطاب الثانى إلى أن ما جرى كان تحقيق الخطة الإلهية – أما الخطاب الثالث ، فيعطى أمثولة حقيقية فى التاريخ المقدس، المنظور إليه على أنه انتخاب مكرر للأبرار فى قلب عالم الخطيئة، وحيث تعتبر الجماعة التى يُوجّه الخطاب إليها على أنها آخر «بقية» لهم. ويشتمل **الجزء الثانى** على وصف الوقت الراهن الذى يحكمه مدنسون أنجاس، سينالون عقابهم دون شك، وهم من المعارضين لمريدى الميثاق الذين يميزهم سلوكهم . ثم ينتهى المخطوط بسقوط الأشرار عندما سيزور الله الأرض وفقاً للنبوءات.

+ المخطوطـــة B

يذكر نبوءات عديدة عن مجئ «المسيح» الآتى من هرون وإسرائيل، وتُظهر هذه المخطوطة تعلقاً أكبر بمعلم البر. ثم يتطرق إلى قاعدة الحياة المشتركة فى الجماعة، ويسهب مؤلف المخطوطة فى تعديد العقوبات التى يوقعها الله على الخائنين، وفى المقابل محبة الله للامناء للعهد. ثم يتكلم عن شريعة السبت وبعض الغسلات الطقسية والفرائض الأخرى الواجبة على الأمناء للعهد أن يسلكوا فيها. ويشجع الكاتب أولئك الذين تشككوا من نجاح الأشرار، فاعتبروا أن لا جدوى من

خدمة الله ، ولكن الوضع سيتبدّل قريباً. وهذا الجزء من المخطوطة يستشهد بالكثير من الآيات فى سفر اللاويين ولكن يوردها بطريقة غير مباشرة ، وخاصة فيما يتعلق بالزواج والعشور والعلاقات مع الوثنيين والسرقة والسحر. . . . .إلخ .

الأسلوب الأدبى لكاتب المخطوطة

استخدم مؤلف مخطوطة « وثيقة دمشق »، نوعين أدبيين فى كتاب واحد. فنجده فى **الجزء الأول** من المخطوطة يقوم الكاتب بعمل الواعظ، فهو أسلوب إرشادى تحريضي، ولا يخاف من التكرار. كما ويستخرج درساً حول الأمانة لقواعد الجماعة ، من سرده لتاريخ إسرائيل منذ ماضيه السحيق حتى الأزمنة الحاضرة. أما أسلوبه فى **الجزء الثاني**، فهو أسلوب تشريعى ، قانونى يتوسّع فى فرائض خاصة بجماعة قُمران. إن طريقة هذا الكاتب تذكّرنا بطريقة سفر التثنية، التى تستخدم التاريخ كمعلّم من أجل الحياة، وهذا يعطينا فكرة واضحة أن الكاتب مُلمّ بالأسفار الإلهية. مثل هذه النظرة إلى التاريخ هى نمطية، فالماضى هو صورة المستقبل. يتيح لنا أن نتمثّله، أن نراه مسبقاً. لسنا أمام زمان يدور فيعود إلى مكانه فى بداية مستمرة، بل أمام نظرة ديناميكية تكتشف معنى الاحداث وتوجهها نحو هدف نهائى .

ويستخدم المؤلف نوعاً أدبياً هاماً يسمى «التأويل الاستعاري» (بالعبرى ي. ش.ر أى تفسير)، يحاول الكاتب أن يكشف المعنى الحالى للكتب المقدسة، أن يفتح القلوب على أسرارها، ويقدم تفسيراً حرفياً على ما هو فى الترجوم، فيقابل بين واقع وآخر. أما فى ما يتعلّق بالقسم القانوني، فنستطيع أن نقابل «وثيقة دمشق» مع شرائع **البنتاتوكس** (أسفار موسى الخمسة). فالشرائع التى وردت فى أسفار موسي، ترد فى ثلاثة أشكال مختلفة: الشكل الشرطى (إن) – الشكل الآمر– صيغة اسم الفاعل. وقد استخدم كاتب المخطوطة النوع الأول والثانى على النحو التالى :

- الشكل الشرطى (إن) : وصيغتها تتمثل في، إن فعل إنسان كذا... وكذا... النتيجة، يعاقب بكذا... وكذا. نجد هذا النوع من العبارات فى المخطوطة مثل: «إن كانوا يقيمون فى المخيمات...». «إن أقسم بلعنات العهد...». «إن تجاوز إنسان الشريعة...». «إن رآه قريبه...».

- الشكل الآمر : وصيغتها تتمثل فى (إفعل). فهى تفرض أمراً أو منعاً بشكل مطلق. ونجد هذا الشكل فى الوصايا العشر مثلا : لا تسرق . لا تزن.... أما كاتب المخطوطة فما تجرأ على استعمال صيغة المخاطب المفرد، بل الغائب المفرد، مثل: «لا يتلفظ أحد بكلام جارح...». «لا يُقرض أحدٌ قريبه...». دوّن الجزء الاكبر من التدابير فى هذا الشكل ، فدلّ على طابع الشرائع الإجباري، كما دّل على ارتباطها بشريعة موسى التى لا يمكن أن تتبدّل.

- صيغة اسم الفاعل : لا يستخدمها كاتب المخطوطة على الإطلاق. فهذه الصيغة تحدّد السلوك العادى لمجموعة ما، فتدعو القارئ لأن يأخذ بها. أما معلّم البر فمارس سلطته داخل الجماعة، فجاءت فرائضه فى صيغة الأمر لا فى صيغة اسم الفاعل.

مخطوطة « وثيقة دمشق » وتاريخ نُسّاك قُمران

تكشف مخطوطة « وثيقة دمشق » عن معلومات هامة تاريخية، تُلقى بعض الضوء لمعرفة تاريخ تكوين جماعة قُمران. فحسب المعطيات ، أمكن القول أن بداية تكوين الجماعة كان بعد ٣٩٠ سنه من دمار أورشليم على يد نبوخذ نصر. وهذا يعود بنا إلى بداية القرن الثانى قبل الميلاد. تميزت هذه الحقبة فى منطقة اليهودية بالمواجهة بين التيار الهلينى الذى يريد أن يفرض الحضارة اليونانية كما حملها الإسكندر إلى الشرق، والتيار المتمسّك بالشريعة وكانت النتيجة قلاقل واضطهادات حرّكها انطيوكوس الرابع. وتقول المخطوطة : خلال ٢٠ سنة تلمّست

الجماعة طريقها (عشرون سنة، نصف جيل). رقم رمزي. إن هذه الحقبة من البحث المؤلم عن مشيئة الله، ترتبط بحركة الحسيدين أى الأتقياء، التى تكونت من أناس كرّسوا نفوسهم للشريعة . لم ينتم « معلّم البرّ » إلى هذه المرحلة الأولي. غير أن تأثيره كان حاسماً على تكوين الجماعة . كان مفسراً ملهماً للكتب المقدسة، فاخبر معاصريه باقتراب دينونة الله. كان كاهناً من أبناء صادوق، فبشّر بالعودة إلى شريعة موسي، وكوّن تلاميذه فى جو من ممارستها ممارسة دقيقة. وهكذا أقام «الميثاق (العهد) الجديد ». لقب « المعلّم » بالعبرى حسب ما أورده المؤلف : م ح و ق ق - أما الباحث (الدارس) فى الشريعة: د و ر ش . هـ ت و ر هـ . معلّم البرّ هذا، به حُفرت « بئر المياه الحية » أى مياه الشريعة، وعارض بشكل خاص تبديل التقويم، وفرض على أتباعه الامانة للتقويم التقليدى الذى هو الشرط الضرورى لعبادة شرعية. من أجل عنايته بجماعته استحق لقب «معلّم البرّ»، وبه بنى الله « بيتاً آمناً فى إسرائيل ».

وأيضاً يذكر « معلّم البرّ » فى هذه المخطوطة، أنه اصطدم خلال رسالته بمعارضة قوية جداً، ولكن لم يذكر شيئاً عن اسماء هؤلاء المضطهدين ، إلا أننا نفهم من سياق الحديث أن المعارضة جاءت من كهنوت أورشليم. وقد وبّخ على ثلاثة أخطاء : تدنيس المقدس - الطمع - والدعارة . وشجب مراراً الزيجات المحرّمة وطمع الكهنة، وطلب الكاتب التمييز بين الطاهر والنجس لئلا ينجّس المقدس. وهكذا انقطعت الجماعة عن أورشليم قطعاً تاماً، دون أن تتنكر لمبدأ الذبائح. فبما أن المعبد نُجسّ، طلب مُعلّم البرّ من أتباعه ان « يخرجوا من يهوذا »، ويقيموا فى دمشق. ظن البعض فى البدء أن الجماعة أقامت فى مخيمات قرب دمشق. ولكن غالبية العلماء، أشاروا إلى أن دمشق هى رمز إلى قُمران. أو لربما بعض الأعضاء عاشوا أولاً فى دمشق ثم أستقروا فى قُمران. ولمح الكاتب أيضاً إلى سقوط أورشليم بيد بومبى سنة ٦٣ قبل الميلاد.

المفاهيم الروحية لكاتب المخطوطة

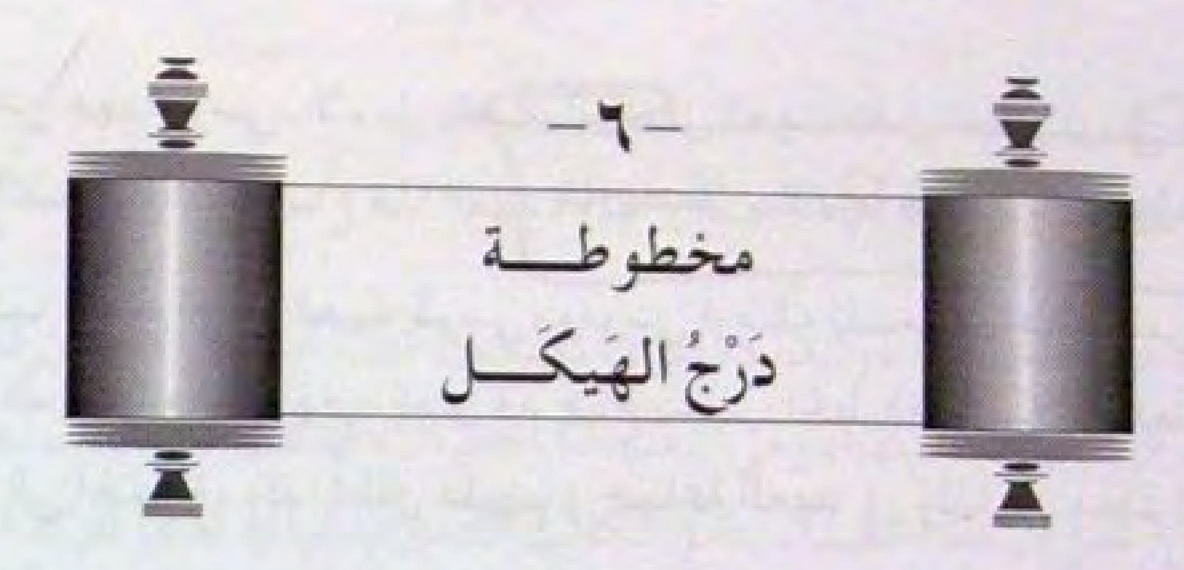
عند قراءة مخطوطة « وثيقة دمشق »، نكتشف ثلاثة أمور بارزة، تبين لنا بعض المفاهيم الروحية لكاتبها، وهى : سيادة الخطيئة، البقية والعهد، نظرة إلى المستقبل. فعن سيادة الخطيئة، يتأمل الكاتب الدمار والخراب الذى تتركه الخطيئة وراءها فى ثنايا التاريخ، ويذكر العديد من خطايا أبناء نوح وأبناء يعقوب، وخيانات الشعب بعد دخوله أرض الميعاد. ويتحدث عن جهل الشعب بالشريعة الإلهية بعد موت اليعازار ويشوع حتى زمن صادوق، وترك الشعب لعبادة الله الحقة، فكان سقوط أورشليم بيد نبوخذ نصر. وتكررت الخيانات فترة طويلة يُسميها « زمن الكفر». ويتحدث باسهاب عن ميل الإنسان الشرير، وأن فى قلب الإنسان اندفاعاً نحو الشر.

أما عن « البقية والعهد »، فهو يرى أن الله يختار فى كل جيل لنفسه أناساً يكشف لهم مشيئته. كما أنه يخلّص « البقية أى الأمينة للعهد ». ويذكر المؤلف إبراهيم وإسحق ويعقوب الذين لُقبّوا أصدقاء الله، وموسى الذى سلّم الله إليه الشريعة، والأنبياء « مسحاء قداسته »، وصادوق الذى كشف المعنى الحقيقى للشريعة، ومعلّم البرّ وجماعته. ويذكر أيضاً « العهد » ليدّل على علاقات الله مع شعبه، فالعهد الأول كان مع إبراهيم والآباء ثم العهد الذى عُقد مع الأولين بواسطة موسى. وهذا العهد هو ينبوع نعمة للمستقبل وبسببه أبقى الله « بقيّة »، كما أن العهد ثابت رغم الخطايا المتكررة منذ زمن بعيد. غير أن هذا العهد لا يفعل فعله بشكل عشوائى إذ أنه يجب أن يدخل المرء فى العهد، بفعل إرادي. وقد قام كل مجهود معلّم البرّ فى إعادة مريديه إلى العهد، فهو فصلهم عن الخطيئة لينالوا غفران الله. هكذا يدخل المرتدون عن الخطيئة فى « العهد الجديد فى أرض دمشق »، ويلتزمون التزاماً احتفالياً بتنفيذ شريعة موسى حسب التفسير الذى يقدمه معلّم البرّ. وعندما يذكر كلمة « العهد الجديد » لا يقصد « عهداً ثانياً »

يتميز عن عهد موسى. لا، بل يقصد أنه نفس العهد الذى أعطى لموسى ، ولكن بسبب الضلال والشر، ضاع هذا العهد، ولذا وجب تجديد العهد من جديد .

فكما أن الله أعطى العهد لموسى، وموسى أوصله للشعب . على نفس النمط كشف الله نفس هذا العهد- الذى قد ضاع بسبب الخطيئة والضلال- لمعلّم البرّ، ليوصله إلى الجماعة، ولذا أُطلق عليهم « **جماعة العهد** ». ولذا فان معلم البر يُعد جماعته إلى مجئ مسيحيَ هرون وإسرائيل. ذاك العهد الذى عُقد لا فى أورشليم، بل فى دمشق ، لأن تنجيس المدينة المقدسة دفع بنى إسرائيل الأمناء إلى الخروج من يهوذا. وقد وعت الجماعة فى المنفى أنها تشكل « البقية » التى أعلنها الأنبياء، وهى تنتظر الرجوع القريب إلى أرض الموعد. أنهم الآن يعيشون فى حقبة تسبق الأزمنة المسيحانية : زمن الكفر – زمن عمى إسرائيل – زمن هجمة بليعال . . . انه بداية المخاض . لذا فقد اجتمعت – كما في زمن الخروج – الافاً وخمسينات وعشرات، وبانتظار ذلك الوقت، الذى يأتى فيه « مسيح إسرائيل » الذى يظهر كقائد حربى يُخضع الأمم الغريبة، و« مسيح هرون » الذى سيقدم التقدمات الطاهرة عندما يُنقى الهيكل والمدينة المقدسة .





-٦-
مخطوطـــة درْجُ الهَيكَــل

مخطوطة « درج الهيكل »، عُثر عليها فى المغارة الحادية عشرة ، وقد نُشرت أولاً فى سنة ١٩٧٧م باللغة العبرية ثم فى سنة ١٩٨٣م باللغة الأنجليزية. وتُعتبر من أطول مخطوطات قمران، إذ يبلغ طولها ٨,١٥متراً ، ومكونة من ١٩ قطعة رق جلدية خيطت بعضها إلى بعض. تتألف المخطوطة من ستة وستين عموداً، وقد كُتبت بيد ناسخين أثنين، لم يكتب الناسخ الأول سوى العواميد الستة الأولى .

ومؤلف المخطوطة يحاول أن يقتدى بلغة التوراة ولكن بصورة غير مباشرة، وأسلوبه اللغوى يشبه إلى حد ما عبرية المشناه.



مخطوطة « درج الهيكل »

تعريف بمحتويات المخطوطة

يصّور الكاتب الهيكل والليتورچيا التى يجب أن تقام فيه، كما يجمع أنظمة دينية حول الطهارة والنجاسة ، وأنواع الذبائح والتقدمات فى الاعياد والمناسبات اليهودية المختلفة، ويُقدّم شرائع موجهة إلى كل شعب إسرائيل . وهو لا يتطلّع فقط إلى الزمن التاريخى الحاضر بل إلى زمن النهاية ، فبعد أن يتكلّم عن الأمور التى تخص الزمن الحاضر نجده فجأة – فى العمود التاسع والعشرين – يتكلم عن الزمن الذى بعد التاريخ والذى فيه يأتى الله نفسه ليحلّ محلّ هيكل شيدته أيدى البشر، بناء لم تصنعه أيدى البشر أى الهيكل الأبدي.

ويحاول مؤلف المخطوطة أن يضع مجموعة من الفرائض الأجتماعية قريبة الشبه للشريعة الموسوية ، ليؤكد على أصلها الإلهى ، وأغلب هذه الفرائض مقتبسة من سفر : الخروج – اللاويين – العدد – التثنية ، لذا أعتبر نُسّاك قُمران « درج الهيكل » كتاباً مقدساً، له كرامة الأسفار الخمسة (البنتا توكس) .

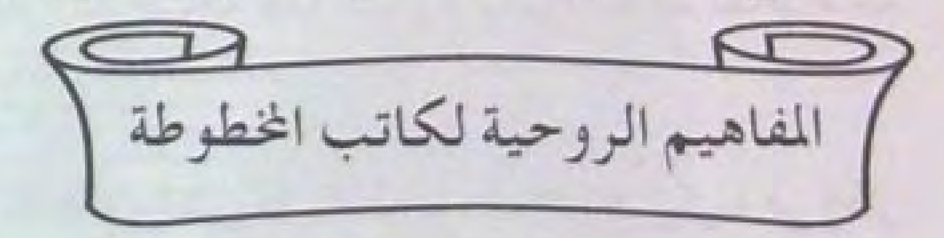
وبعد فحص المخطوطة – أثرياً – رجح العلماء، أنها كُتبت فى النصف الثانى من القرن الثانى قبل الميلاد. وقد أكد صحة هذا التاريخ وجود ثلاث نقاط هامة وردت فى نص المخطوطة وهـــى :

١– يهتم المؤلف اهتماماً كبيراً بالنظام والشريعة الملكية وبمسائل عسكرية فى إطار زمنى ، كما يُستشف من النص أن مؤلفه يتطلعّ إلى نظام سياسى يتضمّن فصل السلطات الدينية عن السلطات السياسية . فقد كان من أهم مبادئ الحركة الأسينية، فصل السياسة عن الدين، ووضع الأمور الزمنية الملكية فى يد العلمانيين من الشعب لا فى يد الكهنة. وكلنا نذكر أن سمعان المكابى (كبير الكهنة)، قد جمع سنة ١٤٠ قبل الميلاد فى شخصه أعلى السلطات الدينية والزمنية وجعلها وراثية. وأن يوحنا هيركانس (ابنه) فى سنة ١٣٤ قبل الميلاد

مارس طوال حياته سياسة الأمتداد المستندة إلى القوة. وهكذا نتبين أن المؤلف صاغ هذا النص فى وقت كان هذا الهمّ من هموم الساعة .

٢- لفت نظر العلماء – بشكل خاص – وصف المؤلف طريقة ذبح عجل التقدمة . فالنص يصف أن العجل الذى يُذبح يجب أن يُعلّق فى رأسه بحلقة، ولهذا السبب زُوّد المسلخ بسلاسل تتدلى من السقف. وهناك تقليد رابينى قديم ورد مراراً عديدة ينسب ترتيب هذه الحلقات إلى يوحنا هيركانس (١٣٤ ق.م)، الذى بدّل – كما قيل- قواعد الذبح فى هيكل أورشليم فمنع إستخدام المطرقة .

٣- ذكر المؤلف فى نص المخطوطة ، طقساً جديداً من نوعه يُسمّيه « **طقس التكفير على الزيت** » وهذا الطقس يُقام مرة واحدة فى السنة . ولا يفوت على الدارسين ما كتبه يوسيفوس المؤرخ فى كتابه « الحرب اليهودية » : أن الأسينيين كانوا يمتنعون عن إستخدام الزيت للدهن ، ويعتبرون أن الزيت يُشكّل نجاسة ، وهذا بمثابة احتجاج على كهنوت الكهنة فى هيكل أورشليم، الذى تعتمد سلطته على المسح بالزيت المقدس. لذا تطلب الأمر وجود طقس ينتزع نجاسة الزيت ، يُسمى «طقس التكفير على الزيت».



المفاهيم الروحية لكاتب المخطوطة

يتطلّع الكاتب إلى اليوم الذى سيصل فيه الأسينيون إلى عودة السلطات الدينية – رئاسة الكهنوت – إليهم ، بالأضافة إلى حياة مدنية يغلب فيها الطابع الروحي. لذا فقد كُتب « درج الهيكل » موجهاً إلى جميع إسرائيل وليس لفئة معينة، والكاتب يعتمد إلى حد ما على الخيال ليسمح بصياغة بعض الأفكار الأساسية للطائفة حول العبادة والسلوك، تطلعاً إلى هذا اليوم .

وقد صاغ المؤلف النص على أنه وحى من الله إلى موسى على جبل سيناء. وبالمثل، فإن « درج الهيكل » يُعالج فى جزئه الأول كله ، موضوع إبرام ميثاق جديد ، وتفصيلات عديدة حول بناء الهيكل، وهو ما يريد أن يرى بناءه يتحقق فى أورشليم. وكما فى سفر الخروج ينطلق وصف الهيكل بحصر المعنى وعن تجهيزه الداخلى ، ثم عن الأبنية الثانوية بدءاً من الأقرب إلى الأبعد عن الصرح المركزي، وأخيراً عن الأسوار التى تحدّ الأروقة الثلاثة ذات القداسة المتناقصة : الداخلية ثم المتوسطة ثم الخارجية . وبعد ذلك يكمل الوصف للمبنى المركزى ومذبح المحرقات والتقدمات . كل هذا يكشف لنا عن وعى الكاتب بالأسفار الإلهية .

ويفتح المؤلف المجال للحديث حول الأوقات التى يجب أن يُستخدم فيها المذبح : العبادات اليومية والأسبوعية والشهرية والأعياد السنوية، ويبدأ تعدادها من « يوم العام » فى بداية الربيع وحتى عيد المظال. ثم يتحدث بوضوح على خصوصيات التشريع الأسينى حول العبادة والتقويم، وبالذات التعليمات المخصصة للحفاظ على الهيكل من أى دنس، وشرائع التطهر. هذه التشريعات مأخوذة من سفر التثنية وبعض أسفار الأنبياء الكبار. وتتطرق المخطوطة إلى الحديث عن نوعية ومواصفات الذبائح والتقدمات النذرية. والمتأمل فى هذه النصوص، يستطيع أن يكوّن فكرة عن المؤلف، كشخص يولّى أهمية كبرى لشرائع موسى ، التى هى فى الأصل شرائع إلهية.

✣ ✣ ✣

ثانياً : شروحـــات كتابيـــــة

تم العثور فى مغاور قُمران على مجموعة من تفاسير بعض أسفار العهد القديم، ولا نستطيع أن نقدمها كلها ، لكن سنكتفى بذكر ثلاثة منها ، وهـــى :

١- تفسير سفر حبقوق .

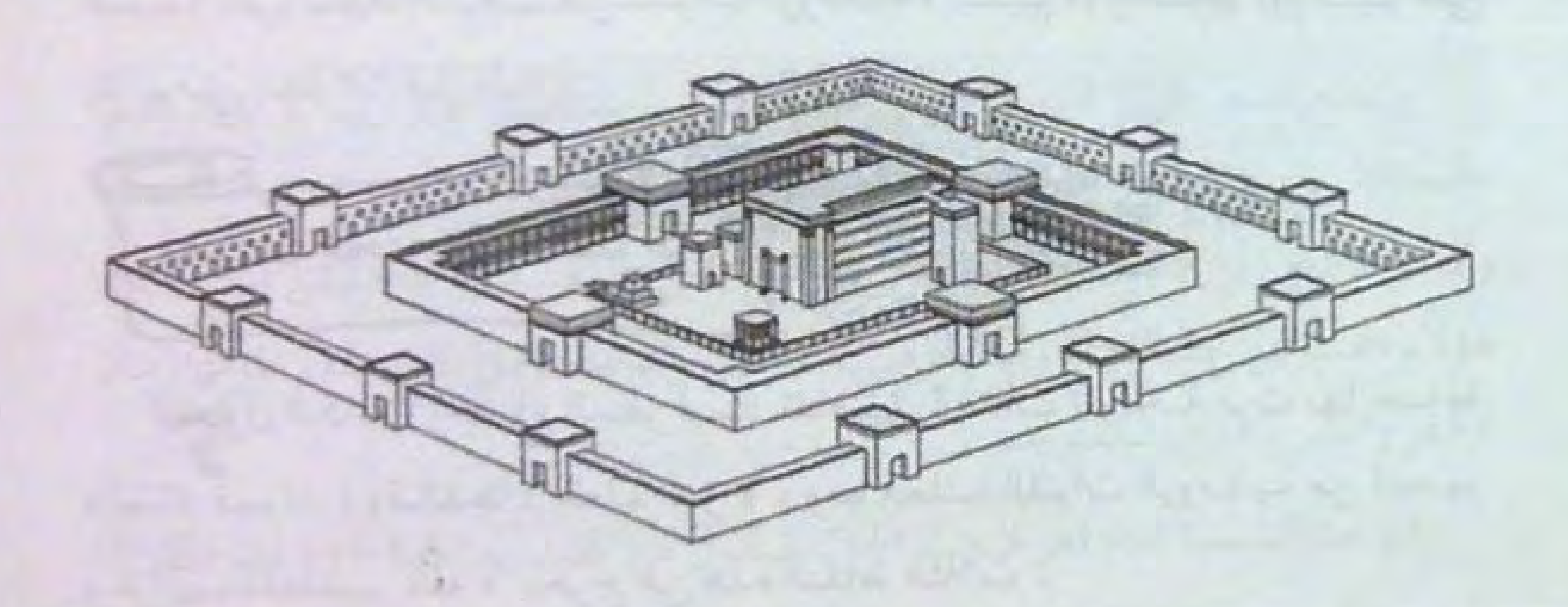
٢- تفسير سفر ناحـوم .

٣- تفسير مزمـور ٣٧ .

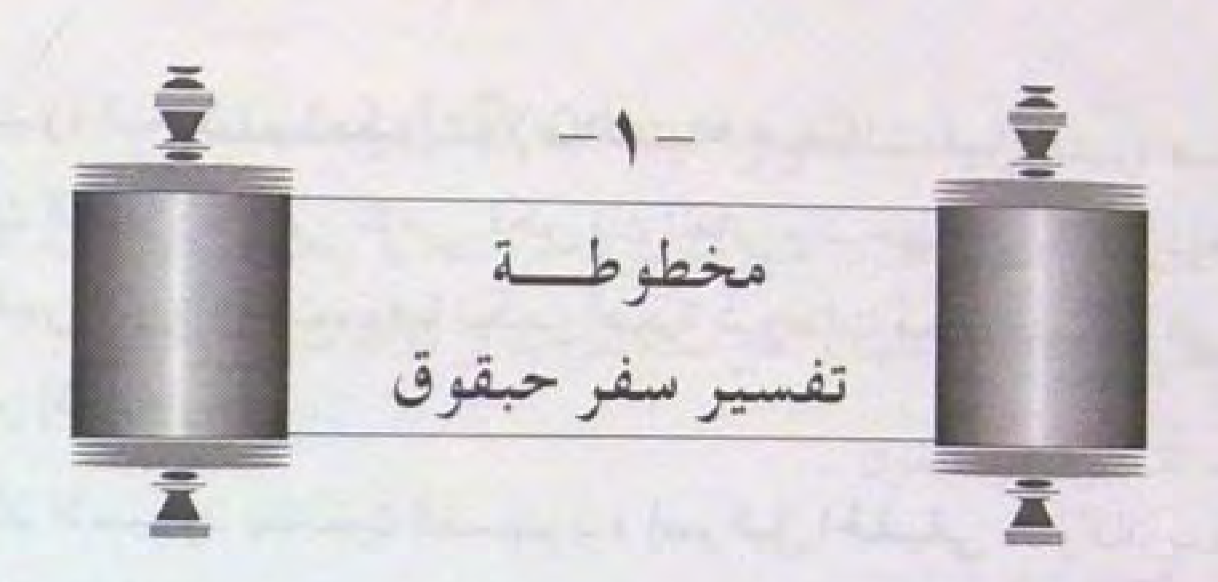
هذه المخطوطات الثلاث التى جُمعت تحت عنوان « **شروحات كتابية** » هـى الأمثلة الأفضل والأكثر بلاغة لنوع أدبى يبدو أنه كان شائعاً وممارساً بين الأسينيين. فقد كشفت المغارتان رقم ١ ، ٤ عن الكثير من « شروحات » إشعياء، وشرح لكل من الأنبياء هوشع وميخا وصفنيا . . . . إلخ . وتنظيم هذه الشروحات ثابت، فهى تذكر مقطعاً مختصراً للنص الكتابى (السفر الإلهي)، آية أو عدة آيات، وأحياناً بضع كلمات، ثم تتبعها بالصيغة : « وتفسير ذلك يتعلّق بـ . . . » . إن اللفظة العبرية المترجمة بـ « شرح Pesé » لا نجدها فى أسفار العهد القديم، لكن المرادف لها بالآرامية وهى « بيسرا Pisra » التى وردت كثيراً فى سفر دانيال (تفسير حلم نبوخذ نصر)، ومن المؤكد أنه ينطبق على ترجمة رسالة غامضة من الله (تعتمد على رموز) . فبالنسبة للأسينيين، المؤمنين من جهة أن التوراة هى كلمة إلهية معصومة، ومن جهة أخرى إن كافة الأحداث فى التاريخ يحرضها الله فى الوقت الذى يختاره . وتُعَد النبوءات التوراتية إعلانات وتحذيرات برموز إنما -حقيقية- لأشياء ستحصل بعد النبى الذى أعلن عنها . وكما كانوا يستقرئون المستقبل ، فقد اعتقدوا أن بإمكانهم قراءة الأحداث التى كانت تعلنها النبوءات بكلمات رمزية، أكانت أحداثاً تالية للنبى ووقعت فعلاً أو أحداثاً يجب انتظارها وهى تشكل بالنسبة للشارح موضوع تقديرات بحتة . وينتقل شرح الآيات التوراتية بطريقة غير مرتبة من التنبوء الظاهرى ، المتعلق بما هو بالنسبة للشارح من الماضي،

إلى التنبوء البحت، وبالعكس . والإعلانات الخاصة بالمستقبل كثيرة جداً، فالله سيُهلك الشرير ويخلّص المؤمن . لكن فك المعانى وشرحها يكون أكثر دقة عندما يعلن النبى أموراً حدثت، وهنا تكمن أهمية شروحات قُمران التوراتية التى تقدم أكثر من إشارة تاريخية .

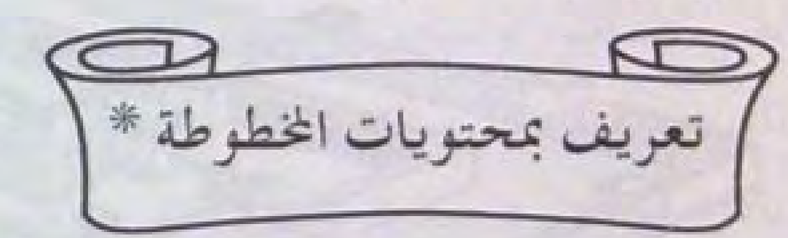
كان الأسينيون يطابقون أنفسهم بـ « **إسرائيل الحقيقى** »، وكان يبدو لهم بالمقابل أن ما أعلن عنه الأنبياء هو ما سيحدث للطائفة فى تالى الأيام . وهكذا فقد حملت لنا هذه التفاسير معلومات ثمينة حول تاريخ الأسينيين، وبخاصة الصراع بين معلّم البرّ والكاهن الشرير، وحول الأنتقام من قوات « **كتيم** » وحول انقسام أعداء الطائفة فى حزبين يُدعيان إفرايم ومنسي .



رسم تخطيطى للهيكل بحسب ما وصفها « درج الهيكل »



تم العثور على مخطوطة « تفسير سفر حبقوق » فى المغارة الأولى فى قُمران، وقد نُشرت بكاملها عام ١٩٥٠م. تتألف المخطوطة من ثلاثة عشر عموداً وفى كل عمود من ١٥–١٦ سطراً، نظراً لأن أسفل بعض الصفحات فى حالة تلف. حسب رأى العلماء كُتب نص المخطوطة فى منتصف القرن الأول قبل الميلاد. وقد ذكر الكاتب الأضطهاد العنيف الذى قاده الكاهن الشرير ضد مُعلّم البر ، والمعاملات السيئة التى تلقاها الشعب من القوات الرومانية « كتيم »، وسقوط أورشليم على يد بومبى سنة ٦٣ قبل الميلاد.



يحاول الكاتب إخضاع السفر لسرد تفاصيل أحداث تاريخية مرت بها جماعة «نُساك قُمران » وقائدها « مُعلّم البرّ » ، وما فعلته القوات الرومانية من تدمير وخراب، فالتفسير كلّه لا يخرج عن هذه النقاط الثلاث .

فى بداية النص يتحدث مؤلف المخطوطة عن صراخ مُعلّم البرّ إلى الله من أجل ظلم الكاهن الشرير له . هذا الكاهن الذى احتقر شريعة الله ويضطهد مختارى الله

* قبل أن تقرأ محتويات المخطوطة، الرجاء الرجوع إلى سفر حبقوق فى الكتاب المقدس وتقرأ السفر بكامله، لتكتشف كيف يُطبّق مؤلف النصوص القُمرانية، نبوءات العهد القديم على الأحداث التاريخية التى تحدث فى الزمن الذى يعيشون فيه .

ويُحدث خصومات. وواضح من النص أن المؤلف يقصد يوحنا هيركانس بالكاهن الشرير. وأن مُعلّم البرّ قد تلقى البرّ من فم الله تعليماً نقله إلى تلاميذه، ولكن اتباع الكاهن الشرير رفضوا هذا التعليم . فمُعلّم البرّ هذا ليس نبياً بل هو يُفسّر كتب الأنبياء القدماء. ويُلّمح النص إلى إضطهاد دموى مارسه الكاهن الشرير ضد مُعلّم البرّ وجماعته.

ويُسهب المؤلف فى وصف قوات « كتيم » أى القوات الرومانية الذين احتلوا أورشليم سنة ٦٣ قبل الميلاد. ويصفهم بأنهم أشداء فى القتال ليهلكوا عدداً كبيراً من الشعب. وتسقط الأرض تحت سلطتهم، ويمتد رعبهم على جميع الأمم . يصلون من جزر البحر – شواطئ روما – ليأكلوا الشعوب كالنسر ولا يشبعون. ويُشير النص إلى فن حصار المدن الذى اشتهر به الرومان، فالقوات الرومانية ستحاصر المدن ويحتلونها وبتأثير الرعب والخوف تستسلم إلى أيديهم فيدمّرونها.

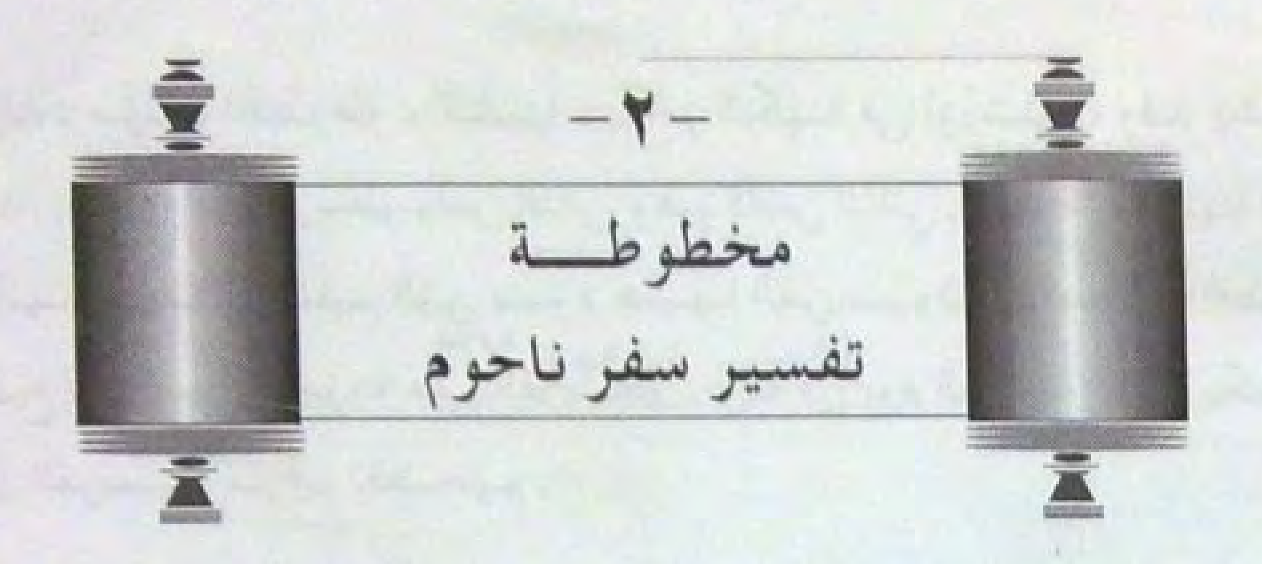
ويُلمّح النص إلى الحرب الأخيرة التى فيها ينتصر المختارون – أى مؤمنو الجماعة– أبناء النور على أبناء الظلمة وهم المنافقون (بنو كتيم والأمم)، وأن أبناء النور لن ينتصروا فقط على الوثنيين بل واليهود الجاحدين أيضاً. لأن هؤلاء المختارين حفظوا وصاياه فى ضيقهم ولم ينجرفوا بالفجور طوال زمان الكفر والشر ، الذى تكلم عنه .

ثم نجد أنفسنا أمام لغز صعب الحلّ، فيقول فى تفسيره للآية : (« فلِمَ تنظر – يارب – إلى الناهبين وتصمت حين يَبلَعُ الشرير من هو أبرّ منه » . وتفسير هذا يعنى : بيت أبشالوم وأعضاء مجلسه الذين صمتوا حين عُوقب مُعلّم البرّ وما ساعدوه على رجل الكذب، الذى احتقر الشريعة وسط كل جماعتهم) . واللغز هو: ما هو بيت أبشالوم ؟ هل يدلّ « بيت أبشالوم » هذا إلى السنهدرين أو المجلس الأعلى الذى تألف من الفريسيين والصدوقيين الذين اعتبرهم المفُسّر منافقين وخونة؟ . . . حتى الآن لم يتوصل الدارسون لحلّ.

ثم يتكلّم مؤلف المخطوطة عن دينونة الله العتيدة أن تدين جميع البشر فى نهاية الأزمنة، وأن جميع الذين يمارسون الشريعة سينجيّهم الله من هذه الدينونة بسبب صبرهم وثقتهم فى معلّم البرّ، لأنهم خرجوا من وسط إسرائيل الكاذب وتبعوا الشريعة الإلهية بحسب ما كشفها لهم مُعلّم البرّ « يقصد بهم أعضاء الجماعة » . أما الكاهن الشرير فسيُمثل أمام محكمة الله، فيُحكم عليه بشكل علنى ويُرمى فى النار والكبريت ، أداة عقاب جهنم . هكذا سيكون أيضاً مصير أتباعه الأشرار .



صفحة من مخطوطة « تفسير سفر حبقوق »



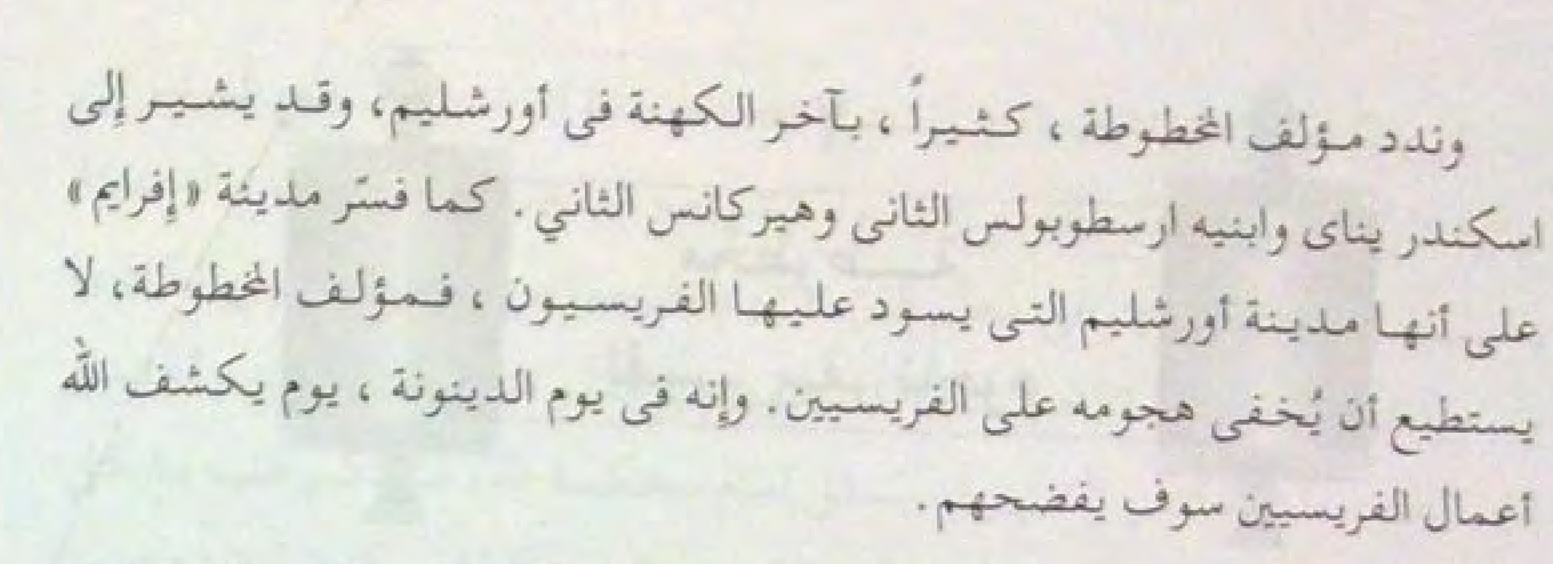
-٢-

مخطوطة تفسير سفر ناحوم

تم العثور على مخطوطة « تفسير سفر ناحوم » فى المغارة الرابعة فى قُمران ، وقد نشرها العالم Allegro تحت عنوان : « Qumran Cave 4 , Oxford 1968 » فى سلسلة مجلدات « اكتشافات فى صحراء اليهودية Discoveries in the Judean Desert » . تتألف المخطوطة من خمسة عواميد وفى كل عمود اثنى عشر سطراً . تعود كتابة النص إلى زمن هيرودس ، ويتحدث عن الفئتين المتعارضتين فى العالم اليهودى – فى ذلك الوقت – أى بين الفريسيين والصدوقيين . كما تحمل المخطوطة معلومات تاريخية ذات أهمية ، تتمثل فى هجوم القوات الرومانية على أورشليم .

تعريف بمحتويات المخطوطة

على الرغم من أن ناحوم تنبأ فى سفره عن مدينة نينوى عاصمة الأشوريين، وقد ذكرها صراحة « قول على نينوي »، إلا أن مؤلف مخطوطة « تفسير ناحوم » فسّرها على أنها نبوءة عن أورشليم العاصمة التى أحتلها الرومان فصارت « مرتع الأسود » . وقد وجة كل تفسيره عن قوات « كتيم » اى القوات الرومانية مع قوّادهم . وفسّر المؤلف عبارة « رئيس ملوك ياوان » على إنه بومبى الذى انتصر على ملوك الشرق . أما « الشبل الساخط » فهو الملك الحشمونى اسكندر يناى (١٠٣ – ٧٦ ق.م) .

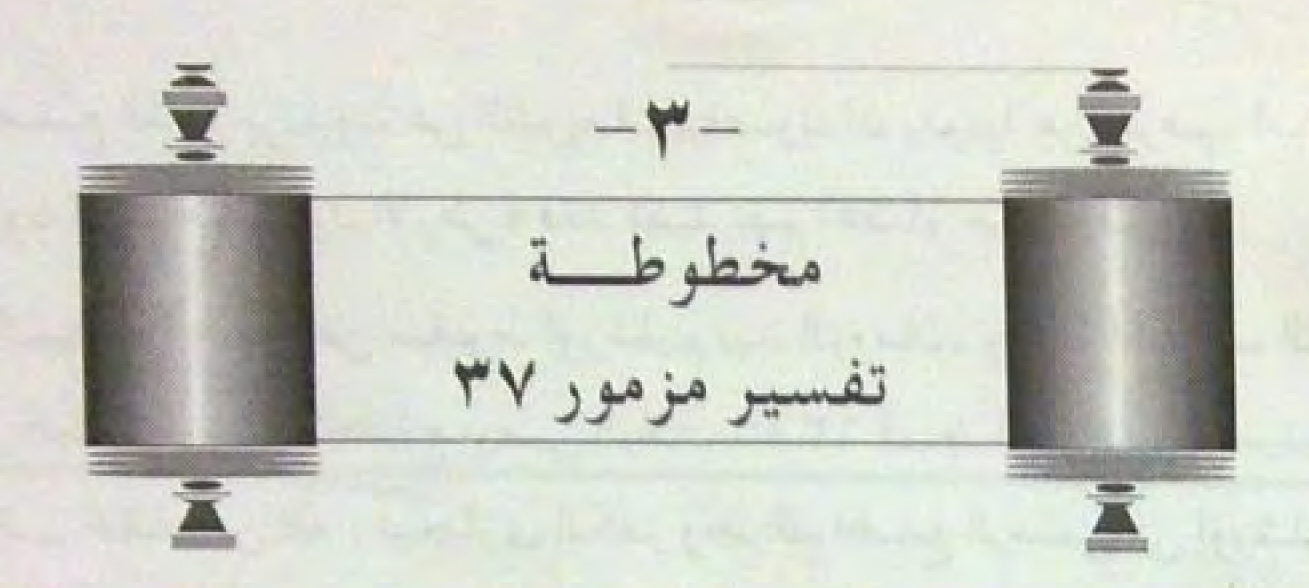


وندد مؤلف المخطوطة ، كثيراً ، بآخر الكهنة فى أورشليم، وقد يشير إلى اسكندر يناى وابنيه ارسطوبولس الثانى وهيركانس الثاني . كما فسّر مدينة «إفرايم» على أنها مدينة أورشليم التى يسود عليها الفريسيون ، فمؤلف المخطوطة، لا يستطيع أن يُخفى هجومه على الفريسيين. وإنه فى يوم الدينونة ، يوم يكشف الله أعمال الفريسيين سوف يفضحهم.

كما أشار نص المخطوطة ، إلى الحرب الرومانية بعدد قتلاها، والحرب الأهلية بين الأخوين هيركانس الثانى وارسطوبولس الثانى . ويلمح النص إلى ما فعله بومبى سنة ٦٣ ق.م بارسطوبولس:عزله عن العرش وسجنه. وبعد مصير ارسطوبولس الثاني، ها هو مصير هيركانس الثانى ، فقد شرب كأس غضب الله : أسره الفراتيون سنة ٤٠ ق.م، ثم قتله هيرودس الكبير سنة ٣٠ ق.م.

واضح من نص المخطوطة، أن مؤلفها كان همّه الكبير إظهار ضلال كهنة أورشليم وعقاب الذين تملقوهم. وكنا نتوقع أن نقرأ تفسيراً يغلب عليه الطابع الروحى، ولكن إنشغال فكر المؤلف بأحداث تاريخية زمنية ، قد أضاع منه هذه الجزئية .



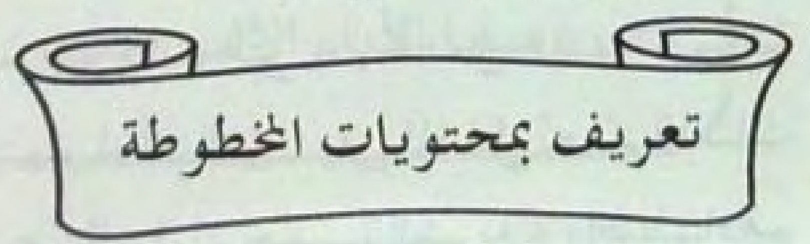


-٣-

مخطوطة تفسير مزمور ٣٧

تم العثور على مخطوطة « تفسير مزمور ٣٧ » فى المغارة الرابعة فى منطقة قُمران . وقد رجّح بعض العلماء ، أن هذه المخطوطة ربما تكون جزءاً صغيراً من مخطوطة كاملة كانت شرحاً للمزامير كلها، أو ربما شرحاً لمختارات من المزامير التى تتناغم مع المتطلبات اللازمة لنوع التفسير الأسينى . كما وُجدت قصاصات كثيرة تُشكل جزءاً من مخطوطتين لشروحات المزامير.

ومن شرح المزمور ٣٧، لم يبق سوى جزئين : الأول - مكون من عمودين، والثانى مكّون من بقايا عمودين. يتضح من المخطوطة أن الناسخ كتبها بعناية فائقة، مما سهّل للدارسين نشرها . ويشكل شرح هذا المزمور، النموذج الأكثر اتساعاً وغنى بالمعلومات التاريخية حول الإطار الذى تندرج فيه حياة وتعاليم مُعلّم البرّ ، صورة المؤسس المضطّهد للجماعة القُمرانية مفعمة بالآمال الأسخاتولوچية (الآخروية) .



تعريف بمحتويات المخطوطة

قد يُشير التفسير فى النص إلى الصدوقيين الذين تأثروا بالعالم الهلّينى . وقد تملّقوا الكاهن الشرير فى أورشليم، الذى ربما يقصد به هيركانس الثانى ، قائد الفريسيين. هؤلاء فى نظره إختاروا الباطل وما استمعوا لمعلّم البرّ، الذى نعته فى النص بـ« مفسّر الحق» . أما عن تفسيره للآية « لأنّ عاملى الشر يُقطعون » فقصد

بهم جميع الذين يرتدون عن الشريعة ويرفضون أن يتوبوا عن شرهم. أما «الذين ينتظرون الرب هم يرثون الأرض» فقد قصد بهم أعضاء جماعة قُمران.

كما ينوه النص عن سقوط أورشليم بيد الرومان، وحالة الجفاف الذى حلّ بأرض اليهودية ساعة اجتياح بومبى البلاد سنة ٦٣ ق.م. لقد اعتبر الأسينيون هذه المصائب عقاباً من الله، ليجازى الكفر وجرائم المجمع الرسمى فى أورشليم. أما جماعة الأسينيين فهى واثقة كل الثقة بإنتصار الأبرار على المنافقين فى النهاية (المنافقون هم أعداء جماعة قُمران).

ويحاول المؤلف أن يبثّ روح الأمل والصبر فى نفوس أعضاء الجماعة، ليثبتوا فى طريق العهد، ويعدهم بأنهم سينعمون بكل لذات الأرض فى النهاية. وهذا نوع من التطلعات الإسخاتولوچية، حيث كانت جماعة قُمران فقيرة ومضطهدة، لهذا كانت تحلم بالوفر الذى يقدّمه الله لها. ثم يتحدث عن منافقى افرايم (الفريسيون)، ومنافقى منسّى (الصدوقيون)، وكيف حاولوا اضطهاد معلّم البرّ بكل الطرق. ليس فقط معلّم البرّ، بل أيضاً أعضاء الجماعة الذين يرافقون مُعلّم البرّ، هم أيضاً عرضة للإضطهاد. لكن سيأتى الله فى النهاية وينتقم من كل ظلم، ويجعل العدل الحقيقى يملك إلى الأبد. ونحن هنا أمام وجهة من الرجاء الإسخاتولوچى الوطيد.

ويُسهب كاتب المخطوطة فى تعديد البركات التى سيحصل عليها جماعة قُمران، بسبب أمانتهم للشريعة وطاعتهم لمعلّم البرّ. وفى المقابل يُعدّد اللعنات التى ستحلّ بالمنافقين، بسبب بُعدهم عن السلوك حسب الشريعة وإضطهادهم لمعلّم البرّ.

وبنظرة شاملة للتفسير، نستطيع أن نقول: أن النص كله عبارة عن حضّ أعضاء الجماعة على التمسك بالعهد الذى اعطاه الله لهم بأنهم «إسرائيل الحقيقى».



الباب الثالث

النصوص الأبوكريفية

١- سفر التكوين الأبوكريفى

٢- سفر أخنوخ

٣- وصايا الأباء الإثنى عشر

نصـــوص أبو كريفيـــة

سنتحــدث فى هذا البــاب عن المخطوطات التى عُرفت باسم « الأســفــار الأبوكريفية »، وهى الأسفار الغير كتابية (ليست ضمن الأسفار الإلهية) . هذه الأسفار لا تعترف بها الكنائس الرسولية، عدا الكنيسة الأثيوبية التى تبنّت فكرة اعتبار هذه الإسفار ذات شأن كبير (لها قداسة) . وقد تم العثور على أجزاء من هذه الأسفار فى منطقة قُمران، ومن هذه المخطوطات : سفر التكوين الأبوكريفى - سفر اخنــوخ - اليوبيلات - وصايا الشيوخ الإثنى عشر - مزامير سليمــان - وصية موسى - استشهاد إشعيــاء ..... إلخ . وسنحاول التعرّف على البعــض منها فى هذا الباب .

ظهرت هذه الأسفار الأبوكريفية فى نهاية العصر الهلّينى وكثرت فى العصر الرومانى . كما ويتوافق انتشار هذه النصوص المنحولة مع اختفاء الفكر التنبؤى ومع انتظار نهاية العالم . وأن هذه الكتابات تشير إلى تحوّل فى نفسانية الشعب اليهودى الذى آمن بمعتقدات معينة ثم أخذ ينتظر مكتوياً بنار الصراعات السياسية والثقافية التى كان يعيشها ، خلاصاً لابد أن يأتى من عالم السماء ، أو مع نهاية الأزمنة والخلاص النهائي . وقد وجدت فى مواضيع وأسلوب الكتابات المنحولة طريقة فعالة لتنشيط الفكر الدينى المهزوز أو المرتبك، وإعادة الثقة للإنسان العادى بالمعانى الدينية التى تحفظه طاهراً وسالماً وتعطيه الأمل بحياة أخرى خالدة .

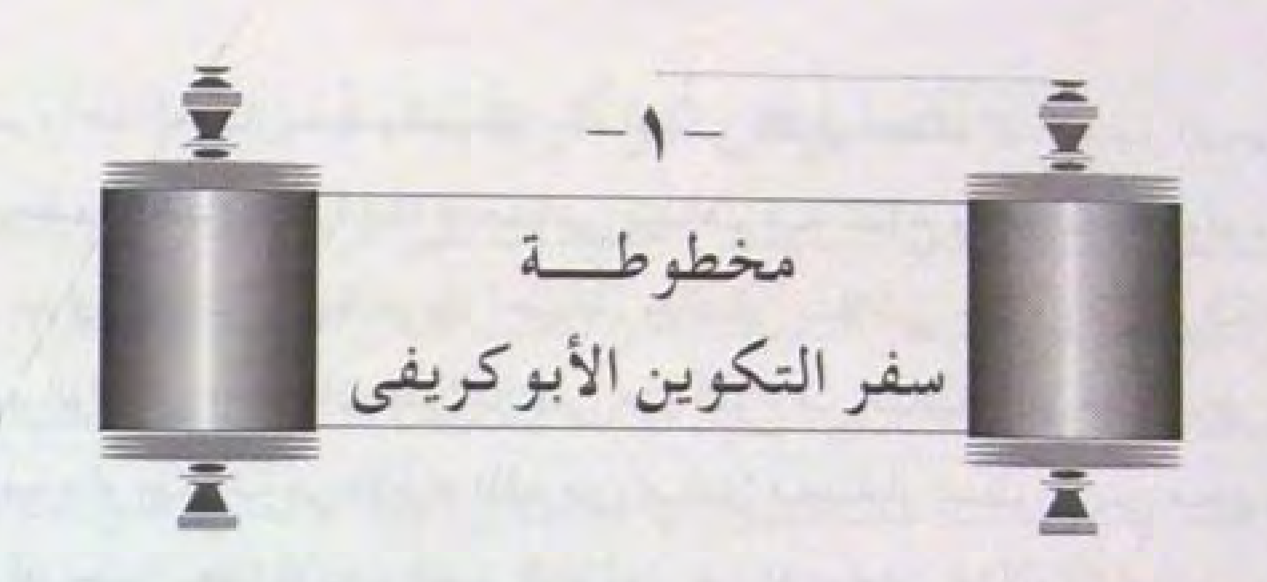
وقد اعتبرت جماعة نُساك قُمران نفسها بشكل من الأشكال وريثة هذا الإرث من القصص الأدبى والأساطير التى كان يُعتقد أنها ترجع إلى أزمنة سحيقة بل وإلى عهود الأنبياء أنفسهم الذين تتكلم عنهم هذه القصص . وكانت هذه الأساطير ثمينة جداً لديها بحيث اعتبرتها غالباً سرية . وكان القائمون عليها حريصين على نقلها بأمانة ، إنما مع إغنائها بالتأكيد بما يناسب رؤية الكاتب كما وحاجات

العصر وأحداثه التاريخية والدينية . كما يمكن القول أيضاً، أن الأسفار المنحولة هى فى معظم الأحيان ثمرة ابداع جماعى يساهم فيه نسّاخ وكتاب كثيرون ، وذلك على مدى فترات زمنية طويلة أحياناً . وبالتالى يتلاشى جلاء مفهوم الكاتب أو المؤلف الواحد . والحق أن التركيز على هذا النوع من التاليف الموجّه يفترض وجود « طائفة » أو جماعة من الأفراد الملتزمين بمبادئ معينة أو بمنظور دينى محدد . ولا شك أن وصول هذا الانتاج الغزير إلينا يُعبّر عن اهتمامات هؤلاء المؤلفين الذين كان همهم كما يبدو إرساء التعاليم الأساسية للدين مع إعطاء منظور أكثر موافقة للعصر وأكثر يسراً وقبولاً لدى عامة الشعب .

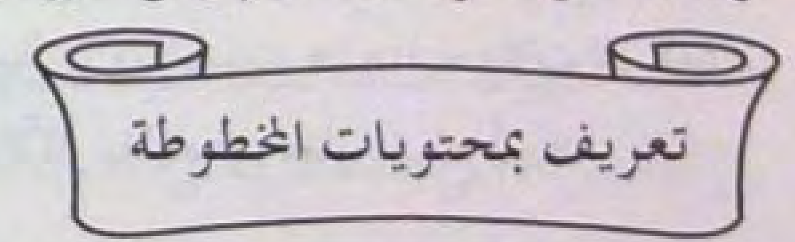
ولقد قام نسّاك قُمران بتجميع هذه الكتابات الموروثة، والحفاظ عليها كتراث دينى هام ينبغى نقله . ونعتقد أن اليهود المتأثرين بالثقافات الكنعانية والآرامية ، والذين عاشوا فى أوساط بعيدة عن أورشليم ، لعبوا دوراً كبيراً فى تأسيس هذا الاتجاه الفكرى بل وفى تأسيس الطائفة الأسينية نفسها . وكان يمكن لهذا الجهد الواسع أن يضيع هباء لو لم تجدد جماعات اليهود فى « الشتات » ، الأسينية أو المتأثرة بالأسينية ، مشروع الترجمة السبعينية ، فعملت على ترجمة الأصول السامية للأسفار المنحولة إلى اليونانية .

ولم يكن من الممكن بطبيعة الحال لليهودية الرسمية، القبول بتيار وُلد فى وسط كان فى صراع مفتوح وصريح مع الفريسية . وبالتالى فإن عدم قبول اليهودية لهذه الكتابات هو الذى أعطاها تسمية « المنحولة » . وقد أخذت بعض الكنائس البعيدة نسبياً عن المنطقة بهذه الأعمال ، وترجمت هذه المنحولات إلى لغتها المحلية، فانقذت بذلك أدباً وجد علماء الآثار بقاياه فى مغاور موقع قُمران .





تم العثور على مخطوطة « التكوين الأبوكريفى » فى المغارة الأولى من مغاور قُمران . تتكون المخطوطة من أربع ورقات جلدية ، تتألف من ٢٢ عموداً ، على النحو التالى : الورقة الأولى غير كاملة وتتألف من أربعة عواميد وفى كل عمود ٣٧ سطراً - الورقة الثانية ، تتألف من خمسة عواميد وفى كل عمود ٣٥ سطراً - الورقة الثالثة ، تتألف من سبعة عواميد وفى كل عمود ٣٥ سطراً - الورقة الرابعة وتتألف من ستة عواميد فى كل عمود ٣٤ سطراً . كُتبت المخطوطة باللغة الآرامية وليست العبرية كالمعتاد. وحتى الآن غير معروف إن كانت الآرامية لغة النص الأصلية ، أم هى ترجمة عن العبرية . وأسلوب كتابة النص ، يبدو كما لو كان مدراش مرتبط بنص سفر التكوين . ونظراً لأن أول مقطع فى النص عبارة عن حديث مُوجّه من لامك إلى إمرأته « بت أنوش » أى « ابنة إنسان » ، فقد أطلق عليه بعض الدارسين اسم « سفر لامك » ، ولكن سُمى بعد ذلك « التكوين الأبوكريفى » . رجّح العلماء تاريخ كتابة النص إلى نهاية القرن الأول قبل الميلاد ، أو بداية القرن الأول الميلادى (زمن هيرودس) .



يظهر سفر التكوين الأبوكريفى كتوسيع لسفر التكوين الأصلى فى بعض المواضيع ، إنما بتوزيع غير متساو ومختلف . وقد احتوى على اساطير ومبالغات ، لا يمكن أن تكون فى إطار الوحى الإلهى .فعلى سبيل المثال :

١- فى بداية نص المخطوطة ، نرى لامك يُوجّه حديثاً إلى زوجته « بت أنوش » ، عن سبب حملها . فقد أعتقد لامك أن الملائكة القديسين (ق د ى ش ى ن) قد يكونون سبب هذا الحمل . خاف لامك من امرأته التى أعطته ولداً عجيباً فى الجمال ، أن تكون حبلت به من ملاك . فاقسمت لزوجها بالعلي ملك السموات قائلة : « إن هذا الزرع هو حقاً منك » . فمثل هذا الإنسان الجميل لا تحبل به إلا كائنات سماوية : الملائكة . (لاحظ تأثر النص بالأساطير) وبما أن النص فى سفر التكوين الأصلى يصف نوحاً بالرجل البار والكامل فى جيله ، عظّم التقليد اللاحق حكمته وبرّه . وبالبحث وجدنا أن نفس هذا الموضوع يحتل مكانة واسعة فى سفر أخنوخ الأبوكريفى ومخطوطة اليوبيلات .

٢- كذلك الحلم الذى رآه إبراهيم فى الليلة التى كان ذاهباً فيها من حبرون إلى مصر ، فليس له أى وجود فى التكوين الأصلى . فيخبرنا سفر التكوين الأبوكريفى : أن إبراهيم رأى فى حلمه فإذا أرزة ونخلة ... فجاء أناس وأرادوا أن يقطعوا الأرزة ويقتلعوها ، وأن يُبقوا على النخلة وحدها . فصاحت النخلة وقالت : « لا تقطعوا الأرزة . ملعون من يطرح أرزة على الأرض » . فأبقى على الأرزة بفضل حماية النخلة ولم تُقطع . وقد حكى إبراهيم هذا الحلم لزوجته ساراى . واعتبر الشراح أن عناصر هذا الحلم الرمزى الذى فيه تدّل النخلة على ساراى والأرزة على إبرام ، قد أُستوحيت من مزمور ٩٢ : ١٣ « الصديق كالنخلة يزهر ، ومثل أرز لبنان ينمو » . فالأدب الرابينى يجمع مراراً بين هذه الآية المزمورية وخبر إبرام وساراى ، فى إستعارة من التكوين الأبوكريفى ، سمع إبراهيم ليلة وصوله إلى مصر صوتاً يصيح قائلاً : « لا تقطعوا الأرزة ، ملعون من يُسقط الأرزة على الأرض » . ويبدو أن مؤلف المخطوطة أراد أن يُقدم شرحاً وتبريراً للكذب الذى أُجبرت سارة أن تقترفه لتخفى حقيقة أن إبرام هو زوجها .

٣- يتحدث أيضاً مؤلف مخطوطة « التكوين الأبوكريفى » ، عن وصول ثلاثة وجهاء من قِبَلْ فرعون مصر ليسأل عن إبراهيم وعن أحواله وعن إمرأته . . . جاؤوا يتعرّفون إلى حكمته (ربما يكون هذا إقتباس من سفر الملوك الأول ، عن ملكة سبأ التى جاءت لتسمع حكمة سليمان) . وقد توسّع « التكوين المنحول » فى وصف جمال ساراى الفائق ، على لسان الرجال الثلاثة . ويرى الشراح فى هذا الوصف اقتباساً من سفر نشيد الأناشيد وأمثال ٣١ ومزمور ٤٥ .

٤- ويتتابع الخبر فى فم أبرام فى صيغة المتكلم ، الذى يتحدث عن اختطاف ساراى ، وعن كذب ساراى فى كشف حقيقة أن أبرام زوجها وعن ألمه هو وصلاته إلى الله . ويُسهب مؤلف النص فى وصف مرض فرعون كضربة من الله وعجز المصريين عن شفائه ، فيقول : « فى تلك الليلة أرسل الله العلى إلى فرعون روح عقاب (شرير) ، فضربه هو وجميع أهل بيته . . . وما استطاع أن يقرب منها ، ولم يعرفها خلال سنتين . . . وبعد سنتين ، اشتدت وتفاقمت عليه الضربات والشدائد كما على جميع أهل بيته . . . وأمر بأن يدعو جميع حكماء مصر وجميع السحرة وجميع أطباء مصر ، لعلّهم يستطيعون أن يشفوه من هذه الضربة مع أهل بيته . غير أن الأطباء وجميع الحكماء لم يتوصّلوا إلى شفائه » . ومن الكلمات الآرامية التى وردت فى النص ، استطاع الشراح التوصل إلى أن فرعون وأهل بيته ، قد ضربوا بالجروح مع قيح « ش ح ل ن ى أ » بالإضافة إلى أرواح شريرة سكنت فيهم « م ك د ش » . ويقول فيلون الأسكندرى أن المرض منعه من ممارسة العلاقات الجسدية .

بعث فرعون مصر ، بأحد الوجهاء إلى لوط ، ليتوسّط لدى إبرام أن يأتى ويشفيه ، فقال له لوط : « لا يستطيع أبرام عميّ أن يصلّى من أجل الملك ، ما دامت ساراى امرأته معه . فالآن اذهب إلى الملك وقل له أن يعيد امرأته إلى زوجها . فيُصلّى لأجله (إبرام) فيحيا » . وفعلاً ذهب أبرام ووضع يديه على

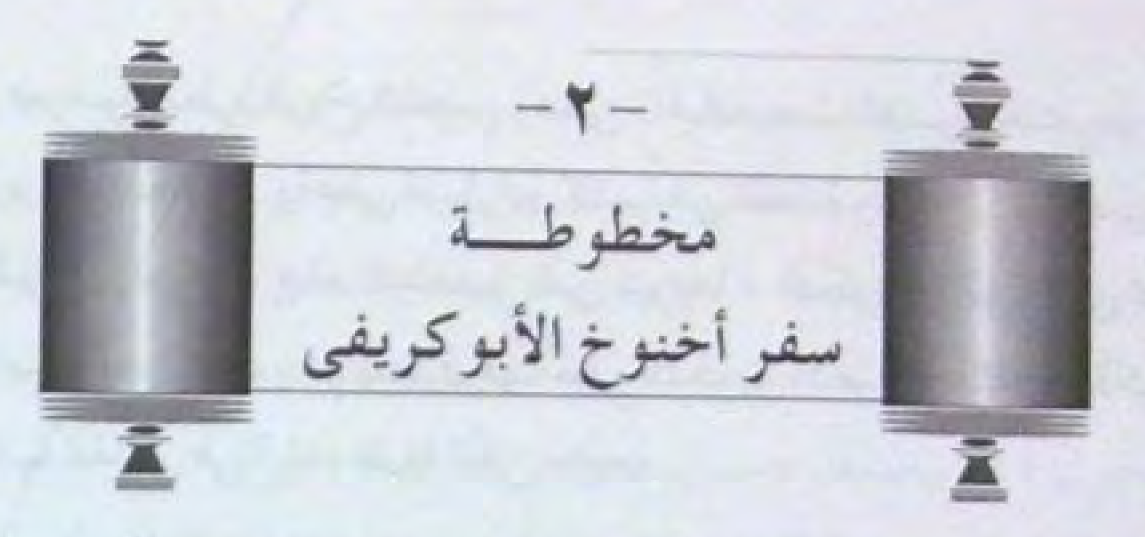
رأس فرعون لطرد الروح النجس وصلى . فابعدت الضربة عنه وطُرد الروح الشرير عنه فعاش . وأعطى لساراى كثيراً من الفضة والذهب وملابس كثيرة من البز والأرجوان . هذه التفاصيل التى سردها « التكوين الأبوكريفى » ، فيها إسهاب وبعض الأمور لم يتطرّق لها سفر التكوين الأصلى . القصة ذُكرت فى الكتاب المقدس فى آيات قليلة لكن جامعة.

٥- نجد أيضاً تفاصيل جغرافية وطبوغرافية حول موقع رامة حاصور ، التى هى تل عاصور ، على بعد ٨ كم إلى الشمال الشرقى من بيت إيل . وهذا يدل على معرفة كاتب النص بأرض فلسطين حين ذكر رامة حاصور التى تعلو ١٠١١ م عن سطح البحر ، فتكوّن ذروة فلسطين الجنوبية . من فوق هذه المدينة رأى أبرام الأرض التى هو عتيد أن يرثها ونسله من بعده . ثم يصف أبرام بدقة الطريق التى سلكها فى عودته من مصر إلى حبرون .

واضح من أسلوب النص . الذى يتميز بالأدب القصصى المفعم بالأساطير ، أن كاتب المخطوطة لا يمكن أن يكون موسى النبى . لذا لم يُدرج ضمن الأسفار الإلهية .



صفحة من مخطوطة سفر التكوين الأبوكريفى



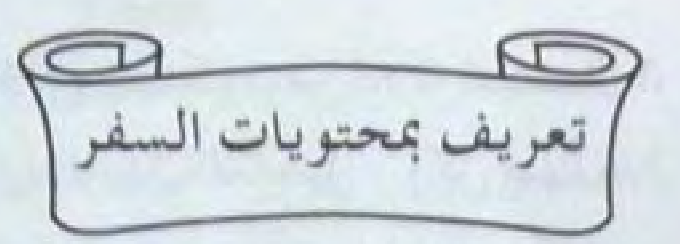
قبل اكتشافات مخطوطات قُمران ، كان افضل نصـوص لكتاب « أخنوخ الأول » ، هى الموجودة فى المخطوطات الحبشية ، وتُوجد منها ٢٩ مخطوطة ، بعضها يحتوى على الكتاب كله . والمخطوطات الحبشية ترجع إلى عصر متأخر ، فلعل أقدمها يرجع إلى القرن السادس عشر الميلادى .

كما توجد أجزاء من السفر فى مخطوطتين يونانيتين من القرن الثامن ، اكتشفتا فى سنة ١٨٨٧ م فى قبر من المدافن المسيحية فى أخميم . كما توجد مخطوطة ڤاتيكانية ، تحتوى على أجزاء من هذا السفر الأبوكريفى . بالإضافة إلى برديات مصرية ومخطوطة لاتينية .

ومخطوطات قُمران ، تقدم لنا أفضل صورة للنص الأصلى لسفر أخنوخ الأبوكريفي، حيث تم العثور على أجزاء كبيرة من السفر باللغة الآرامية فى المغارة الرابعة من مغاور قُمران . وقد تم مقارنة هذه المخطوطات القُمرانية بالمخطوطات الحبشية ، فوُجدت مطابقة لها . وقد قام بنشرها د. ميليك Milik بعنوان « أسفار أخنـــوخ – الأجـــزاء الآراميـــة فى المغارة الرابعـــة فى قُمران :The Books of Enoch, Aramaic Fragments of Qumran Cave 4, Oxford , 1976. »

ومن الأحداث التاريخية الكثيرة التى يرد ذكرها فى ثنايا السفر ، أمكن وضع تاريخ تقريبى للسفر . فقد رجّح العلماء أن النصّ يرجع إلى القرن الأول قبل الميلاد .

إن الكنيسة الإثيوبية هى الوحيدة التى بقى فيها سفر أخنوخ قانونياً ، ولهذا فإن مخطوطاته لا تحصى فى إثيوبيا .



من الواضح أن نقل أخنوخ إلى السماء أدى إلى الاعتقاد بأنه كان عارفاً بكل أسرار السماء ، ومن هنا جاءت فكرة هذا السفر . فمؤلفو الرؤى اليهود، يبحثون عن شخصيات تاريخية شهيرة وتكون قادرة على تحقيق الكشوفات التى كان هؤلاء الكُتاب يريدون نقلها . فالسفر كله رؤوى بطبيعته ، مما يلائم نسبته إلى أخنوخ . فليس من المدهش إذن أن يصبح أخنوخ بطل سفر كامل من الأدب الرؤيوى يحمل اسمه ، وفيه تتمثل حياة أخنوخ كرحلة مستمرة من الكشف والمعرفة الإلهيين .

وسفر أخنوخ هو مؤلف ضخم يتكون من ١٠٨ أصحاحات مُقسّمة إلى خمسة أقسام ،وجميعها لها مقدمة واحدة وخاتمة واحدة . وأقسام السفر هى كالآتى :

– **المقـدمــة** : وتشمل الأصحاحات الخمسة الأولى – وموضوعها الرئيسى عن الجزاء والعقاب ونهاية العالم والدينونة النهائية .

– **القسم الأول (أصحاحات ٦ – ٣٦)** : موضوعه الأساسى هو الملائكة والكون . فالأصحاحات من ٦ – ١١ المأخوذة من سفر نوح الأبوكريفى ، تذكر أن سقوط الملائكة حدث بسبب زواج أبناء الله ببنات الناس (قارن مع تك ٦ : ١ – ٤) ، وأن الملائكة بدورهم علّموا الناس فنون الحضارة ومهاراتها المختلفة ، ففسد الجنس البشرى ، فأصدر الله حكم الدينونة على الجنس البشرى وعلى عزازيل الذى أضلهم . وفى الأصحاحات من ١٢ – ١٦ رأى أخنوخ رؤيا، وهو يتوسّل بلجاجة من أجل الملائكة الساقطين ، فأمر أن يتنبأ عن مصيرهم المحتوم . وفى الأصحاحات من ١٧ – ٣٦ ترافق ملائكة النور أخنوخ فى رحلات مختلفة للأرض ، ولمكان عقاب الملائكة الساقطين ، وللهاوية ، ولشجرة الحياة ، ولأورشليم بجبالها وأنهارها ومجاريها ، ولفردوس البرّ .

+ **القسم الثانى (أصحاحات ٣٧- ٧١)** : يتكون من ثلاثة أمثال أو تشبيهات، وجميعها أمثال طويلة بالمقارنة بأمثال الأناجيل . وكل منها يدل على انتصار البر على الشر . فالمثل الأول (أصحاحات ٣٨ – ٤٤) يتكلم عن الدينونة التى توشك أن تقع على الأشرار ، وعن « مسكن البار المختار » وعن رؤساء الملائكة الأربعة ، وعن بعض الأسرار الفلكية . والمثل الثانى (أصحاحات٤٥ – ٥٧) يتحدث أساساً عن المختار أو ابن الإنسان وهو جالس للدينونة ، ولا يصوره على أنه كائن بشرى ، بل على أنه كائن سماوى جليل له سلطان مطلق على عالم البشر والملائكة. والمثل الثالث (أصحاحات ٥٨ – ٧١) يتحدث عن سعادة القديسين وقياس الفردوس ، ودينونة الملوك والعظماء ، ويسرد أسماء الملائكة الساقطين ووظائفهم .

+ **القسم الثالث (أصحاحات ٧٢- ٨٢)** : ويُطلق عليه اسم « الأنوار السماوية » ، ويكاد يكون كتاباً علمياً خالصاً ، لا يبدى أى اهتمام بالمسائل الأخلاقية ، فالمؤلف يحاول أن ينشئ نظاماً فلكياً متكاملاً من معطيات العهد القديم ، ويُطالب بأن يكون قياس الزمن شمسياً لا قمرياً . ومن المدهش أن السنة الشمسية عند المؤلف هى ٣٦٤ يوماً ، بل انه ليعلم بالسنة ذات الـ ٣٦٥ يوماً وربع اليوم . ثم يتحدث عن الأمور الأخلاقية بشكل مقتضب . ثم يتنبأ عن الأيام الأخيرة التى فيها ستعانى الأجرام السماوية وكذلك الأرض من اضطرابات خطيرة .

+ **القسم الرابع (أصحاحات ٨٣- ٩٠)** : يتكون من حلمين ، رأى فيهما تاريخ إسرائيل . فالإصحاحان ٨٣ و٨٤ يذكران رؤيا الحلم الأول الذى – فى رأى المؤلف – يتنبأ عن الطوفان كعقاب للعالم . أما رؤيا الحلم الثانى فتستغرق الأصحاحات من ٨٥ – ٩٠ ، وبعد أن يسرد التاريخ من البدء إلى زمن أخنوخ ، يتنبأ من تاريخ العالم إلى تأسيس المسيا لمملكته . ويقدم لنا هذا التاريخ فى صورة موغلة من الرمزية، فالثيران تمثل الآباء ، والغنم تمثل بيت إسرائيل

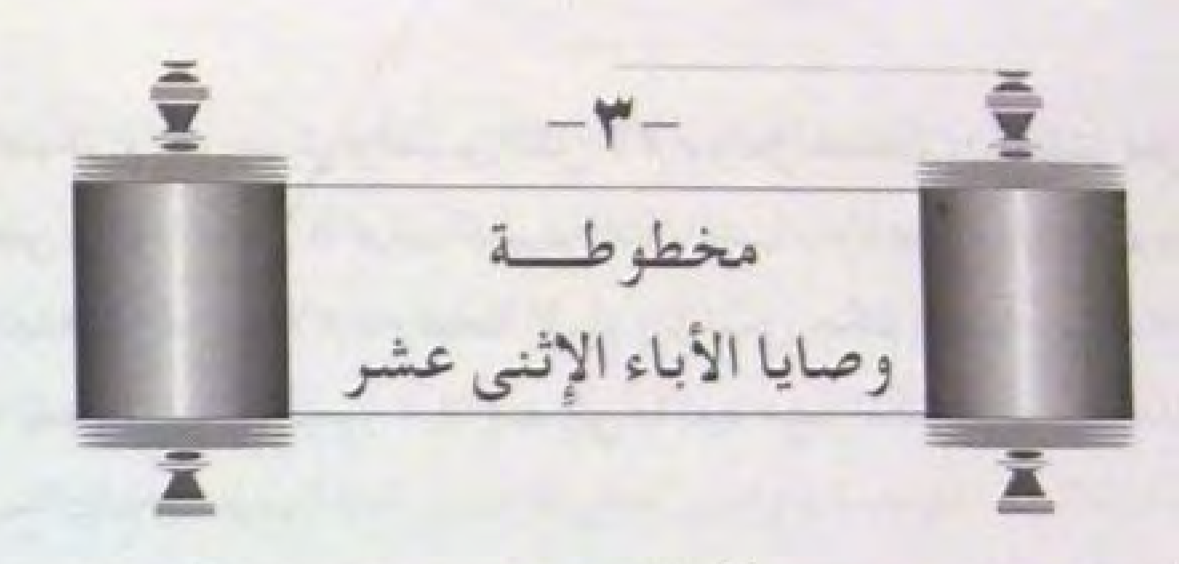
الحقيقى، والوحوش والطيور تمثل الأمم ، ولعل شاة بقرن عظيم تمثل يهوذا المكابى، وثوراً أبيض ذا قرنين كبيرين يمثل المسيا . وتنتهى رؤيا الحلم بأورشليم الجديدة ، وتجديد الأمم ، وقيامة الأبرار وتأسيس حكم المسيا . ولأن التاريخ – كما يُفهم من هذه الرموز – لا يمتد إلى ما بعد عصر المكابيين ، فذلك دليل على تاريخ كتابة السفر .

+ **القسم الخامس (الأصحاحات من ٩١- ١٠٥)** : يشمل على تحريضات للأبرار ، ولعنات على الأشرار . وتركيب هذا القسم معقد وان كان موضوعه هو نفس موضوع سائر الأقسام . ومما يستلفت النظر فى هذا القسم هو رؤيا الأسابيع فى الآيات ٩٣ : ١ – ١٠ ، ٩١ : ٢١ – ٢٧ ، فيقسم التاريخ منذ زمن أخنوخ إلى عشرة أسابيع غير متساوية الطول ، يتميز كل منها بحادثة معينة ، فمثلاً الأسبوع الأول يتميز بميلاد أخنوخ ، والثالث بدعوة إبراهيم ، والسابع بنشر كتابات أخنوخ ، وفى الثامن سيفوز الأبرار بالغلبة على مقاوميهم ، وفى الأسبوع التاسع سيُعد العالم للدمار ، وفى الأسبوع العاشر – الذى لن ينتهى – ستظهر السماء الجديدة .

+ **الخاتمة (الأصحاحات ١٠٦- ١٠٨)** : تتحدث الخاتمة عن ازدياد الخطيئة بعد الطوفان إلى حكم المسيا ، ومكافأة الأبرار وعقاب الأشرار .

وهكذا نجد أن سفر أخنوخ الأبوكريفى هو نتيجة تاريخ أدبى طويل ، وتسمح الأجزاء الآرامية المكتشفة فى قُمران باستشفاف تعقيده الفائق . وهو يعد بحق من الكتب الأساسية التقليدية للطائفة الأسينية بل وربما أكثرها جوهرية على الإطلاق .





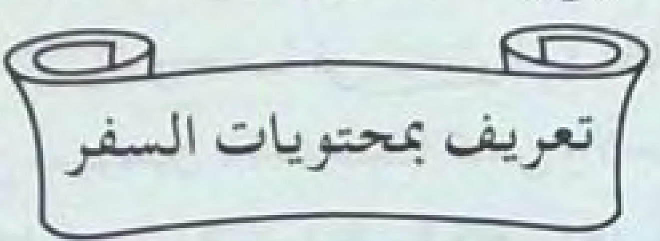
تم العثور على بعض الأجزاء الآرامية من مخطوطة « وصايا الآباء الإثنى عشر » فى المغارة الأولى فى قُمران ، وقد نشرها كل من بروفيسور ميليك وبروفيسور بارثليمى تحت عنوان : « المغارة الأولى لقُمران , Barthelemy and J. Milik Qumran Cave I, Oxford, 1955 » . وكانت عبارة عن « وصية لاوى » باللغة الآرامية ، ثم نشر ميليك أيضاً « وصية نفتالى » باللغة العبرية مصدره المغارة الرابعة تحت عنوان : « Milik, The Books of Enoch, Oxford 1967 » .

وسفر « وصايا الآباء الإثنى عشر » معروف منذ زمن بعيد ، ففى القرن الثالث عشر ، قام بترجمته السيد روبرت Robert Grossetest إلى اللغة اللاتينية . ونُشر النص اليوناني للمرة الأولى بالكامل على يد بروفيسور جراب Grabe فى عام ١٦٩٨م ، وأخيراً على يد تشارلز عام ١٩٠٨م بعنوان : Charles, The Greek Versions of the Testaments of the Twelve Patriarchs » . ويرتكز الناشر على تسع مخطوطات يونانية .

إن النسخة اليونانية الكاملة لسفر « وصايا الآباء الإثنى عشر » ليست سوى نسخة مُترجمة من العبرية إلى اليونانية – حسب رأى أغلب العلماء – فقد قدّم تشارلز فى كتابه برهاناً حاسماً على ذلك من خلال الأجزاء التى عُثر عليها فى مغاور قُمران . ويُشكل السفر ، مؤلفاً واحداً جُمعت فيه « وصايا » كل من أبناء يعقوب الإثنى عشر . وجارى حتى الآن دراسة موسّعة للأجزاء الآرامية والعبرية التى تم الحصول عليها من المغارتين الأولى والرابعة من مغاور قُمران ، بالإضافة إلى الأجزاء التى عُثر عليها فى خزانة المجمع اليهودى بمصر القديمة .

ويمكن تاريخ السفر بشكل دقيق إلى حد ما من خلال النبوءات المذكورة فيه .

فما يشير إليه لاوى مثلاً من احتلال أورشليم يعيدنا بشكل واضح إلى احتلال المدينة على يد بومبى سنة ٦٣ ق.م . وثمة إشارة واضحة فى « وصية زبولون » إلى الصراع على السلطة بين هيركانس الثانى وأرسطوبولس الثانى تتوافق مع هذا التاريخ . أما الإشارة إلى اعتلاء هيرودس الكبير العرش فى « وصية يهوذا » فيمكن أن تعيد السفر إلى نحو عام ٣٧ قبل الميلاد . وهكذا يمكن إرجاع السفر إلى النصف الثانى من القرن الأول قبل الميلاد . ويُصنّف « سفر الوصايا » مع كتاب أخنوخ وكتاب اليوبيلات ، كأحد أهم النصوص الخاصة بالطائفة الأسينية .



أول نتيجة حصل عليها العلماء ، بعد فحص نصوص الأجزاء الآرامية والعبرية المكتشفة فى قُمران أن أصل السفر ليس مسيحياً ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى رجّحوا بشكل لا يقبل الجدل الأصل الأسينى للعمل كله . وبالمقابل فإن المخطوطة اليونانية للسفر تظل غامضة الأصل ، وهى تجعلنا نعتقد بإمكانية أن يكون السفر مُترجماً عن أصل عبرى ضائع حتى الآن . ولقد نُقل فيما بعد إلى اليونانية بواسطة نسّاخ مسيحيون .

نص السفر يُشكّل أسلوباً أدبياً جديداً ، وهو يمزج بين السرد التاريخى لكل أب من الآباء الإثنى عشر بشكل أساسى والخبرات التى اكتسبها من خلال حياته ، والأخطاء التى وقع فيها وتعلّم منها ، والعظات لأبنائه لكى لا يقعوا في ما وقع فيه ولينقلوا تعاليمه إلى أحفادهم . وهكذا نجد أن كل وصية تمجّد فضيلة ما أو تندّد بإثم ما . وتبدأ كل وصية بمقدمة يُملى فيها كل أب من الآباء رغباته الأخيرة ، وكذلك تنتهى كل وصية بخاتمة ، وبينهما يتوالى خطاب وداع معقد الأسلوب والبنية وهو خطاب أخلاقى تماماً لا نجد فيه أثر الوصية المادية .

وإذا تأملنا الوصايا نجد الآتى : وصية شمعون تُدين الحسد – وصية دان تُدين الغضب والكذب – وصية جاد تُدين الحقد – وصية زبولون تثنى على الورع – وصية نفتالى تثنى على الطيبة – وصية يوسف تثنى على الطهارة والعفة .....إلخ وفى الوصايا ، أعظم الشرور هو الفسق ، وأنبل الفضائل هى البساطة . وفى كافة هذه الوصايا (بأستثناء وصية رأوبين) نجد أن الأب يُذكر بالمعاصى التى مرّ بها الأسلاف ، وبما جرّه عليهم ذلك من نفى ثم عودتهم من المنفى . وتُمجدّ مقاطع كثيرة سبطى لاوى ويهوذا إذ منهما سيأتى السلام !

ويتم فى السفر التأكيد مراراً على أولوية لاوى (ممثل الشريعة) وعلى يهوذا (ممثل المُلك) . ونجد صدى هذه الفكرة فى قُمران وبخاصة فى مخطوطة « نظام الجماعة » فى نص رئيسى يتحدث عن مجئ مسيحين ، أحدهما كاهن والآخر ملك . وتأخذ هذه الثنوية المسيانية أفضل تمثيل لها فى النشيد إلى الكاهن الجديد « وصية لاوى » ، وفى النشيد إلى نجمة يعقوب « وصية يهوذا » ، حيث يرمز الأول إلى المسيح الكهنوتى ويرمز الثانى إلى المسيح الملكى . وقد اندمج هذان المسيحان فيما بعد ، كما نستنتج من « وثيقة دمشق » ، فى مسيح واحد هو فى وقت واحد مسيح لهرون وإسرائيل معاً .

والتعليم الأخلاقى فى سفر « وصايا الآباء الإثنى عشر » يتميز بثنائية حادة . فعلى « المريدين » أنفسهم « أن يختاروا النور أو الظلمة ، شريعة الرب أو أعمال بليعال » ، كما يقول لاوى لأبنائه . ونجد فى السفر تركيزاً كبيراً على فكرة الروحين الأساسية جداً فى مخطوطات الأسينيين (خاصة مخطوطة نظام الجماعة) ، فثمة روحان يهتمان بالإنسان ، روح البر وروح الضلال (وصية يهوذا) .

أما « وصية بنيامين » فتحض على محبة الرب ومحبة الخير ومحبة القريب ، وهو لا يُفرق بين محبة الأبرار والخطاة ، وفلسفته فى ذلك : عندما يريد الأشرار

أذية الرجل الصالح ، فإنه بعمل الخير لهم إنما ينتصر على الشر ، والله حاميه . وركزت الوصية أيضاً على مخافة الرب ، التى من شأنها حماية الإنسان سواء من الأشرار أو من بليعال نفسه (الشيطان) . وتثنى الوصية على الرجل الصالح الذى لا يعرف المكر أو الكذب أو الخصام أو الشتيمة ، فإن الرب يسكن فيه وينير روحه .



خاتمــة

فى نهاية هذا البحث ، أرجو أن أكون قد قدمت للقارئ العزيز فكرة ولو بسيطة عن نُسّاك قُمران ومخطوطاتهم الثمينة التى تركوها خلفهم وهى لا تقدَّر بمال الدنيا كلها . لأنها كشفت لنا عن حقبة ما بين العهدين – القديم والجديد – وما فيها من تطلعات روحية ، كما حملت فى طياتها الردّ على الذين يزعمون تغييراً فى نصوص العهد القديم .

وكان هدف هذا العمل الذى تطلب جهداً ووقتاً ، أن تكون فيه فائدة حقيقية لكل قارئ يريد أن يقف عن كثب على حدث هزّ العالم كله ، لدرجة أن نشأ علم خاص يبحث فى دراسة هذه المخطوطات وكل ما يتعلّق بها ، سُمى بعلم القُمرانيات Qumranology ، وقد بلغت مراجعه المتخصصة نحو ٢٠٠٠ مرجعاً ، وأُسست فى أماكن كثيرة من العالم مؤسسات ومعاهد للأبحاث القُمرانية ، ونُشرت مجلات وأبحاث ومجلدات ، أهتم بها خبراء فى هذا التخصص .

وقبل أن أبدأ فى هذا البحث ، قُمت بزيارات متعددة لمنطقة قُمران ، وتمكنت من الحصول على ترجمات لمخطوطات قُمران باللغات الأنجليزية والألمانية والفرنسية والعربية . وقد قدمت فى هذا البحث عرضاً لبعض المخطوطات مع تعليق بسيط عليها . وأعد القارئ العزيز ، **أن الكتـاب الثـانى** فى هذا الموضوع ، سيحوى **« لنص الكامل »** لأغلب المخطوطات مع دراسة وتحليل شامل لكل مخطوطة .

لابد لى أخيراً من التوجه بالشكر إلى كل من شجعنى على إتمام هذا البحث . وأتوجه بالشكر الخاص لنيافة الحبر الجليل الأنبا إيسوذورس ، أسقف ورئيس دير البرموس ، داعيا الرب أن يحفظه للكنيسة سنيناً عديدة وأزمنة سلامية مديدة .



راهب من برية شيهيت

مراجـــع الكتـــاب

المراجع العربية :

– الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديـــد .

– دائرة المعارف الكتابية : إصدار دار الثقافة .

– مخطوطات البحر الميت : د. أسد رستم .

– كتابات قُمران : الخورى بولـس الفغالى .

– التاريخ الكهنوتى : الخورى بولس الفغالى .

– المدخل إلى الكتاب المقدس : الخورى بولس الفغالي .

– مخطوطات الكتاب المقدس : د. إميل ماهر إسحـق .

– شرح إنجيل متى للقديس يوحنا فم الذهب : ترجمة د. عدنان طرابلسى .

– كنز قُمـران – مـدارج البحـر الميـت : المطران اثناسيـوس يشـوع – ترجمة د. القس الفونس شوريز .

– تاريخ المسيحية – سلسلة مصادر الوحى الأنجيلى : يوسف درة الحداد .

– المنجد فى اللغة والاعلام – بيروت – ١٩٧٥م .

– قامـوس الكتـاب المقدس : نخبـة مـن الأساتذة ذوى الأختصـاص – بيروت ١٩٦٤م .

– التوراة ... كتابات ما بين العهدين (جزء II , I) : أندريه ديبوسومر – ترجمة موسى ديب الخورى .

– اللوغس – مفهوم الكلمة : د. موريس تاوضروس .

Bibliography :

- Eduard lohse : The New Testament Environment.

-Klaus Berger : Psalmen aus Qumran.

- Moshe Pearlman : Die Rollen vom Toten Meer.

- Kurt Kusenberg : Johannes der Täufer.

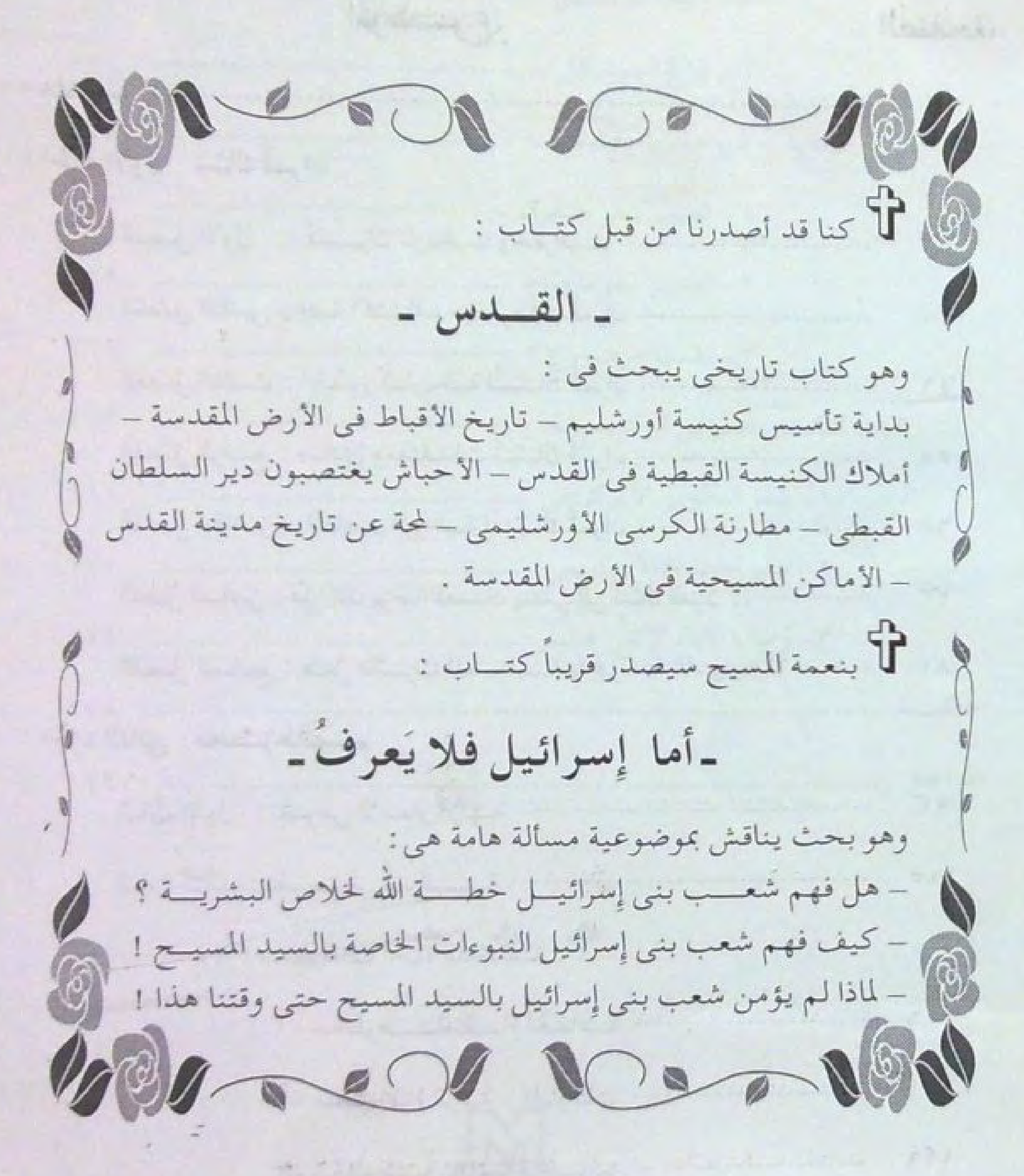
- Lawrence Schiffman : Origin and Early History of the Qumran Sect.

- William Fairweather : The Background of the Gospels .

- Theodor Gaster : The Dead Sea Scriptures .

- Blair, E.P. : The Dead Sea Scrolls .

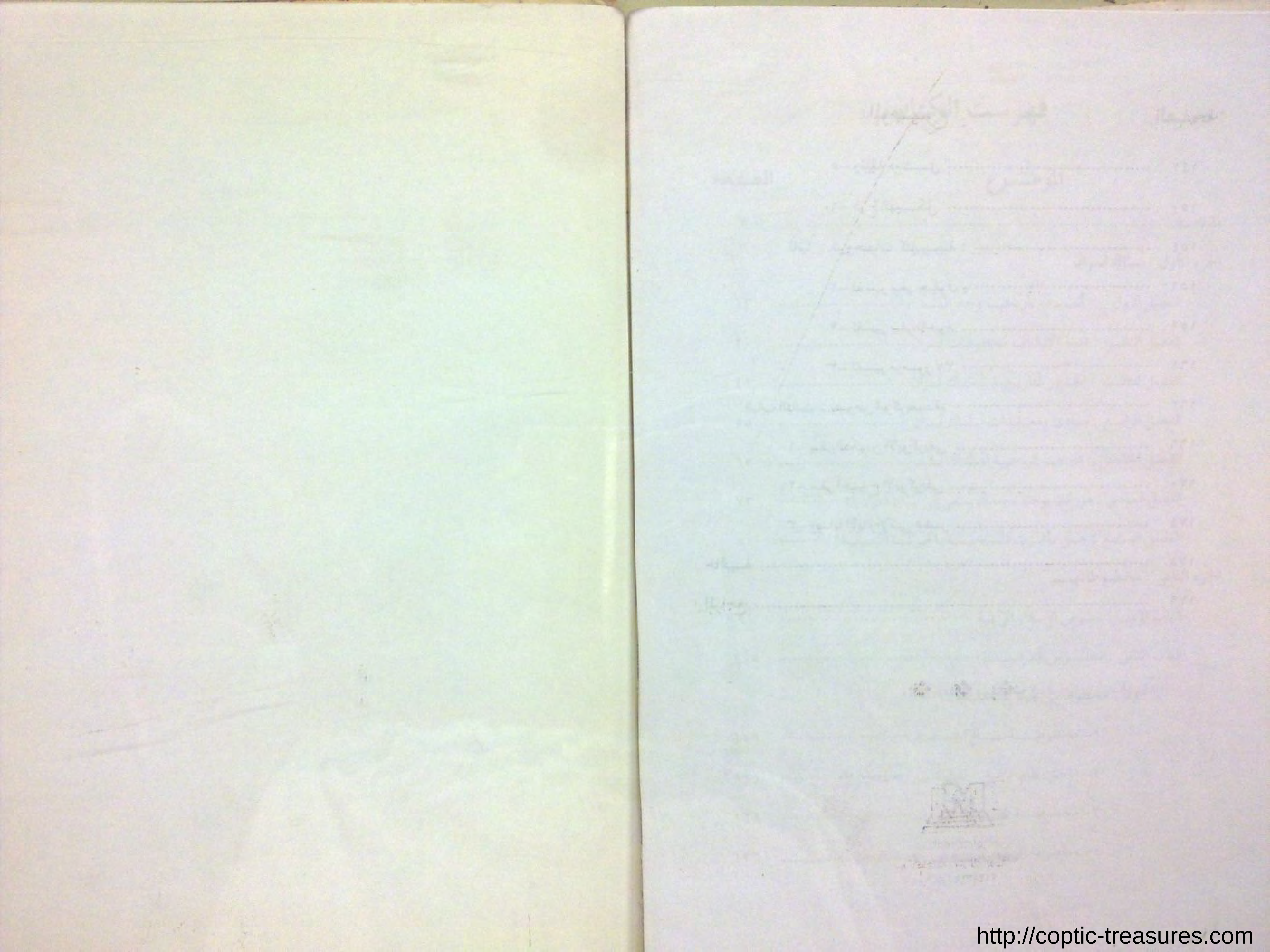




فهرست الكتاب



الجمع والإخراج الفنى
إم . سد للتجهيزات الفنية
ت : ٢٤٣٨٢٢٥





في هذا الكتاب

- ✝ قُمران جـغرافـياً و تاريـخياً
- ✝ قصة اكتشاف مخطوطات قُمران
- ✝ الجذور التاريخية لنُسّاك قُمران
- ✝ المفاهيم الروحية لنُسّاك قُمران
- ✝ مخطوطات قُمران وسلامة العهد القديم
- ✝ مخطوطات الحياة الداخلية لنُسّاك قُمران

الثمن: خمسة جنيهات